جامعة الأزهر الشريف
كلية أصول الدين
قسم : التوحيد والفلسفة

شيخ الإسلام

عبد الله الأنصاري الهروي

مبادئه وآراؤه الكلامية والروحية

٣٩٦ - ٤٨١ هـ

رسالة دكتوراه

في العقيدة والفلسفة

تأليف

دكتور محمد سعيد عبد المجيد سعيد الأفغاني

Ketabton.com

يطلب من
دار الكتب الحديثة
١٤ شارع الجمهورية بعابدين
ت : ٩١٦١٠٧

(c) ketabton.com: The Digital Library

مطبعة دار التأليف
٨ شارع يعقوب بالمالية بمصر ت ٢١٨٢٥

(c) ketabton.com: The Digital Library

شكر وتقدير

أشكر جميع أحبائى الذين ساعدونى فى تأليف هذه الرسالة وطبعها وخاصة : السيد صاحب الفضيلة الدكتور « عبد الحليم محمود » المشرف على الرسالة .

فقد أحسست فى أعماله حسن النية والإخلاص الصادق .

والسيد الأخ العزيز مولوى نقيب الله « نقيب » عضو التفتيش لـ « ستوه محكمة » فى أفغانستان ، لأنه أرسل إلى بعض مراجع الرسالة من أفغانستان وساعدنى فى خدمة العلم أحسن مساعدة .

والسيد موسى محمد على ، حيث قام بتصحيح بروفات طبع الرسالة .

وأقول فى الختام : إن رجائى من الله — جل شأنه — أن ينفع بهذه الرسالة عامة المسلمين ويجعلها وسيلة لنجاحى فى الدنيا والآخرة ، عليه توكلت وإليه أنيب .

دكتور محمد سعيد عبد المجيد
« سعيد الأفغانى »

الإثنين فى { ٢ جمادى الثانية سنة ١٣٨٨ هـ
٢٦ أغسطس سنة ١٩٦٨ م

(c) ketabton.com: The Digital Library

(c) ketabton.com: The Digital Library

تقدير

بقلم الدكتور

عبد الحليم محمود

عميد كلية أصول الدين سابقاً
ورئيس قسم العقيدة والفلسفة حالياً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

بدأ شيخ الإسلام أبو اسماعيل عبدالله بن محمد الأنصارى ، يأخذ فى الدراسات الحديثة مكانته التى تليق به ، لقد بدأ الدارسون يهتمون به من حيث طبع كتبه ، أو الكتب التى تشرح كتبه ، ومن حيث دراسة حياته وآرائه مقدمين لذلك بدراسة بيئته المادية والاجتماعية والعلمية :

ولقد عقدت أفغانستان مؤتمراً عالمياً بمناسبة مرور (٩٠٠) عام على وفاته ، ودعت إليه كبار العلماء من مختلف الأقطار فتناولوا الزوايا المختلفة من حياته وآرائه بالشرح والتحليل .

وأهمية الأنصارى ترجع إلى أنه حاول طيلة حياته أن يعود بالمسلمين إلى ما اعتقد أنه الطريق الحق ، وإلى ما آمن بأنه سلوك الأسلاف الصالحين .

لقد رأى الأنصارى أن الثقافة اليونانية والثقافات الدخيلة تحاول

(c) ketabton.com: The Digital Library

أن تتغلغل شيئاً فشيئاً فى البيئة الإسلامية ، ورأى أنها إذا استمرت على ذلك فإن ذاتية الإسلام وشخصيته لاتكون فى نصاعتها كما كانت فى عهوده الأولى : عهود العزة والكرامة والتقوى ، ورأى المسلمين انحرفوا عن طريق السلوك العملى متجهين إلى الجدل والمراء أكثر من اتجاههم إلى الروح السلوكية العملية .

وشمر أبو اسماعيل عن ساعد الجد وأخذ يعمل فى ميدانين :

١ — ميدان تخليص الذاتية الإسلامية مما علق بها من آثار غبار الثقافات الدخيلة وهذه الآثار كانت ظاهرة على الخصوص فى مجالين : —

(ا) مجال المنهج . وهو يتمثل — فى الثقافات الدخيلة — فى المنطق الأرسطى .

والمنطق الأرسطى منهج يونانى ، إنه منهج هؤلاء الذين لايعتمدون على كتاب مقدس . ولا على سنة نبى مرسل ولا على تطبيق رعيل صالح لكتابهم المقدس ولسنة نبيهم ، أنه منهج اخترعه أرسطو لأنه ما كان يدين بدين وما كان يرجع إلى كتاب . أما من يدينون بدين ويرجعون إلى كتاب ويشهدون برسول . فإنهم يرجعون إلى كتابهم ورسولهم :

إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم .

« فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

ومنهج المسلمين إذن إنما هو الاتباع :

« اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم »

وجاهد الأنصارى جهاد المستميت لرد المسلمين فى المنهج إلى الإتباع

(c) ketabton.com: The Digital Library

وكان من أثر ذلك أن رفض هذا السراب الخادع الذى يسمونه المنطق القديم وأن قام بنشر فكرة الاتباع بكل ما يستطيع من وسائل : بقلمه وبلسانه وبمسلكه .

(ب) والمجال الثانى الذى علق به غبار من آثار الثقافات الدخيلة هو مجال المراء فى الدين ، وهو المجال الذى سمى بعلم الكلام ، وفى هذا المجال سار الأنصارى على نسق كبار الأئمة : أحمد بن حنبل ، ومالك ، والشافعى ، وغيرهم .

وهؤلاء لم يزجوا بأنفسهم فى هذا النوع من المراء بين المسلمين الذى يسمونه علم الكلام وهم لم يروا فيه إلا نوعا من الأسباب والوسائل التى تفرق بين المسلمين ولا تنتهى بهم إلى الاتفاق أو الوئام .

وحاول الأنصارى أن يرد المسلمين عن هذا الجدل والمراء فألف كتابه : « ذم الكلام » ولكن الأمر لم يقتصر على هذا الكتاب : وإنما تعداه إلى التدريس ، وإلى هذه الفقرات التى يكتبها فى كتبه الأخرى إذا جاءت المناسبة ، وإلى أسلوبه هو فى حياته الفكرية .

أما الميدان الثانى الذى عمل فيه الأنصارى فإنه صرف المسلمين عن التورط والتعمق فى المجالات النظرية العقيمه المجدبة ، إلى العمل المثمر الذى يتمثل فى العبادة ، وفى طبع جميع أعمال الحياة بطابع العبادة .

وكانت وسيلته فى هذا المجال هو توجيه المسلمين إلى التقوى الحقيقية النابعة من قلب تطهر وصفا وذلك هو التصوف .

وكان الأنصارى صوفياً بقوله وصوفياً بقلبه وصوفيا بمسلكه فكان دعوة إلى التصوف بكل مظاهره : حالا وعملا وتعبيراً .

(c) ketabton.com: The Digital Library

عن كل هـذه الجوانب يتحدث الأستاذ سعيد الأفغانى فى رسالته للدكتوراه ، التى أسعدنى الحظ بأن كنت مشرفاً عليها ، وبأن كنت فى اللجنـة التى ناقشتها ، وقد استحق بجهوده الموفق أن ينال مرتبـة الشرف الثانيه بعد ما نوقشت فى ١٩٦٨/٧/١٥ بجامعة الأزهر .

ومن توفيق الله أن الأستاذ سعيد الأفغـانى كتب عن الأنصارى بعد ماض طويل فى الـكتابة والجهاد . لقـد ألف الأستاذ سـعيد الأفغانى فى كثير من مجالات الدين واقتفى أثر الأنصارى فى الجهاد والنضال سنوات طويلة من حياته قضاها فى التدريس والبحث .

ومن توفيق الله أن الأستاذ سعيد الأفغانى من بيئة الأنصارى ، لقد تنسم الهواء الذى كان يتنسمه الأنصارى ، وشرب من شراب الأنصارى وعاش فى جوه المادى ، كما عاش فترة طويلة فى جوه الروحى .

ومن توفيق الله أن الأستاذ سعيد الأفغانى متمكن من اللغات التى كتب بها الأنصارى كتبه ورسائله ، وذلك أن الأنصارى لم يكتب بلغة واحدة وإنما كتب بعدة لغات .

ودرس الأستاذ سعيد الأفغانى الأنصارى فى هـذه اللغات المختلفة وأطال الدرس والتحقيق فى غير ملل ولا ضجر .

ولـكل هـذه العوامل والأسباب كانت كتابته كتابة العالم المتثبت المحقق فجزاه الله عن الأنصارى وعن الثقافة والفـكر خير الجزاء ، وأرجو من الله — جل شأنه — أن ينتفع بهـذه الرسالة بعد طبعها ونشرها عامة المسلمين ؟

دكتور عبد الحليم محمود

عميد كلية أصول الدين سابقاً

(c) ketabton.com: The Digital Library

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نحمدك يارب العالمين يارحمن يارحيم .

يامالك الملك فى الدنيا ، وفى يوم لا ملك فيه إلا لله الواحد القهار .

إياك نعبد وإياك نستعين .

نسألك أن تهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين . آمين .

ونصلى ونسلم على سيدنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه وأوليائه أجمعين .

أما بعد ، فلما كانت الحياة الروحية هى قوام الحياة المادية ، حتى أن الحياة المادية لا يمكن أن تحصل وتستقيم وتطمئن إلا بالحياة الروحية لزم أن ندرس أولا الحياة الروحية وأن نعرف حقيقتها وكيفيتها ، ثم نرجع إلى الحياة المادية ، فنصلحها وفق ما جاء فى الحياة الروحية ، لكى نسير فى طريق الرشاد ، ولكن لما كان درس الحياة الروحية والعمل بقيمها يحتاجان إلى توجيه من له خبرة فى هذا السبيل ، لزم أن نأخذ من تجارب الذين ساروا فى هذا الطريق وتوجيهاتهم نبراساً ومشعلا لسيرنا ، لكى لا نتصادم بالعوائق ، ولا نقع فى المهالك .

(c) ketabton.com: The Digital Library

نعم إن هجوم الأغراض المـــادية على العقل والفكر ، وتلاطم الاقتضاءات الشهوانية ووساوس النفس الأمارة بالسوء ، ومشكلات الحياة المدنية ، لها تأثيرها فى حيـــاة الإنسان ، وإنها لتجعل الحياة مضطربة .

فلا مناص إذن ولا مفر إلا بالرجوع إلى الحياة الروحية النقية .

ومن ناحية أخرى قد ثبت عندى أن الطريق الموصل إلى الحق هو السير على أثر أقدام الروحانيين الذين وصلوا بالعبادة والزهد والمعرفة إلى الحق واليقين ، وأن التصوف الحقيقى هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى المعارف الحقة ، ومن أجل ذلك صممت من أمد بعيد على أن أدرس أولا ما جاء به الصوفيون العظاء ؛ ثم أطبق سلوكى بما قالوا ، وبما فعلوا ، وبما حكى عنهم مستمداً من القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ، وبما لا شك فيه هو أن فى بث آرائهم ونشرها خيراً وفلاحاً للبشر عامه وللمسلمين خاصة .

لقد درست كثيراً من كتب الصوفية العظاء . وها أنا ذا أقوم الآن بدراسة الآراء الروحية والفكرية للصوفى الكبير شيخ الإسلام « أبى اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى » وذلك لأن آراءه الروحية قد جذبتنى من أول الشباب نحوها ، وكان كثيرا من الأحيان تعجبنى مناجانه ونصائحه ،وطالما كنت أفكر فى أن أنعم النظر فى آرائه الكلامية والروحية ، لكن مع الأسف كانت تعوقنى مشاغل الحياة إلى أن وجدت الفرصة وبدأت بدراسة التصوف لهذا الصوفى الكبير بدقة وإمعان ، والآن وقد قطعت فيها شوطاً بعيدا صممت على أن أكتب تحت عنوان :

(c) ketabton.com: The Digital Library

« الصوفى الكبير شيخ الإسلام أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى الهروى » .

رسالة تشتمل على حياته وآرائه التى تتعلق بعلم الكلام ، وتصوفه وحياته الروحية ، وأستعين بالله العظيم أن يتممها بالخير ، وأن يهدينا سواء السبيل .

الدكتور

محمد سعيد عبد المجيد « سعيد الأفغانى »

(c) ketabton.com: The Digital Library

(c) ketabton.com: The Digital Library

العصر الذى ولد ونشأ فيه الصوفى الكبير

شيخ الاسلام « عبد الله الأنصارى » الهروى

ولد عبد الله الأنصارى » فى إحدى ولايات أفغانستان التى تسمى بـ « هراة » فى العصر الذى كان فيه مركز الإسلام والمسلمين مدينة « بغداد » ، ويتولى الخلافة الخليفة « القادر بالله » من الخلفاء العباسيين ، ويتصرف فى أمور النـاس فى « خراسان »(١) السلطان محمد بن سبكتجين ، وكان زمام السلطة فى مصر بيد « الفاطميين ».

ويمتاز عصر ولادة عبد الله الأنصارى فى خراسان بأنه « عصر الاختلافات السياسية بين السلاجقة والأتراك والغزنويين والغوريين حيث حارب فيه بعضهم البعض ، وأنه عصر اشتدت فيه الاختلافات بين المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والحنـــابلة والأحناف والشافعية

---

(١) « خراسان » بلاد قديمة فى آسيا تقع بين نهر « آمو » شمالا وشرقا وجبال « هندوكسن » جنوبا ، وتتصل غربا بمناطق « فارس » وامتدت إلى بلاد « ما وراء النهر » و « سجستان » جنوبا . تتقاسمها التغيرات السياسيـة اليوم بين « إيران » فأخذت الجهة الشرقية الشمالية منها التى تقع فيها مدينة « نيسابور » ، وبين « أفغانستان » فأخذت الجهة الشمالية منها التى تقع فيها « هراة » و « بلخ » ، وبين مقاطعة « تركمانيا » السوفياتية التى تقع فيها مدينة « مرو وقد » غزاها « الضحاك » سنـة (٦٥٦ م) وحشد فيها « أبو مسلم الخراسانى » ودعاة العباسيين سنة (٧٤٨م) الجيوش التى قضت على الخـــلافة الأموية فى الشرق . وكلمة « خراسان » مركبة من « خور » أى شمس و « أسان » أى مشرق . مأخوذ .

من كتاب « المنجد » فى الأدب والعلوم ص (١٧٤) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

والجبرية والقدرية والملحدين ، حتى وصلت اختلافات الآراء والمذاهب إلى حد أن نسب بعضهم إلى بعض الأخر الكفر والالحاد .

ومن ناحية أخرى كانت اختلافات طرق الصوفية فى معرفة الحق والسير إلى الله وفى الله ، وفى الكشف والمكاشفة ، قد حيرت الأوهام والأفكار ، ووصلت إلى أقصى درجات الشدة ، حتى فقد كثير من الناس صوابهم .

ومما لا شك فيه أن هذه الاختلافات بين المسلمين فى عصر ولادة عبد الله الأنصارى ونشأته قد وصلت إلى درجة بدأت تشتت شمل المسلمين ، وتفرق وحدة كلمتهم ؛ لأن المسالك والمذاهب والمناهج والخطط وطرق الصوفية كانت كثيرة ، وصارت المنافرة والمفارقة بين معتنقيها من الخصائص الذاتية لهم ، حتى أصبح كل عالم ومتصوف يتصرف فى أعماله كأنه كون برأسه ويحسب أنه يجب على الناس أن يطيعوه فيما يأمرهم به وينهاهم عنه .

وعلى كل حال فقد ثبت أن عصر ولادة عبد الله الأنصارى ونشأته كان عصر المؤامرات والدسائس الدينية والسياسية التى تموج كأمواج البحر .

ولا شك أن هذه الأوضاع كان لها أثرها فى اضطرار أكثر الصالحين إلى أن يختار الحياة المنزوية ؛ لكى لا يقع فى الفتنة والمعصية والانحراف وإن كانت الحياة المنزوية فى دين الإسلام قد نهى عنها وأن دين الإسلام يقول : « لا رهبانية فى الإسلام » .

لكن مع كل هذه المشكلات استطاع عبد الله الأنصارى وسط

(c) ketabton.com: The Digital Library

أمواج الاضطرابات الدينية والسياسية ، ومع شدة الظروف ، وكثرة العوائق أن يشق طريقه إلى الصلاح والفلاح ، كما وفقه الله فيما بعد إلى هداية الناس سواء السبيل .

مدينة « هراة » التى ولد ونشأ فيها عبد الله الأنصارى

مدينة « هراة »(١) فى تاريخنا المعاصر عبارة عن إحدى ولايات أفغانستان الواقعة فى الغرب من عاصمة أفغانستان « كابل » بقرب الحدود بين أفغانستان وإيران .

كتب عبد الرحمن « جامى » فى كتابه « نفحات الأنس : أن عبد الله الأنصارى قال : « ولدت فى « قهندز »(٢) ونشأت فيها » .

ويمر بقرب مدينة « هراة » النهر الذى يسمى بـ « هرى رود » وينبع هذا النهر من جبال « غور » .

وقد كتب كثير من علماء العرب فى علم الجغرافيا بعد عصر عبد الله الأنصارى « عن مدينة « هراة » شروحا كثيرة ، ووصفوها

---

(١) هراة : مدينة من إحدى المدن الأربع المشهورة من « خراسان » القديمة نيسابور ، مرو ، بلخ ، هراة . وبلغ سكانها يوما ما ٨٥٠٠٠ نسمة وينسب بناؤها إلى « الاسكندر » وكانت لمدينة « هراة » شهرة كبيرة فى القرن الخامس عشر من ناحية العلم والفن والأدب . وقد اجتمع فيها العلماء والشعراء والفلاسفة والمتصوفون والمؤلفون . واتجه إليها الطلاب من أوطان بعيدة ، وقد حدث فيها كثير من الحوادث السياسية والمذهبية والاجتماعية .

(٢) قهندز : عبارة عن الحصار القديم من مدينة « هراة » ويسكن فيه فى عصرنا هذا المتعلقون بعبد الله الأنصارى ، والمريدون له قدس الله سره .

(c) ketabton.com: The Digital Library

بأنها مدينة عظيمة ، كما أنه كتب « حمد الله مستوفى قزوينى » فى كتاب « نزهة القلوب » لو يسأل السائل أى المدن أحسن وأحب ؟ فالجواب الصحيح أن يقال: « هراة » ، وقال أيضاً أن الدنيا مثلها كمثل البحر و « خرسان » فيها كمثل الصدف وأن مدينة « هراة » فى « خراسان » مثلها كمثل الجوهر فى الصدف .

ولا شك أن مدينة « هراة » مدينة جميلة وجوها لطيف وفيها من الفواكه والثمرات والخيرات الكثير .

وكانت هذه المدينة محاطة بجدار عظيم وشديد ، ولها أربعة أبواب إلى أربع جهات : شرق وغرب وجنوب وشمال ، كما أنها تتصل من ناحية الشمال بولاية « بلخ » .

ومن ناحية الغرب بولاية « نيسابور » ومن طرف الجنوب بولاية « سجستان » ومن جانب الشرق بولاية « كشك » وجبال « غور » ، وقد صنعت ثلاثة من هذه الأبواب الأربعة من الخشب ، والباب الرابع الشمالى منها صنع من الحديد . وتتصل ناحية الشمال من مدينة « هراة » بالمناطق الجبلية التى كان الناس يستفيدون من أحجارها فى البناء واصطلاح الطرق ، كما يجعلون من بعض أحجارها أحجار الطواحين .

وقد دخل الاسلام مدينة « هراة » فى عصر خلافة « عثمان بن عفان » - رضى الله تعالى عنه - وفتحها فاتح « خراسان » الاحنف بن قيس - رضى الله تعالى عنه - فى سنة ٣١ أو سنة ٢٢ ﻫ وقد كتب بعض الناس : أنه كان بالطرف الشمالى من مدينة « هراة » قرب المناطق الجبلية منها معبد « زردشتى » قديم يسمى بـ « سرشك »

(c) ketabton.com: The Digital Library

يزوره « زردشتيون » ، حتى القرن الرابع ، وأيضاً كانت فى طريق هذا المعبد « كنيسة » للمسيحيين .

وتتصل مدينة « هراة » من الطرف الجنوبى بمناطق خصبة . ويشتهر كثير من أنواع الفراكه فى هذه المنطقة وخاصة العنب ؛ لأن عنبها يمتاز نوعا وطعما ولذة (١) .

مجمل المذاهب والاتجاهات الموجودة فى مدينة « هراة »

فى عصر عبد الله الأنصارى

من الحقائق المسلم بها أن الاختلافات المذهبية والاتجاهات السياسية فى عصر عبد الله الأنصارى — كما أشرنا إليها سابقاً — وصلت إلى أقصى درجة من التشتت وذلك لأنه .

كان يوجد فى هذه المدينة مذاهب المسيحيين ، والزردشتين ، والخوارج ، والكرامية ، والجبرية ، والقدرية ، والمعتزلة ، وأهل التشيع ، إلا أن الأكثرية فيها لـ « السنى والحنفى » ، كما توجد فيها فرقة من الشافعية والحنابلة .

ومن ناحية أخرى كانت مدينة « هراة » فى أوائل عصر عبد الله الأنصارى تحت سلطة « الغزنويين » ثم انتقلت الحكومة فى عصره إلى « السلاجقة » ، وحدث فيها كثير من الاختلافات السياسية .

---

(١) من كتاب « زندكى »خواجه عبد الله الأنصارى» بالفارسية ص (١٦-٢٠).

(c) ketabton.com: The Digital Library

أحوال والد عبد الله الأنصارى وأمه

وما يتعلق بعبد الله قبل ولادته

ولقد ثبت أن والد عبد الله الأنصارى ، الذى يسمى بـ « أبى منصور » محمد كان من نسل الصحابى الأنصارى « أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى الخزرجى » النجارى الأزدى صاحب رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته بالمدينة حينما وصل إليها مهاجرا ، ومات بالروم غازيا ، فدفن بقرب سور القسطنطينية — رحمه الله تعالى — ولما توجه « الأحنف بن قيس » رضى الله عنه إلى « خراسان » وفتحها فى عصر خلافة عثمان « رضى الله تعالى عنه — كان معه أحد أولاد أبى أيوب خالد بن زيد الخزرجى هو « أبو منصور مت » ، فدخل مدينة « هراة » وأقام فيها .

وروى عن عبد الله الأنصارى « أن أباه أبا منصور محمد كان قارئا للقرآن الكريم ، صادقا فى الكلام ، متقيا فى أعماله ، ومن رجال التصوف وأهل الله .

وحكى عبد الله الأنصارى « عن » الشيخ أحمد كوفانى « الذى سافر إلى البلاد العديدة ، وزار أكثر الصوفيين أنه قال : مارأيت أحدا مثل أبى منصور فى التقوى والورع . وروى عن « أبى منصور » أنه كان لايقتل الحيوانات المؤذية (١) مثل العقرب والحية ... ، وأنه تعلم هذه الصفة والخاصية من مرشده « أميرجه سفال فروش » ،

---

(١) هذا لايتفق مع ماجاء فى دين الإسلام لأن دين الإسلام يأمر بأن يقتل المؤذى قبل الإيذاء لدفع ضرره .

(c) ketabton.com: The Digital Library

حتى حكى عنه أنه إذا كان رأى العقرب فى دكانه لايقتله ولكن يدفع ضرره عن نفسه فيرسله بعيدا عنه .

وكان أجداد أبى منصور قد جاءوا إلى مدينة « هراة » واستوطنوها من ثلاثة قرون وعلى الأغلب ولد أبو منصور فى مدينة « هراة » لكن لأسباب غير معروفة سافر إلى مدينة « بلخ » وقرأ هناك عن عالم حنبلى يسمى بـ « أبى المظفر حبال بن أحمد » .

وكان يعلم هذا الأستاذ الجليل تلاميذه الزهد والورع والتقوى ، وأثر تعليمه وتلقينه على أبى منصور كثيرا . ويعرف درجة فضل أبى منصور وأستاذه أنه حكى لابنه عبد الله الأنصارى « فى مدينة » « هراة » عن « أبى المظفر » وصيتين : -

الأولى : لاتطرد الذباب عنك عندما يكون أحد من المسلمين جالسا عندك لأنه يحتمل أن ينتقل الذباب إلى وجهه .

الثانية : كل من يحسن إليك فهو (فى الحقيقة) قد قيدك بقيود إحسانه ، وكل من يتعدى عليك فهو (فى الحقيقة) قد حررك من قيود نفسه ، فإذن الحرية (عن ربقة عبوديته) أولى وأفضل لك من أن تكون مقيدا فى قيوده (١) .

ولما توفى « أبو المظفر » أخذ « أبو منصور » يحضر إلى مجلس الشيخ « شريف حمزة العقيلى » وحصل على الإجازة منه « وقد كان »

(١) ليس غرض « أبى المظفر » رحمه الله تعالى عدم الاعتناء بإحسان الناس وكفران النعمة بل مقصوده أن يتسلى المصابون بالأضرار من أعدائهم ، حتى لايضيق قلوبهم بالأضرار التى وصلت إليهم من معاصريهم فتختل أفكارهم وييأسوا من المصالح الإجتماعية ويفضى ذلك إلى أن ينتقموا من أعدائهم الانتقام الشديد .

(c) ketabton.com: The Digital Library

« شريف حمزة العقيلى » فى الأصل من مدينة « هراة » ولكنه جاء إلى مدينة « بلخ » وأقام فى « رباط كرمانكان » وكان له شهرة فى التصوف والكرامات .

وكان من متعلقيه ومريديه : ـ

(١) يسير فارسى . (٢) أبو القاسم الحنابة .

(٣) الحسن الطبرى . (٤) العارف عيار .

(٥) عبد الملك الاسكاف الذى كان من آخر تلاميذ حسين ابن منصور البيضاوى الحلاج (١) وبلغ عمره أكثر من مائة سنة .

ويحكى أنه فى يوم من الأيام قالت واحدة من السيدات لـ « شريف حمزة العقيلى » أنها تريد الزواج من أبى منصور « فلما عرف « أبو منصور » هذا الأمر أظهر عدم رضائه وقال : أنه لايريد ان يتزوج أبدا ، فأنكر عليه شيخه « شريف حمزة العقيلى » وقال له : ستتزوج إمرأة ويولد لك منها ولد « لكن هل تعرف ماذا سيكون حال هذا الولد ؟ (أى لايكون ولدا عاديا بل سيكون نابغة

---

(١) ولد الحلاج فى سنة (٨٥٨ م) وتوفى سنة (٩٢٢ م) وكانت ولادته فى « الطور » قرب « البيضاء » (فارس) ، وتوفى فى « بغداد » وهو عالم وصوفى » قضى السنوات فى خلوات الصوفية لاسيما مع التسترى والجنيد ، ثم طاف البلدان داعيا إلى الزهد . اتهمه المعتزلة بالشعوذة ، فحكم عليه ، وسجن فى بغداد ، ثم عذب وصلب . أنشأ الحلاج مذهبا فى الفقه وعلم الكلام والتصوف ، وأثار حوله الجدل ، فقدسه البعض وكفره غيرهم . ولم يبق من مؤلفاته باللغة العربية الا كتاب « الطواسين » طبعه ماسينيون . هذا ماجاء فى المنجد ص (١٦٣) فى الأدب والعلوم -

وقد ذكر عنه « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » فى كتاب « طبقات الصوفية » بالفارسية المطبوع فى كابل سنة (١٣٤١ هـ ش) من ص (٣١٥ - ٣٢٩) حكايات كثيرة إلا أنه قال فى حق الحلاج « أنه لايقبله ولا يرده » . أى توقف شيخ الإسلام فى كفره وإسلامه وصلاحه وفسقه . والعلاقة بين « شيخ =

(c) ketabton.com: The Digital Library

عصره) (١) . ثم سافر أبو منصور من مدينة « بلخ » ورجع إلى مدينة « هراة » وتزوج فى مدينة « هراة » من إمرأة وولد له منها « عبد الله الأنصارى » كما استقر « أبو منصور » فى مدينة « هراة » وفتح فيها متجرا ، -

وقام بتربية ولده « عبد الله الأنصارى » ، وكان فى كثير من الأحيان يذكر لولده الأيام التى قضاها فى مدينة « بلخ » ، وظل هكذا يذكر له توجيهات أساتذته ومرشديه ومن قصص العلاقات الأخوية بينه وبين رفاقه ومعارفه ، وبالتالى يفكر أبو منصور فى انطباعات ولده من القراءة والمطالعة والسماع من الأساتذة ، حتى أن فى يوم من أيام طفولة « عبد الله الأنصارى » حينما ذكر عبد الله الأنصارى من أوصاف الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم قال له والده :

« إلى متى تتكلم عن » الفضيل « وإبراهيم بن أدهم » ؟ والحال أنه يجيء منك رائحة « الفضيل » و « إبراهيم بن أدهم » ، وظل الحال على هذا المنوال بين عبد الله الأنصارى ووالده ، حتى جاءت فى يوم من الأيام على أبى منصور جذباته السلوكية ، ووصلت مواجيده إلى درجة لم يستطع معها أن يستقر فى مكان ، فوثب من متجره فورا وقال : « سبحانك اللهم » ، وأغلق متجره وترك جميع

= (الإسلام ، والحلاج هى أن واحدا من تلاميذ الحلاج عبد الملك الاسكاف كان صديقا لوالده ، فحكى والد شيخ الإسلام عن الحلاج كثيرا من الحكايات بواسطته .

(١) لوصح هذا فأقول : أن دين الإسلام لا يأبى كرامة الأولياء ، بل قد ذكر كتب العقائد : « إن كرامة الولى هى فى الحقيقة مظهر لمعجزة الرسول » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ماكان له من المال والأولاد (١) ، وسافر بانفراده إلى مدينة « بلخ » (٢) ولما وصل إليها التحق بمرشده « شريف حمزة العقيلى » وبقى هناك ولم يرجع بعد هذا إلى مدينة «هراة» ، حتى توفى فى مدينة « بلخ » سنة (٤٣٠ هـ - ١٠٣٩ م) ودفن فى مدينة « بلخ » (٣) .

ومما يؤلمنى هو أن صادف عبد الله الأنصارى وأسرته المشقة والعسرة بعد ما تركهم أبوه ولكن يسرنى أن أفكر فى أن المشكلات والأزمات تنمى فى الإنسان بذور استعداداته ، وأن الوصول إلى الغاية يتطلب الجهد والاجتهاد .

وأيضاً مما يسرنى أن أذكره هو أن أقارب عبد الله الأنصارى وبعض أساتذته وبعض أصدقاء أبيه ساعدوه مساعدة الكفاف بعد ما تركه أبوه فى حفظ الله سبحانه وتعالى .

وروى أن أم « عبد الله الأنصارى » كانت سيدة صالحة تعبد الله وتساعد إبنها « عبد الله الأنصارى » فى تحصيل العلوم ، حتى أنها حينما كان إبنها يشتغل فى كتابة الأحاديث ويترك أكله كانت تدخل لقمة الطعام فى فم ولدها ، لكى لا يضره الجوع .

---

(١) لم تتضح عندى الظروف والأسباب التى تسببت فى أن يضطر أبو منصور إلى سفره هذا لكن الذى أعرف وثبت عندى هو أن دين الإسلام يأبى أن يترك الحر العاقل البالغ باسم الدين والتصوف أولاده وعياله فى المشقة ، اذ قد ثبت فى دين الإسلام أن للأولاد والزوجه حقوقهم ونفقتهم على ذمة الأب والزوج .

(٢) لم يعرف تاريخ سفره بالضبط .

(٣) من كتاب « زندكى خواجه عبد الله الأنصارى » المطبوع فى « كابل » سنة (١٣٤١ هـ ش) ص (٢١ - ٢٥)

(c) ketabton.com: The Digital Library

ويكفى أن أقول : أن كل هذه الظروف والأسباب التى كانت محيطة بـ « عبد الله الأنصارى » لها دخل فى مصير حياته ، ولها تأثير فى تكوين شخصيته » .

حياة عبد الله الأنصارى

هو عبد الله بن محمد بن على بن محمد بن أحمد بن على بن جعفر ابن منصور بن مت الأنصارى الهروى ، الفقيه ، الحافظ ، الواعظ ، شيخ الإسلام أبو اسماعيل .

وقد سبق لنا القول أنه من ولد أبى أيوب زيد بن خالد الأنصارى الخزرجى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى أقام النبى صلى الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة فى بيته .

وجاء إلى مدينة « هراة » من أجداد « عبد الله الأنصارى » جده الذى يسمى بـ « أبى منصورمت » فى عصر عثمان رضى الله تعالى عنه — مع فاتح « خراسان » الأحنف بن قيس » واستوطن فيها .

ولد عبد الأنصارى يوم الجمعة وقت غروب الشمس فى الثانى من شعبان فى فصل الربيع من سنة ست وتسعين وثلاثمائة الموافق ٤ من مايو سنة (١٠٠٦ م) وكانت الشمس فى درجة سبعة عشر من شهر ثور فى أيام شم النسيم والزهور والاعتدال(١) .

---

(١) أيد عبد الرحمن « جامى » فى كتابه « نفحات الأنس » التاريخ المذكور من لسان « عبد الله الأنصارى » وأيده أيضا عبد القادر الرهاوى فى كتابه « المادح والممدوح » الذى يتضمن مناقب شيخ الإسلام الأنصارى وما يتعلق =

(c) ketabton.com: The Digital Library

عصر طفولة عبد الله الأنصارى

كتب عبد الرحمن « جامى » فى كتابه « نفحات الأنس » عن « عبد الله الأنصارى » أن كثيراً من العظماء أخبروا فى أيام طفولة « عبد الله الأنصارى » عن مستقبله المشرق اللامع .

وقد قال الشيخ « شريف حمزة العقيلى » يوما لأصحابه فى مدينة « بلخ » سيلقب فى يوم من الأيام ابن « أبى منصور » بشيخ الإسلام .

وروى عن إحدى السيدات العجائز المشهورة بالذكاء والعلم : « أن الخضر عليه السلام قال لها :(١) سيملأ العالم من المشرق إلى المغرب صوت عظمة هذا الطفل وشهرته (٢) وهكذا ذكرت روايات أخرى يثبت من جميعها أن عبد الله الأنصارى شوهد عليه فى أيام طفولته ما ينبىء عن مستقبله مثل قوة الذكاء والاستعداد ، والنبوغ ، وحسن القريحة ، وموازنة التصرفات وغيرها مما يخبر بأن هذا الطفل سيكون فى المستقبل من كبار الرجال ، فعلى هذا كان كل من العلماء والصالحين

= بها ، وكذا ذكر عبد الغافر ابن إسماعيل الفارسى فى ذيل تاريخ « نيسابور » أنه ولد فى سنة ثلاثمائة وست وتسعين ، فإذن هذا أصح مما ذكره « ابن قيم الجوزية » فى كتابه « مدارج السالكين شرح منازل السائرين » أنه ولد فى ذى الحجة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة هجرية .

(١) لعله فى المنام أو على قول من يقول : إن الخضر عليه السلام حى إلى الآن ، ويلاقى من أراد الله — تعالى — أن يلاقيه .

(٢) لو صح هذا فلا يتنافى مع ماجاء فى التعاليم الإسلامية لأن كرامة الأولياء كما قلنا مظهر لمعجزة الرسول .

(c) ketabton.com: The Digital Library

الذين لهم التعلق والتعارف مع والد « عبد الله الأنصارى » ينظرون إلى « عبد الله الأنصارى » فى أوان طفولته بنظرة الشفقة والاحترام ، ويساعدونه فى حياته ، ويوجهونه حسن توجيه .

روى أن أبا منصور كان يأخذ معه ولده « عبد الله الأنصارى » إلى صلاة الجمعة ويلتمس من الرجال الصالحين أن يدعوا له دعاء ويمسحوا بأيديهم على رأسه تبركا .

وكان يحس « عبد الله الأنصارى » فى نفسه أن معارف أبيه وأن الرجال الصالحين يحبونه مثل أبيه .

وقد كان والد « عبد الله الأنصارى » من الرجال الصالحين ، ويتعامل مع العلماء الصالحين والأتقياء ، وكان بينهم الترابط والعلائق الوطيدة ، وكانوا يعقدون المجالس العلمية والروحية والندوات السلوكية ، وتمت بينهم لقاءات خاصة . ، كما حكى عن « عبد الله الأنصارى » أنه ذكر عن أيام طفولته ، فقال : إنه رأى فى بيته كثيراً من الرجال الأتقياء والصالحين . لكن لم يبق فى حافظته من أسمائهم وأحوالهم سوى أن يخطر فى باله عنهم بعض الملامح ، ويحكى « عبد الله الأنصارى » عن أيام طفولته أيضاً — أنه رأى يوما الشيخ أبا على كيال ، وأحمد نصر ، وأبا سعيد مالينى جالسين جنبا إلى جنب .

هذا كله يدل على أن القدر هيأ لعبد الله الأنصارى وسائل العلم والمعرفة والخير والصلاح .

(c) ketabton.com: The Digital Library

كيف بدأت دراسات «عبد الله الأنصارى»

كتب عبد الرحمن «جامى» فى كتابه «نفحات الأنس» عن «عبد الله الأنصارى»: أصل النص باللغة الفارسية: «أول مرا درد برستان زنى كردند كفتند: زبان دارد چون چهار ساله شدم مرا درد بيرستان مالينى كردند وچون نه ساله شدم إملا نوشتم از قاضى أبا منصور واز جارودى وچهارده ساله بودم كه مرا به مجلس بنشاندند ومن درد برستان أديب خرد بودم كه شعر ميكفتم چنانچه دكران را أزمن حسد مى آمد ....»

«حاصل ترجمة هذا النص»

«هم أدخلونى أولا فى مدرسة للسيدة وقالوا: له لسان (أى يستطيع التعلم)، وحينما وصلت سنى إلى الرابعة أدخلونى فى مدرسة للمالينى، وعندما وصلت سنى إلى التاسعة تعلمت الاملاء عن القاضى أبى منصور» ومن «جارودى» — وفى سن الرابعة عشرة أجلسونى فى المجالس وكنت حينئذ أديبا صغيراً فى المدرسة أنشد الشعر وهذا ما سبب لى حسد الآخرين.

حكى: أن يوما من الأيام حينما كان «عبد الله الأنصارى» فى المدرسة مع زملائه طلب منه واحد من أصدقائه أن ينشد الشعر العربى فى وصف جمال وجه زميله الذى هو موجود معهم فى الصف فأنشد «عبد الله الأنصارى» بالبداهة ما يأتى: —

لأبى أحمد وجه قمر الليل غلامه ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وله لحظة غزال رشق القلب سهامه

(c) ketabton.com: The Digital Library

أقول : يظهر من هذا أن « أبا منصور » توجه سريعاً أبان طفولة ابنه إلى تربيته وتوجيهه من الناحية العلمية والأخلاقية ، كما يثبت أن « عبد الله الأنصارى » كان له فى طفولته وصغره قوة الذكاء والاستعداد الفطرى السليم ، فلأجل هذا استطاع أن يستفيد من دراسة القراءة ، والكتابة ، والإملاء والأدب حينما كان طفلا .

وأقر بأن السيدة التى علمت « عبد الله الأنصارى » القراءة أولا لم أجد المعلومات عنها ، وأيضا لم أجد المعلومات عن أستاذه فى مدرسة « مالينى » .

لكن وجدت المعلومات عن أستاذيه اللذين تعلم « عبد الله الأنصارى » عنهما الكتابة والإملاء فى سن التاسعة الموافقة لسنة (٤٠٥ هـ — ١٠١٥ م) هما القاضى « أبو منصور » و « جارودى » ، وسأذكر عنهما هذه المعلومات فيما يأتى لأنهما قد أثرا فى تكوين شخصية « عبد الله الأنصارى تأثيرا كبيراً .

١ — القاضى أبو منصور « الأزدى »

روى : أن سن القاضى « أبى منصور » قد زادت عن ثمانين سنة حينما تعلم « عبد الله الأنصارى » عنه ، وقد كان رجلا فاضلا وفقيها ومحدثا ، وجلس على كرسى القضاء حوالى ثلاثين سنة ، وكان هو شيخ جميع الشافعيه الذين يسكنون فى « هراة » وله شهرة كبيرة فى الديار . يتجه إليه الطلاب المخلصون من كل النواحى ويسألونه فى الأحاديث النبوية .

ويحكى : أن السلطان محمود « الغزنوى » كان يحترمه كما يحكى أن خليفة الفاطميين أرسل رسولا إلى « القاضى » أبى منصور « فى شهر

(c) ketabton.com: The Digital Library

ذى القعدة سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٣ م) يطلب منه خفية أن يدخل فى مذهب الباطنية ، ولما وصل رسوله إلى « خراسان » أخذه السلطان « محمود » وقتله ، ثم أرسل مركبته (بغلة) إلى « القاضى » أبى منصور هدية وكتب السلطان « محمود » إليه الخطاب الآتى :

« كان يركب رئيس الملحدين على هذا الحيوان حتى الآن وسيركب رئيس الموحدين عليه بعد هذا اليوم » .

ومما ثبت أن القاضى « أبا منصور » كان رجلا عالما وأنه كان حساما فى الاستدلال على أهل البدع . ولما أصدر السلطان « محمود » الغزنوى أوامره فى سنه ٤٠٨ هـ (١٠١٨ م) بمجازاة المعتزلة فرح القاضى « أبو منصور » باصدار هذه الأوامر واشترك معه فى هذه الفرحة تلميذه « عبد الله الأنصارى » الذى وصلت سنه إلى الثانية عشرة ، وكان فى ذلك العصر يسكن فى مدينة « هراة » كثير من المعتزلة .

٢ — « جارودى » :—

كان حافظا للقرآن الكريم والأحاديث النبوية وقد وصل فى العلم إلى درجة بأن أصبح أهلا للحضور إلى محاضرات الأساتذة الكثيرين فى مدينة « نيسابور » و « همذان » و « أصفهان » و « البصرة » وكان رجلا ذا تقوى وورع وقناعة ،

وكان لا يكتفى فى تعلم الأحاديث بقراءة متن الحديث فقط ، بل كان يتكلم فى صحة الرواية أيضا . ومما يكفى فى إثبات علمه وفضله أن « عبد الله الأنصارى » حين يروى عن أستاذه جارودى يقول :

(c) ketabton.com: The Digital Library

« إمام أهل الشرق جارودى » ، هذه هى المعلومات الوجيزة عن أستاذة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » فى أيام طفولته . لكن فى عصر طفولته ترك أبوه الأهل والأموال بسبب ما حدث له من الجذب الروحى .

وقد كتب « عبد الرحمن » « جامى » فى كتابه « نفحات الأنس » عن « عبد الله الأنصارى » أنه قال :

« كنت لا أزال صغيراً (١) حينما ترك والدى الدنيا ونثر كل مافيها ، فأوقعنا فى العسر وأول فقرنا ومشقتنا بدأ من ذلك الوقت » .

يظهر من هذا أن « عبد الله الأنصارى » قد صادفته مشكلات الحياة فى أوان طفولته وبدأ بكفاح الحياة قبل الشباب .

ومما يسرنى ذكره أن أصدقاء والده وبعض الرجال الصالحين قد ساعدوه ماديا ومعنويا وبخاصة الشيخ « يحيى بن عمار الشيبانى » و « الشيخ أبو اسماعيل أحمد بن محمد بن حمزة » الملقب بشيخ عمو (٢) .

ولما كان هذان الأستاذان الجليلان لـ « عبد الله الأنصارى » قد ساهما فى حسن تربيته إسهاما كبيراً ، فعلينا أن نعرف نبذه من أحوالهما فيما يأتى : —

---

(١) يثبت من النص الذى قاله « عبد الله الأنصارى » حينما كنت فى سن (الرابعة عشرة) أجلسونى فى المجالس ، ومن الدلائل الأخرى أن والد « عبد الله الأنصارى » ترك ماله وأولاده فى سنة ٤١٠ هـ أى فى عصر قد وصلت سن عبد الله الأنصارى (الرابعة عشـــرة) لا كما قال « سرزبوركوى » « راهب دومينيكى » أنه وصلت سنه إلى عشر سنوات .

(٢) عمو : بسكون الميم والواو المتواضع ولقبه شيخ « نهاوندى » بهذا اللقب لكى لايغتر بأصله ونسبه ، وبفتح العـــين وضم الميم بمعنى أخى الأب وهذا ليس مرادا هنا .

(c) ketabton.com: The Digital Library

١ — يحيى بن عمار الشيباني :

كان هو فى الأصل من مدينة « سجستان » وعالم بعلم التفسير والحديث وله فى الشعر والأدب قوة اليد ، وكان واعظا مشهورا ومرشدا فى مدينة « هراة » وصاحب الأموال الكثيرة . وقد درس « عبد الله الأنصارى » عليه علم التفسير بعد ما أتم قراءة القرآن الكريم ، ثم بعد مدة قليلة لما ظهرت لياقته تحدث أستاذه بصوت عال عن حسن درايته ، فقد قال الشيخ « يحيى بن عمار » يوما فى سنة ٤١٠ هـ لأهل محله « قهندز » فى مدينة « هراة » « ساعدوا عبـد الله الأنصارى » وتلطفوا معه لأنه يخرج منه رائحة الإمام » وقد أثر قوله هذا على الناس كثيرا ، فأخذوا يترددون عليه ويستمعون إليه .

وحكى أن الشيخ يحيى بن عمار لمـا صح من مرضه الذى أصابه وجلس على منبره قال : لما توفى المصطفى — صلى الله عليه وسلم — أقام الناس ، أبا بكر الصديق ، — رضى الله تعالى عنه — مقامه ، فأنا إذا مت فليقم « عبد الله الأنصارى » فى مقامى وأنه ليضرب على رأس الملحدين والمبتدعين (١) وذكر عبد الله الأنصارى فى حق أستاذه هذا :

---

(١) الغرض من التشبيه ليس إلا الاتباع ما حصل بعد وفاة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وهو أن الصحابة أقاموا « أبا بكر الصديق » — رضى الله تعالى عنه — مقام النبى — صلى الله عليه وسلم — لفضله ، ووجه التشبيه خدمة مصالح الناس والدفاع عن الحق ، ولم يكن عند يحيى بن عمار « فى التشبيه غير هذا الغرض ، لأنه كان رجلا صالحا لم يكن عنده الأنانية ولا سوء الأدب فى تشبيه مقام نفسه بمقام الرسول — صلى الله عليه وسلم — ومقام صديقه وتلميذه الفاضل « عبد الله الأنصارى » بمقام « أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — .

(c) ketabton.com: The Digital Library

« لو أنى ما رأيته لما استطعت أن أطلق لسانى (فى مجالس التذكير والتفسير) وقد تعلم « عبد الله الأنصارى » طريقة تفسيره للقرآن الكريم بالتفصيل والشرح والتأنى من أستاذه الكبير هذا . وقال : « عبد الله الأنصارى » فى بيان اوصافه القول الآتى : —

« يحيى بن عمار كان سلطانا فى لباس عالم » .

وروى عن « يحيى بن عمار » أنه قسم العلوم إلى ما يأتى : —

١ — علم يحيى الدين (علم التوحيد والتصوف) .

٢ — علم يقوى الدين (علم الوعظ والتلقين) .

٣ — علم يداوى به الدين (علم الفقه) :

٤ — علم يمرض به الدين (علم الأخبار عما وقع من الخلافات والمنازعات بين السلف) .

٥ — علم يهلك به الدين (علم الكلام الذى حاول به بعض الناس أن يحل كل المسائل الإيمانية بعقل الإنسان) .

٢ — الشيخ « عمو » :

ولد الشيخ « عمو » فى سنة ٣٤٩ هـ (٩٦٠ م) وحضر إلى مجالس كبار الصوفيين وزار البلاد الإسلامية المتمدنة ، كما أنه غادر فى سنة عشرين مدينة « هراة » قاصداً أداء الحج . لكن لما وصل إلى مجالس « أبى بكر » فى مدينة « نيسابور » واستمع إليه أطاعه فيما نصحه فرجع إلى خدمة أبيه .

وهو كان فى سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) فى مدينة « بخارى » يستفيد هناك من مجالس الصوفى الشهير « أبى بكر فاليزبان » (الذى زار الشيخ

(c) ketabton.com: The Digital Library

« الجنيد البغدادى » واستفاد منه السلوك)، واستفاد أيضاً من صحبة الصوفى المشهور الآخر الشيخ « بابا فرغانى ».

وفى سنة (٣٧٤ هـ - ٩٨٤ م) سافر الشيخ عمو فى صحبة الصوفى المشهور « أحمد نصر تالقانى » إلى مكة المكرمة وقد زار هناك الأساتذة العظماء مثل « على بن جعفر الشبروانى » و « أبى الحسن بن جهضم »، وزار فى جملة الصوفين أيضا « أبا العباس النسائى » و « أبا العباس الآملى » و « أبا على الدقاق » و « أبا بكر المفيد » « وأبو بكر المفيد » هذا هو الذى استفاد السلوك من مجالس « الجنيد » ودرس من « نهاوندى » أيضا (١). وكان للشيخ « عمو » فى مدينة « هراة » خانقاه (تكيه) للمسافرين والمساكين.

ثم لما وجد الشيخ « عمو » فى « عبد الله الأنصارى » حسن اللياقة والذكاء اتخذه ولدا وعامله معاملة الأب لأولاده، وكان يجلسه بجواره ويأكل معه وينصحه ويحكى معه وينصحه ويحكى له حكايات حياته ويروى له أخلاق أساتذته، ومرشديه كما تحمل أيضاً جزءاً من نفقة « عبد الله الأنصارى »، ولا شك أن الشيخ « عمو » ساعده مادياً ومعنوياً(٢).

يظهر من كل هذا أن حسن توجيه « أبى منصـــور » لولده « عبد الله الأنصـارى » ومعاملته وروابطه مع العلمـاء والصالحين

---

(١) « نهاوندى » كان تلميذا لـ « جعفر الخلدى » الذى كانت له الشهرة فى التصوف وكان مخالفا للمنصور الحلاج ».

(٢) من كتاب « زندكى » خواجه عبد الله الأنصارى » بالفارسية » ص (٢٦ — ٣٤).

(c) ketabton.com: The Digital Library

والأتقياء قد أثر فى حياة « عبد الله الأنصارى » وهيأه للعلم والصلاح والتقوى ، وحرك استعداده ومشاعره حركة شديدة فى طريق العلم والعمل ، وطبعه بالأخلاق الحسنة من أول أمره .

ويثبت من هذا أيضا أن « أبا منصور » قد أحسن توجيه ابنه لأنه بدأ بتعليمه القراءة والكتابة ، ثم بتعليمه الأدب الفارسى والعربى ، وانتخب له الأساتذة العظماء ، ومن جانب آخر كان يحكى « أبو منصور » لولده من تجاربه ومن حكايات العلماء والصالحين وكان يأخذه معه إلى مجالس الأساتذة ، والأتقياء ، وإلى أداء الصلاة .

ولا شك أن « عبد الله الأنصارى » كان أيضاً له قوة الاستعداد والذكاء ، وقوة الحفظ والنشاط فاستفاد من المجالس وحلقات الدروس أكثر وأدق وأسرع إفادة .

أوائل شباب « عبد الله الأنصارى »

بدأت مرحلة جديدة فى حياة « عبد الله الأنصارى » حينما وصلت سنه إلى الرابعة عشر أى فى سنة (٤١٠ هـ — ١٠٢٠ م) لأن أساتذته فى هذه المرحلة لم يعدوه من الأطفال ، بل أصبحوا يجلسونه فى ندواتهم ومحافلهم إلى جوارهم .

لكن — مع الأسف — توفى أستاذه الكبير القاضى « أبو منصور » فى شهر محرم من هذه السنة وكانت سنه تقارب التسعين .

من أجل هذا ذهب عبد الله الأنصارى إلى أستاذه الجليل الآخر

(c) ketabton.com: The Digital Library

عبد الجبار بن عبد الله بن أبي الجراح المرزباني(١) الذي كان يدرس كتاب « أبي عيسى الترمذي » ، فقرأ عليه في حوالى سنتين وأعجب به ، حتى كان « عبد الله الأنصاري » يفضل كتاب « أبي عيسى الترمذي » على كتابي « البخاري » و « مسلم » ، كما جاء في كتاب الذيل على على طبقات الحنابلة(٢) ما يأتي : « قال ابن طاهر الحافظ : « سمعت أبا اسماعيل يقول : كتاب أبي عيسى الترمذي عندي أفيد من كتاب البخاري ومسلم ، فقلت لم ؟ قال : لأن كتاب البخاري ومسلم لا يصل إلى الفائدة المرجوة منهما إلا من يكون من أهل المعرفة التامة ، وهذا كتاب قد شرح الأحاديث وبينها ، فيصل إلى الفائدة منه كل واحد من الناس من الفقهاء والمحدثين وغيرهم (ممن لهم بعض الخبرة والدراية) »

وقد التقى « عبد الله الأنصاري » بالصوفي الحنبلي الكبير « أبي عبد الله محمد الفضل الطاقي السجستاني »(٣) الذي كانت له هيبة عظيمة في الجسم وفي إلقاء النظرة ، فقد أثر هذا الصوفي في حياة « عبد الله الأنصاري » « تأثيراً عميقاً » وأعجب هذا الصوفي أيضاً بـ « عبد الله الأنصاري » ،

---

(١) كان الأستاذ « عبد الجبار » في الأصل من « مرو » جاء إلى مدينة « هراة » وأقام فيها وتعلم كتاب الترمذي عن « أبي العباس محمد التاجر المحبوبي » الذي توفي سنة ٣٤٦ هـ) وكان « أبو العباس » تلميذاً للإمام الترمذي الذي كان مؤلفا لكتاب الترمذي ، فعلى هذا كان عبد الله الأنصاري في الحقيقة تلميذاً للإمام الترمذي بواسطتين هكذا ذكر في المجلد الثالث من كتاب « شذرات » لابن العماد . وفي كتاب « زندگی خواجه عبد الله الأنصاري » .

(٢) الجزء الأول ص (٥٩) .

(٣) هذا اللقاء قد تم على الراجح في سنة (٤١٠ هـ — ١٠٢٠) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

كما أنه حدث فى يوم من الأيام أن قال الشيخ « الطاق » لـ « عبد الله الأنصارى » : « سبحان الله ما هذا النور الذى أودعه الله — تعالى — فى قلبك ! » .

فقد حكى عن « عبد الله الأنصارى » أنه قال : « أثر كلامه هذا على قلبي وكنت أحس أن هذا الكلام قد نور قلبي » ، فتعلم عبد الله الأنصارى من هذا الشيخ إرشادات الصوفية وعقيدة الحنابلة كما قال عبد الله الأنصارى فى حقه :

« لو أنى ما رأيته ما عرفت عقيدة الحنابلة » . وقد هيأ الشيخ « الطاق » تلميذه « عبد الله الأنصارى » للمجادلة مقابل أهل البدعة والملاحدة أكثر مما هيأه من قبل أستاذاه القاضى « أبو منصور » و « يحيي بن عمار » لهذا الأمر .

ومن جملة أساتذة « عبد الله الأنصارى » الذين أثروا فى حياته ، ويحترمهم كثيراً ؛ أستاذه « أبو الحسن البشرى السجزى » .

قائمة بأسماء أكثر أساتذة عبد الله الأنصارى

فى هذه المرحلة إلى سنة (٤١٧ ﻫ)

١ — الشيخ « عمو »
٢ — الشيخ « يحيي بن عمار »
٣ — الشيخ « الطاق السجستانى »
٤ — الشيخ « البشرى السجزى »

(c) ketabton.com: The Digital Library

٥ — الشيخ « الجراحى »

٦ — الشيخ « محمد الباشانى »

٧ — الشيخ « أحمد الحاجى »

٨ — الشيخ « أبوسلمة الباوردى »

٩ — الشيخ « أبوعلى زركر »

١٠ — الشيخ « أبوعلى بوته كر »

١١ — الشيخ إسماعيل الدباس

١٢ — الشيخ « محمد أبو حفض الكورنى »

وقد استفاد أيضاً فى شهر رجب سنة (٤١٤ هـ) بعدد من أشعار « النورى » من لسان « أبى القاسم الأبيوردى » الذى كان واعظا سيارا يمر فى هذا العصر على مدينة « هراة »

ومن جملة ما أحزن « عبد الله الأنصارى » فى هذه المدة هو وفاة أستاذه القاضى « أبى منصور الأزدى » فى شهر المحرم سنة (٤١٠ هـ) ووفاة أستاذه « الجراحى » فى سنة (٤١٢ هـ) ، ثم وفاة أستاذه « الجاوردى » فى ٢٣ من شهر شوال سنة (٤١٣ هـ) وحصل فى سنة (٤١٤) أن توفى أستاذه « محمد الباشانى »

وفى أول شهر صفر سنة (٤١٦ هـ) توفى مرشده الكبير الشيخ « الطاقى السجستانى »

وقد أثرت هذه الحوادث على حياة عبد الله الأنصارى تأثيراً

(c) ketabton.com: The Digital Library

كبيراً ، فعزم على أن يسافر إلى مدينة « نيسابور »(١) . فى سنه (٤١٧ ﻫ) لينسى الأحزان والمصائب التى ألمت به وليستفيد علم القال والحال — أكثر مما عنده — من الأساتذة العظماء فى مدينة « نيسابور » التى كانت مركزاً للعلوم والفنون فى ذلك التاريخ(٢) .

سفر « عبد الله الأنصارى » إلى مدينة « نيسابور »

سنة (٤١٧ ﻫ - ١٠٢٦ م) وما حدث له هناك

جاء فى الكتاب المسمى بـ « الذيل على طبقات الحنابلة » لابن رجب أن شيخ الإسلام الأنصارى سافر إلى « نيسابور » سنة سبع عشر وأربعمائة طالباً للحديث والفقه ومجالسة المشايخ والاستفادة منهم والتبرك بصحبتهم ، ورجع فى نفس تلك السنة(٣) .

---

(١) مدينة « نيسابور » واقعة فى الطرف الشمال الغربى من مدينة « هراة » والمسافة بين هاتين المدينتين عشرة أيام وكانت مدينة « نيسابور » فى عصرها أهم مدن « خراسان » ، وكانت لها ٤٢ محلة وتوابع كثيرة أخرى ، وبها المسجد الجامع الذى بنى فيها فى عصر « صفاريان » الذى له عظمة وشهرة كبيرة فى البلاد . وكانت لمدينة « نيسابور » أربع طرق شمالا وجوبا وشرقا وغربا مثل مدينة « هراة » ويعيش فيها الكثير من أساتذة علم الحديث والتفسير والفقه والتصوف والعلوم الأخرى ، وفيها العديد من المدارس للدرس والمحاضرة والمناظرة.

وروى أن « الخطيب البغدادى » حينما كان طالبا للعلم استشار « البرقانى » فى السفر لطلب العلم ، فأشار عليه بقوله : « إذا ذهبت إلى « نيسابور » فإنك سترى فيها جماعة من الأساتذة ، فإن لم تستطع أن تصل إلى أحدهم ، فستصل إلى الآخر ، فقبل « الخطيب البغدادى » نصيحته وسافر إلى « خراسان » وتعلم فى « نيسابور » من الأساتذة الذين قد زارهم « عبد الله الأنصارى » أيضاً بعده .

(٢) من كتاب زندكى » خواجه عبد الله الأنصارى » بالفارسية ص (٣٥ - ٤١)

(٣) الجزء الاول من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ص (٦٠)

(c) ketabton.com: The Digital Library

وحينما وصل « عبد الله الأنصارى » إلى مدينة « نيسابور » بدأ بجمع الأحاديث وكان يذهب ، ويقرأ ، ويكتب بسرعة ، ويستفيد فى يوم واحد من المجالس الكثير ولا يضيع وقته ، ويكتب فى الليل ما حصل فى النهار .

وتعلم « عبد الله الأنصارى » فى مدينة « نيسابور » من تلاميذ المحدث الكبير الشهير (فى القرن الرابع) — « أبى العباس محمد بن يعقوب الأصم » الذى توفى بعد أن عاش ما يقرب من مائة سنة فى يوم الإثنين ٢٣ من شهر ربيع الثانى سنة (٣٤٣ هـ - ٢٤ من يوليو سنة ٩٥٧ م) وكان من جملة تلاميذ الشيخ الأصم « أبو سعيد الصيرافى (الذى خدم أستاذه « الأصم » فى عمره الأخير وتحمل نفقته ، وقد سمع هو من لسانه أحاديث كثيرة) و « أبو الحسن على الطرازى » (الذى كان أديبا ومحدثا وحنبليا ، وكان يعتمد عليه « عبد الله الأنصارى » اعتمادا كبيرا) و « أبو نصر منصــور » (مفسر القرآن الكريم) و « أبو الحسن أحمد السليطى » (الذى كان عالما لعلم الصرف والنحو) و « القاضى الشهير « أبو بكر الحيرى » الذى قال « عبد الله الأنصارى » فى حقه : « وجدت فى نيسابور » القاضى أبا بكر الحيرى » لكن ما كتبت عنه الحديث ؛ لأنه كان متكلما وأشعرى المذهب وإن كانت عنده الأسانيد العالية فى الأحاديث .

ومما يلزم أن أذكره أن « عبد الله الأنصارى » لم يكن فى مدينة « نيسابور » طالباً للعلم فى الدرجة الإبتدائية ، بل كانت منزلته فى مدينة « نيسابور » مثل منزلة الطالب الذى كان فى الدراسات العليا لأنه تعلم قبل سفره فى مدينة « هراة » كثيراً من العلوم ، فيستطيع

(c) ketabton.com: The Digital Library

أن يبحث فى مدينة « نيسابور » مع أساتذته فى المسائل الغامضة ، كما أن « الإمام أبا الفتح ناصر القرشى المروزى » أقر بفضله ، وجاء أيضاً فى كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب(١) » عن « الرهاوى » أنه قال :

سمعت « عبد الله الأنصارى بنيسابور » يقول : دخلت على الإمام ناصر المروزى بنيسابور ، وكان مجلسه غاصاً بتلاميذه ، واحتف به الفقهاء ، وكان يدرس ويقول : روى عن أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — أنه كان يقرأ فى الركعة الثالثة من صلاة المغرب : (رب زدنى علما) ، فقلت — أيد الله الشيخ الإمام — : أحديث عهد أنت بهذا الحديث وهو على ذكرك ؟ ، فقال : لا ، فقلت : كان يقرأ فى الركعة الثالثة من صلاة المغرب : (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) ، فقال صدقت ورجع إلى قولى ، وحث القوم على إثباته وتعليقه ، ثم بكرت إليه من غد هذا اليوم ، فرحب بى ، وأعلى محلى ، وأجلسنى فوق جماعة زهاء سبعين والذين كنت بالأمس جالساً دونهم ، ومدحته بقصيدة ، وواظبت على الاختلاف إليه وكنت آخذ الفقه عنه مدة(٢) .

وقال « الرهاوى » وأيضاً لقى الشيخ « بنيسابور » الشيخ أبا عبد الله بن باكويه الشيرازى(٣) ، وتكلم بين يديه فرضى

---

(١) المجلد الأول ص (٦١ — ٦٢) .

(٢) تعلم عنه فقه الإمام الشافعى « رحمه الله تعالى » .

(٣) المعروف باسم « باباكوهى » تعلم فى « نيسابور » من القشيرى و « أبى سعيد بن أبى الخير » وزار « أبا العباس نهاوندى » الذى كتب فى سنة (٤١٦ ه) رسالة باسم « بداية حال الحلاج ونهايته » وتوفى فى سنة (٤٢٧ ه) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ابن باكويه قوله ، واستحسن فى الحقيقة كلامه ، وبشر بأيامه ، فلما عزم على الخروج من عنده قال : إلى أين ؟ قال نويت سفرا . قال : لست من باب السفر ، بل بابك أن تعقد حلقة تكلمهم على الحق » .

وروى أنه كان يعيش فى مدينة « نيسابور » الإمام المشهور ابراهيم الاسفرائينى(١) » و « أبو محمد الجوينى » وشيخ الإسلام « اسماعيل الصابونى(٢) » وآخرون غيرهم ، لكن لم يحضر « عبد الله الأنصارى » إلى صحبتهم وحلقة درسهم لزعمه أن مذهب الأشعرى قد أثر عليهم .

وحكى أنه كان من أحد أهداف « عبد الله الأنصارى » فى سفره إلى مدينة « نيسابور » أن يستفيد من مجالس الأساتذة الصوفية لكنه لم يدرك فى مدينة « نيسابور » هذه المرة من يعجبه وإن كان الشيخ « أبو القاسم القشيرى » يعيش فى مدينة « نيسابور » وكان كبير السن ولكن لأنه يعتقد بعقيدة الأشاعرة لم يحضر « عبد الله الأنصارى » إلى مجلسه .

وذكر « عبد الله الأنصارى » صحبته مع « ابن باكويه (٣) »

---

(١) الاسفرائينى كان تلميذاً للأشعرى ، توفى فى سنة (٤١٨ ﻫ) هذا ، ماجاء فى الجلد الثالث من « طبقات السبكى » .

(٢) اسماعيل الصابونى : كان واعظاً ومفسرا ، ومحدثا ، وعنده قوة ذكاء واشتهر بشيخ الإسلام ، وتوفى فى سنة (٤٤٤ﻫ) .

(٣) ذكر « عبد الرحمن جامى » فى كتابه « نفحات الأنس » عن « عبد الله الأنصارى » أنه كتب عن الشيخ « ابن باكويه » ثلاثين ألف كلمة وثلاثين ألف حديث .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ومع أصدقائه « أبي الفرج » و « الرثاني » و « أبي الترشيزي » ، ومعاشرته لهم ، وأخذه المعلومات عن حياة شيوخهم .

وذكر عن مشكلاته فى طلب علم الحديث ، وعن مشكلاته فى سفره إلى مدينة « نيسابور » وفى رجعته عنها ، وفى حفظ مخطوطاته التى كتبها فى علم الحديث .

وروى أنه بعد عدة شهور وصل « عبد الله الأنصارى » إلى مدينة « هراة » وحضر إلى « خانقاه » (تكيه) للشيخ « عمو » وإلى محضر المجالس العلمية لـ « يحيي بن عمار » .

وأنه كان يروى بعد ذلك فى المجالس الأحاديث عن الأساتذة العظماء ويذكر عن تجارب سفره وعن معلوماته ، فكان سفره إلى مدينة « نيسابور » رفعة لمنزلته ، وطليعة فى دور حياته الجديدة .

حياة « عبد الله الأنصارى »

بين سنة ٤١٧ هـ وبين سنة ٤٢٨ هـ

ولما رجع « عبد الله الأنصارى » من مدينة « نيسابور إلى مدينة « هراة » كان يتردد فى هذه المرحلة أيضاً على خانقاه (تكيه) للشيخ « عمو » ، كما سلم إليه « الشيخ عمو » بعد مدة تصرف (خانقاه) « تكيه لأنه يحب أن يزور البلاد كما يشاء ويخلف بعده من كان أهلا للخلافة .

وكان عبد الله الأنصارى يحضر إلى مجالس دروس « يحيي بن عمار والمحدثين ، ويستفيد من ندوات الصوفيين ، ففى هذه المرحلة كان

(c) ketabton.com: The Digital Library

يستفيد من جانب لكمال نفسه ومن جانب آخر كان يفيد الناس ويعالج النفوس ؛ لأداء وظائفها الاجتماعية .

وكان من سيرته فى هذه المدة أنه يسلك سلوك الأتقياء ، وأنه يطابق أعماله بالسنة النبوية وإرشادات أهل الحق ، فلذلك أخذ الناس يحترمونه أكثر من قبل .

أساتذة « عبد الله الأنصارى فى هذا العصر

١ — الشيخ « شعيب البوشنجى » . } وهما كانا تلميذين لـ
٢ — الشيخ « أبو طاهر أحمد الضبى » . } « أبى على الرفاع »
٣ — الشيخ « أبو الفضل عمر بن ابراهيم الهروى » الذى كان فقيهاً وعابداً .

وذكر « عبد الله الأنصارى » أيضاً أسماء الصوفيين الآخرين فى هذه المدة لكن لم يذكرهم فى درجة الأساتذة مثل « أبى الحسن النجار » (الذى كان نجاراً وحج وزار خادم « الحصرى » الذى يسمى بـ « هلال » و « أبى النصر القبانى » (الذى زار فى رحلاته العديدة شيوخاً كثيرة) و « أبى منصور كازر » و « محمد كشور » (الذى كان رجلا عابداً وتقياً) و « أبى سعيد المعلم » الذى كان ذا قلب طيب ويلبس اللباس المرقع الأبيض) و « أبى منصور السوخته » (الذى كان رجلا صادقا ومتمسكا بدين الإسلام) و « أبى اسماعيل نصر أبادى » (ابن الشيخ أبى القاسم) و « أحمد كوفانى » (الذى كانت بينه وبين « عبد الله الأنصارى » علاقة الود والمحبة) ، فكل

(c) ketabton.com: The Digital Library

هؤلاء الأساتذة والصوفيين كانوا فى عصره ولا شك أنهم من الرجال الصالحين فارتباطه بهم قد أثر فى نضج حياته .

وفى سنة (٤٢٠ ﻫ) فتح السلطان « محمود » مدينة « رى » وأراد أن ينظفها من الملحدين ، فقتل عساكره فيها عدداً من الباطنيين وفر المعتزلة إلى « خراسان » وأحرقت كتب الفلسفة وعلم النجوم ، ثم خلف السلطان محمود على هذه البلاد ابنه « الأمير مسعود » ؛ لكى يستحكم فتوحاته ، ففتح « الأمير مسعود » بعده مدينة « أصفهان » وخلصها من أهل « بويه » وظلت الأوضاع على هذا المنوال إلى أن جاء الخبر بوفاة السلطان « محمود » فى مدينة « غزنة » فى يوم الخميس ٢٣ من شهر ربيع الثانى سنة (٤٢١ ﻫ) ٣٠ من شهر أبريل سنة (١٠٣٠ م) ، فحدث ما حدث بعده من الاختلافات بين أولاد السلطان « محمود » إلى أن استقرت السلطنة لابنه « مسعود » .

ولا شك أن كل هذه الحوادث قد أثرت على حياة « عبد الله الأنصارى » بسطا ، وانقباضا ، كما ضاق صدره من أوضاع الأمير مسعود ومن مظالم رجال الحكومة وفسقهم وجورهم حتى أثر أن يكون بعيداً عن أهل السلطة ورجال الحكومة :

وفى أواخر سنة (٤٢٢ ﻫ) توفى «يحيى بن عمار» — رحمه الله — وكانت سنه تناهز التسعين . وجلس «عبد الله الأنصارى» على كرسيه حسب وصيته .

وفى أواخر سنة (٤٢٢ ﻫ) توفى الخليفة العباسى « القادر بالله » فى مدينة « بغداد » يوم الإثنين من شهر ذى الحجة عن أكثر من ست وثمانين سنة ، وكان لأهل مدينة « هراة » علاقة ود قوية مع

(c) ketabton.com: The Digital Library

الخليفة ؛ لأن الخليفة وهو فى سن شبابه قد تعلم من أحد أساتذة «هراة» المسمى به «أبى شير أحمد الهروى» فقه الإمام الشافعى وكان الخليفة المتوفى مشهوراً بالتقوى والمجاهدة والدفاع عن السنة ، وحارب طول حياته الباطنيين ، والمعـــتزلة ، كما أنه ألف رسالة باسم «الإسلام الأصيل» .

من أجل هذا كان «عبد الله الأنصارى» والمتعلقون به ومعارفه من مدينة «هراة» يحبون الخليفة «القادر بالله» ، فقد حزنوا كثيراً لوفاته (١) .

أول سفر «عبد الله الأنصارى»

بقصد الحج ووصوله إلى مدينة «بغداد»
ورجعته منها إلى مدينة «هراة»
وما حدث له بين سنة (٤٢٣ ﻫ) وبين سنة (٤٢٤ ﻫ)

لما توفى الخليفة العباسى «القادر بالله» وقام «القائم بأمر الله» فى مقامه خليفة المسلمين أرسل الخليفـة الجديد الرسول إلى السلطان «مسعود» ليخبره — بأنه الخليفة السابق قد توفى وقام الخليفة الجديد مقامه ، فوصل الرسول إلى مجلس السلطان «مسعود» وأعز السلطان رسول الخليفة وأهدى له هـدية وسلم إليه مكتوباً ببيعته ورجع الرسول من مـدينة «بلخ» يوم الخميس ٢٢ من شهر محرم سنة (٤٢٣ ﻫ) . ومما يلزم أن أذكره أنه كان فى مكتوب السلطان «مسعود» إلى الخليفة ضمن سائر المطالب أن يساعد الخليفة حجاج

(١) من كتاب «زندگى» خواجه عبدالله الأنصارى بالفارسية ص (٤٢-٥٣) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

« خراسان » ويهيء لهم طريقهم إلى زيارة بيت الله ، فأرسل الجواب سريعاً من دار الخلافة إلى السلطان « مسعود » بأن الخليفة أمر « آل بويه » أن يعمروا طريق الحج ، ويرفعوا الموانع ، فلم تبق هناك موانع لحجاج « خراسان » و « ماوراء النهر » ؛ فأمر السلطان « مسعود » أن يتهيأ للحج من يريد الحج ، وجعل « على ميكائيل » أميراً للحج ، فسر من كان يرغب فى الحج من أهل « خراسان » وعزم الرجال المتدينون من مدينة « هراة » على الحج « ومن بينهم الإمام » أبو الفضل بن أبى سعد (خال شيخ الإسلام « أبى عثمان الصابونى النيسابورى ») الذى وصلت سنه إلى ثمانين سنة فى ذلك الحين ، فلكبر سنه أراد أن يكون معه فى هذا السفر شاب رشيد ، فقبل « عبد الله الأنصارى » مرافقته وارتحلت قافلة الحجاج قاصدة بيت الله الحرام » وبعد عشرة أيام وصلا مع سائر الحجاج إلى مدينة « نيسابور » ، فسر « عبد الله الأنصارى » عندما رأى — مدينة « نيسابور » التى كان طالباً فيها منذ ست سنوات .

ولما وصل الإمام « أبو الفضل بن أبى سعد » مع رفيقه الرشيد « عبد الله الأنصارى » إلى مدينة « نيسابور » أخرج الإمام « أبو عثمان الصابونى لخاله الإمام » أبى الفضل بن أبى سعد الزاهد « مجلساً فى الحديث ليمليه — « بنيسابور(١) فنظر فيه الأنصارى ونبه على الخلل فى رجال الحديث الذى وقع فيه ، فقبل الصابونى « قوله ، وعاد إلى

(١) المقصود هو أن الامام الصابونى « عقد لخاله فى مدينة نيسابور » مجلساً لتوضيح الحديث الخاص الذى ذكر سنده أيضاً ، لكى يكتب الناس من كلام الامام « أبى الفضل » فى توضيح الحديث والتعليق عليه .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ما قال ، وأحسن الثناء عليه ، وأظهر السرور به ، وهنأ أهل العصر بمكانه ، وقال : لنا جمال ، ولأهل السنة مكانة ، وانتفاع المسلمين بعلمه ووعظه . وكان ذلك بمشهد من مشايخ فيهم كثرة وشهرة وبصيرة(١) .

ثم تحركت قافلة الحجاج من مدينة « نيسابور » ، فوصلت فيما بين شهر ذى القعدة سنة (٤٢٣ هـ) إلى مدينة « بغداد » (دار الخلافة) واستقبلت القافلة استقبالا حسناً وكانت فى مدينة « بغداد » مراسم لدفن الخليفة المتوفى « القادر بالله » ، وإنما أخرت هذه المراسم لكى يشارك أهل « خراسان » فى مراسم دفن الخليفة المتوفى .

فبعد ما قرت قافلة الحجاج فى مدينة « بغداد » جاء الخبر من « البصرة » أن طريق — الحج غير مأمون ومن جانب آخر كان فى هذه السنة مرضا الحصبة والجدرى شائعين فى كل الشرق حتى مات بسبب هذين المرضين فقط فى « أصفهان » ما يقرب من أربعين ألف شخص . وعلى كل حال فقد حاول الخليفة بكل الوسائل أن يهيىء الظروف لحجاج « خراسان » . لكن لم يقدر الله لهم الحج فى تلك السنة ، فرجعت قافلة حجاج « خراسان » . من مدينة « بغداد » إلى « خراسان » ووصل « عبد الله الأنصارى » مع القافلة إلى مدينة « نيسابور » ، فى هذا السفر وإن كانت مدة إقامته فى مدينة « بغداد » قليلة إلا أن « عبد الله الأنصارى » استفاد من المحدث الشهير « أبى محمد » الذى وصلت سنه إلى واحد وسبعين سنة ، وزار

---

(١) من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة - لابن رجب - المجلد الأول ص (٦١) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

فى الطريق مدن « بسطام » و « طوس » وبعض المحدثين(١) .

السفر الثانى لـ « عبد الله الأنصارى
بقصد الحج وملاقاته للصوفى الشهير « الخرقانى »
فى سنة (٤٢٤ هـ - ١٠٣٣ م)
وعودته إلى مدينة هراة فى هذه السنة نفسها

سافر « عبد الله الأنصارى » إلى الحج مرة ثانية فى سنة (٤٢٤ هـ) . لكن فى هذه المرة أيضاً حدثت الموانع فى طريق مدينة « الرى » ولم يستطع أن يصل إلى بيت الله الحرام ، ففى هذه الرحلة رأى « عبد الله الأنصارى » فى مدينة « نيسابور » فى خانقاه (تكيه) لـ « ابن باكويه » الصوفى الشهير « أبا سعيد بن أبى الخير » وهو الذى زار فى تلك الأيام الصوفى المجذوب « الخرقانى » ، فذكر عند « عبد الله الأنصارى » من حكاياته وزار فى الطريق أيضاً الشيخ « محمد القصاب الأملى » - الذى كان تلميذاً لـ « أبى العباس القصاب » - و « ابراهيم دهستانى » الذى كان مرشدا روحانيا ، فأخبر عبد الله الأنصارى أنه برىء من أهل الكلام .

وكان من أهم ما حدث لـ « عبد الله الأنصارى » هو أنه زار فى هذا السفر الصوفى المجذوب « الخرقانى » زيارة قصيرة لكن أثرت زيارته فيه تأثيرا عميقاً طول حياته ، كما كتب « عبد الرحمن جامى » فى كتابه « نفحات الأنس » عن « عبد الله الأنصارى » أنه قال :

---

(١) من كتاب « زندگى خواجه عبد الله الأنصارى بالفارسية ص (٥٤ — ٥٧)

(c) ketabton.com: The Digital Library

عزمت على الحج وذهبت إلى مدينة « رى » . لكن قافلة الحج لم يكن لديها الاستطاعة والزاد فى تلك السنة وفى العودة وصلت إلى مجلس « الخرقانى(١) » ، فرآنى وقال : تعال أنا معشوقك قد جئت من البحر ثم حكى « عبد الله الأنصارى » عن هذه الصحبة ، فقال : لا يعلم إلا الله ما قال من الغيب ، ويكفى لكراماته أن قال لى : قد جئت من البحر ، وقال « عبد الله الأنصارى أيضاً » « لما سمعت منه ما قال صرت خرقانى(٢) » وذكر أنه يعظمه كثيرا ولا يعظم سائر الناس مثله . وقد قال له الخرقانى فى ضمن كلامه : « لا تعمل المناظرة معى ، لأنك عالم وأنا جاهل قال « عبد الله الأنصارى » قلت له : « يا شيخ عندى سؤال » قال : فاسأل « يا من أنا معشوقك » ، فسألته خمس أسئلة :

ثلاثة منها باللسان واثنين منها بالقلب ، فأجاب على كل الأسئلة

---

(١) كتب « نيكولسن » فى كتابه عن الصوفيين المسلمين الذى طبع فى لندن سنة ١٩١٤ م أقوال « الخرقانى » وترجم باللغة الإنجليزية كلمات « الخرقانى » لكن ظن نيكولسن بأن « الخرقانى » كان من القائلين بوحدة الوجود خطأ لأن البسطامى و « الخرقانى » و « عبد الله الأنصارى » لم يكونوا من المعتقدين بوحدة الوجود . من كتاب « زندگى خواجه عبد الله الأنصارى الهروى » ص (١٧٥) .

(٢) قوله : « صرت خرقانى » يظهر منه أن « عبد الله الأنصارى » كان فى ذلك الحين يعتقد بعقيدة الفناء والحلول وهى أن المريد يصل فى مدارج سلوكه أولا إلى مرتبة يصير وجوده عين وجود مرشده ، لكن الأرجح أنه عبر عن شدة تأثير « الخرنقانى » عليه ، وقول الخرنقانى : « أنا معشوقك » دليل علي أن « الخرنقانى » عليه بأن مرتبة المرشد هي مرتبة المعشوق فقط .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ثم أخذ بيدى فى نخذه وصوت صوتا هائلا وكان الماء يجرى من عينيه مثل النهر وهو يتكلم معى(١) .

وروى عن « عبد الله الأنصارى » أنه قال . لو أنى ما رأيت الخرقانى لما عرفت الحقيقة واختلط على هذه بتلك ، يعنى النفس بالحقيقة .

وذكر « عبد الله الأنصارى » فيما يتعلق بـ « الخرقانى » « أن الخرقانى كان يقول : أنه اقتدى بـ « البسطامى » الذى توفى قبله بقرن واحد(٢) » .

وفى الحقيقة أنه كانت بينهما مشاركة فى كثير من الأفكار والأوصاف منها :

أن الخرقانى والبسطامى ، كلاهما وصلا إلى الحق بالمجاهدة واتباع الحق من غير المرشد ، وكلاهما يعتقدان بأن الوصول إلى الحق باتباع

---

(١) روى : أن « الخرقانى » كان من أهل الحال ولم يكن من المفكرين الذين شرحوا الطريقة والسلوك فى الرسائل أو الكتب ، فإذن ما شرحه « عبد الله الأنصارى » عنه كان أكثره عبارة عما فهم أو عرف من حاله .

(٢) بسطام : قرية من قرى « خراسان » والشيخ « أبا يزيد البسطامى » « هو العارف الشهير الذى تداولت جوامع كلمه المأثورة عنه بين أهل السلوك وبين عامة الناس ، لكن ثبت أن أكثر ما اشتهر عن « البسطامى » من الأقوال التى لا تناسب مقام الألوهية هى فى الحقيقة ليست من « بسطامى » وأن بعضها من قبيل الرمزيات التى لا يفهمها إلا من كانت له معرفة بالرمزيات ، وتوفى « أبا يزيد البسطامى » فى ١٥ من شهر شعبان سنة (٢٦٠ هـ) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

السنة ، ومجاهدة النفس ، وبفضل الله تعالى ، ومنها أنهما يعتقدان بأن الناس لا يمكن أن يصلوا إلى كنه مقام الألوهية لكن لطف الله باتباع الحق يأخذ الناس ، فيصلهم إلى معرفته .

ومما يعتقده « الخرقانى » ما يأتى(١) :

١ — من حصل عنده الأمل فى الوصول إلى الله ، فأثره أن يحترز من كل آماله فيما سواه .

٢ — إذا وصل حب الله أعماق قلب إنسان فأثره أن لا يفكر فى شىء سواه حتى الجنة ولا يخاف من شىء سواه حتى النار .

٣ — إن السعى للكشف والمكاشفة لا فائدة منه ، والمطلوب الحقيقى هو رضاء الله « تعالى » .

٤ — أن السلوك الحقيقى هو التطابق الكامل بين الشريعة والحقيقة ، فمن ترك الشريعة فقد ترك الحقيقة .

٥ — يلزم على السالك فى أى مرتبة كان أن يعتقد بعجزه ويهتم بدوام السعى فى طلب رضاء المولى أينما كان .

روى عن « الخرقانى » أن رب العالمين كما هو موجود فى الحجاز هو موجود فى « خراسان » أيضا (٢) (يعنى أنه يريد أن يقول أن

(١) من كتاب « زندكى خواجه عبد الله الأنصارى » ص(٦٢) .

(٢) قول « الخرقانى » هذا ليس انكاراً لبركة بيت الله ومدفن النبى — صلى الله عليه وسلم — ، بل مقصوده هو أن يعرف الناس أن الله — تعالى — موجود فى كل مكان ، فمن لم يستطع أن يصل إلى بيت الله والأماكن المباركة لا ييأس من رحمة الله سبحانه — وتعالى — ومن وصل إلى الأماكن المباركة يلزم عليه أن لا يتصور أنه وصل إلى الهدف الأصلى ، لأن الهدف الأصلى هو الرجوع الخالص إلى الله — جل شأنه —

(c) ketabton.com: The Digital Library

الهدف الأساسى هو الارتباط القلبى مع الله « تعالى » والانقياد له أينما كان الإنسان » .

ولا شك أن بين « البسطامى » وبين « الخرقانى » مناسبات كثيرة لأن كلاهما من منطقة واحدة ولكليهما رمزيات متقاربة وعبارات مسجعة ، وكلاهما يعبد الله حق عبادته ويهدى الناس إلى الرابطة القوية مع الله « تعالى » ومع دين الإسلام ، ويعالج قلوب الناس من الأمراض الروحية ، فهما فى الحقيقة أطباء مجربون فى معالجة ما يعرض للقلوب والأفكار والخواطر من العلل والضعف والجراثيم المضرة بالروح ،

فيثبت من هذا أن تأثير « الخرقانى » على « عبد الله الانصارى » هو تأثير روحى » وتأثير ربانى . فأثر فى قلبه وفكره وخواطره تأثيرا عميقا ، حتى لا يستطيع « عبد الله أن يشرحه ويعبر عنه . وحينما زار « عبد الله الأنصارى » الشيخ الخرقانى » كان « الخرقانى » كبير السن وقد توفى بعد مدة قليلة فى العاشر من شهر المحرم سنة (٤٢٥ ه) .

وقد فارق « عبد الله الأنصارى » مرشده الروحى « الخرقانى » مفارقة العاشق والمعشوق ، ولعل هـذه المفارقة باجازة « الخرقانى » لمصلحة عامة الناس .

ولما فارق « عبد الله الأنصارى » مرشده أراد أن يزور « أبا حاتم ابن خاموش » كما جاء فى كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة » لابن رجب »[١] ما يأتى : ـ

(١) المجلد الأول صفحة (٥١ ـ ٥٢) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

« قال محمد بن طاهر الحافظ فى كتابه « المنثور من الحكايات والسؤالات » سمعت « عبد الله بن محمد الأنصارى » يقول : لما زرت الشيخ « أبا الحسن الجركانى » الصوفى الشهير وعزمت على الرجوع وقع فى نفسى أن أقصد « أبا حاتم بن خاموش » الحافظ بـ « رى » والتقى به ، وكان مقدم أهل السنة بـ « رى » .

وذلك لأن السلطان محمود بن سبكتكين لما دخل « رى » قتل بها الباطنية ومنع سائر الفرق من الكلام على المنابر غير « أبى حاتم » وكان كل من يدخل « رى » من سائر الفرق يعرض اعتقاده عليه ، فإن رضيه أذن له فى الكلام على الناس وإلا منعه ، فلما قربت من « رى » كان معى فى الطريق رجل من أهلها ، فسألنى عن مذهبى قلت : أنا حنبلى ، فقال : هذا مذهب ما سمعت به ، وهذه بدعة ، وأخذ بثوبى ، وقال : لا أفارقك ، حتى أذهب بك إلى الشيخ « أبى حاتم » فقلت : خيرة ، لأنى كنت أتعب إلى أن ألتقى به ، فذهب بي إلى داره ، وكان له فى ذلك اليوم مجلس عظيم ، فقال : أيها الشيخ هذا الرجل الغريب سألته عن مذهبه ، فذكر مذهباً لم أسمع به قط . قال : ما قال؟ : قال أنا حنبلى . فقال : دعه لأن كل من لم يكن حنبليا ليس بمسلم (١) ، فقلت فى نفسى الرجل (أى أبو الحاتم) كما وصف لى ولزمته أياما » .

ثم عاد « عبد الله الأنصارى » فى طريق عودته — مرة ثانية إلى « نيسابور » وأقام فيها عند صديقه « ابن باكويه » ولما رأى الشيخ

---

(١) كان مقصود « أبى حاتم » أن أساس مذهب الحنبلى إتباع القرآن الكريم والسنة ، فلا شك أن من لم يعتقد اتباع القرآن والسنة فهو ليس بمسلم .

(c) ketabton.com: The Digital Library

« ابن باكويه » ، « عبد الله الأنصارى » نادى مهيباً إلى خادمه « أبى الفرج » ، فلما حضر قال له : ماذا قلت لك حينما غادرنا « عبد الله الأنصارى » ؟ ، فأشهد « أبو الفرج » أن الشيخ « ابن باكويه » قال له فى حقـك : أنه يريد السفر . لكنه ليس مصنوعا للسفر ولا يناسبه ، بل يناسبه ، أن تدور حوله حلقة ويتكلم هو معهم من الله » .

ثم ذهب « عبد الله الأنصارى » مرة ثانية إلى مجلس « أبى سعيد أبى الخير » ، فاستقبله واحترمه احتراما كبيرا وانعقدت بينهما اجتماعات ودارت بينهما المناظرة واشتد البحث ، كما تكلم « عبد الله الأنصارى » معه بصراحة وأظهر رأيه واضحا بشأن بعض عقائده فى التصوف وفى طريقة بعض مشايخ عصره .

وقد جاء فى كتاب « نفحات الأنس » لـ « عبد الرحمن جامى » عن « عبد الله الأنصارى » أنه قال : « كنت مع « أبى سعيد أبى الخير » مرتين (لحدث يوما) أنه أنزل عمامته من رأسه وأعطى له سجادته ووضع « اللفت » المغلى فى فمه » . هـذا مجمل ما حدث لـ « عبد الله الأنصارى » فى سفره هذا ، فرجع فى آخر سنـة (٤٢٥ هـ) إلى مدينة « هراة » .

فلما استقر بها بدأ فى سنة (٤٢٥ هـ) بالدرس[1] وإصلاح النفوس ، واجتمع عليه كثير من الناس ، فانتشر صوت تعليمه إلى كل مكان كما سمع « اسماعيل جشتى » أو « خشتى » صيت تدريسه

---

(١) كان يدرس فى هذه المرحلة من حياته الحديث ولم ير نفسه مهيئا لدرس التفسير .

(c) ketabton.com: The Digital Library

وإرشاده ، فطلبه عنده ووضع كل أمواله فى تصرفه وخدمته .

وقد ثبت أنه فى هذه المرحلة فارنشاطه وجذباته ووجده مثل فوران « الخرقانى » ، وجذب كلامه وتدريسه وإرشاداته الناس مثل المغناطيس (١) .

حياة عبد الله الأنصارى فى أيام (نباذان)

فى فصل الشتاء من سنة (٤٢٥ ﻫ)

روى أن اسماعيل الجشتى فى فصل الشتاء ، وفى الأيام التى كان البرد فيها شديداً وينزل فيها الثلج أخذ معه « عبد الله الأنصارى » وذهبا إلى « نباذان »(٢) وعقدا هناك اجتماعا من كبار الرجال سنا وزهدا ومن الذين كانوا من أهل العلم والفضل والتقوى والكرامة يصل عددهم إلى اثنين وستين شخصا ، واستمرت هذه الاجتماعات فى « نباذان » أكثر من أربعين يوما ، فى تلك الاجتماعات أخذ « عبد الله الأنصارى » يشرح لهم الحقيقة التى تعلمها عن « أبى الحسن الخرقانى » ، فقد أثر « عبد الله الأنصارى » فيهم تأثيرا عميقا ، حتى صار كل واحد منهم عاشقا له وأعطوا له الهدايا حتى وصل عددها إلى ألف ومائتى هدية من أنواع اللباس . لكن « عبد الله الأنصارى » لم يأخذ معه إلى مدينة « هراة » شيئاً من تلك الهدايا إلا سجادة قديمة .

ومن المؤسف أنه لم تصل إلينا المعلومات عن هؤلاء الشيوخ إلا عن الأربعة الآتية أسماؤهم : —

---

(١) من كتاب «زندكى، خواجه عبدالله الأنصارى » بالفارسية ص (٥٨-٦٦).
(٢) نباذان أو نباذان أو نو آباذان : قرية من أعمال مدينة « هراة » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

١ — الشيخ « أبو حفص بغاء دروان » :

الذى كانت له روحانية كبيرة ، ووصفه « عبد الله الأنصارى » بأنه كان شديد التوجه إلى كلامه ، وتوفى هذا الشيخ — رحمه الله — فى الأسبوع الذى افترق فيه « عبد الله الأنصارى » عنه .

٢ — الشيخ « بوبشر كواشانى » : الذى تستأنس الطيور والحمام لصوته .

٣ — الشيخ « أحمد كابد ستانى » : صاحب الكرامة .

٤ - الشيخ « أحمد مرجانه » :(١)

حياة « عبد الله الأنصارى »

بين سنة (٤٢٥ هـ) وبين سنة (٤٣٦ هـ)
وأهم ماحدث له فى هذه المدة

وعاد « عبد الله الأنصارى » إلى « هراة » وقد ثبت أنه بعد ما رجع من « نباذان » تغيرت أوضاعه وصمم على الدرس والتلقين بنهج يوافق الطريقة مع الشريعة ، حتى أنه أخذ فى مدة عشر سنوات (بين سنة (٤٢٥ هـ) وبين سنة (٤٣٦ هـ) يدرس الآحاديث النبوية ويرشد المسلمين ويسعى لتزكية النفوس بتعاليم الشريعة ولم يحدث فى هذه المدة شيء من التحولات المهمة فى نهج حياته ، و - أهم ما حدث فى هذه المدة هو الأحداث السياسية التى وقعت بين السلطان « مسعود »

---

(١) من كتاب « زندكى خواجه عبد الله الأنصارى » ص (٦٩ - ٧٠) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

وبين « التركمان » و « السلاجقة » ، فحدث ما حدث من الاختلافات والحروب والقتال والتخريب مما تكرهه النفوس والعقول السليمة ، فمن أراد أن يعرفها بالتفصيل ، فعليه أن يقرأ تاريخ « أبي الفضل البيهقى » .

وروى أنه فى سنة (٤٣٠ هـ) توفى والد « عبد الله الأنصارى » فى مدينة « بلخ » وقد أثر هذا الخبر على قلبه تأثيراً شديداً .

وفى نفس السنة شكا مخالفوه من أهل البدعة والمعتزلة والأشاعرة إلى السلطان بأنه يتجاوز فى درسه وتلقينه حدود الشريعة ، فطلبه السلطان « مسعود » وسأله : هل أنت قلت أن الله - عز وجل - يضع قدمه فى النار ؟ ، فأجابه « عبد الله الأنصارى » بما حاصله : أن الله عز وجل لا يحس من النار الضرر ، وأن النار لا تضره وقال إن نبيه لا يكذب عليه وأن علماء هذه الأمة (العلماء الصالحين المتقين) لا يكذبون عليه فيما روى عنه ولا يزيدون على كلامه شيئاً من عند أنفسهم ، فقنع السلطان بما أجابه وودعه بعزة واحترام ، فلم يستطع أعداؤه بعد هذه المؤامرة أن يتآمروا عليه مرة أخرى فى عصر السلطان « مسعود » ، فاطمأن فى تدريسه وتلقينه وازداد فيضه وذاعت شهرته يوما فيوما .

ومما يلزم أن أذكره هو أن الاختلافات بين « عبد الله الأنصارى » وبين الأشاعرة إنما كان أكثرها لأجل خطأ فى التعبير وسوء فى التفاهم الذى وقع بينه وبين أتباع[1] « أبى الحسن الأشعرى » والواقع أننا

---

(١) المراد بأتباعه أتباعه الجهلاء وقد ثبت بالتجربة أن أكثر ما يصدر من الاتباع الجهلاء لا يرضى به المتبوع . لأنهم لقلة فهمهم يغيرون أصل الخطة المرسومة.

(c) ketabton.com: The Digital Library

لو أمعنا النظر لو جدنا أن « عبد الله الأنصارى » كان تابعا لمذهب « أحمد بن حنبل » أشد المتابعة وأن « أبا الحسن الأشعرى » كان أول من كسر شأن المعتزلة ، وأعلن بأن مذهبه وما يعتقده هو بعينه رأى « الأمام أحمد بن حنبل » ويعتبره الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق عند ظهور الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين ، وأبطل به شك المشككين .

وأن الخلاف الجزئى بين رأى « أبى الحسن الأشعرى » ورأى « الإمام أحمد » لا مخلص منه لأن « الأشعرى » قد ثار يدافع ضد حملة المعتزلة على الفقهاء والمحدثين وضد حملة أهل البدع والأهواء على دين الإسلام ، فاضطره ذلك إلى أن يسلك فى الاستدلال على العقائد مسلك النقل ومسلك العقل ؛ فلأجل ذلك تراه يثبت ما جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف من أوصاف الله تعالى - ورسله ، واليوم الآخر ، والملائكة ، والحساب ، والعقاب ، والثواب بالنقل ، لكن يميل إلى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية ؛ لكى يستدل بها على صدق ما جاء فى القرآن والسنة عقلا بعد أن وجب التصديق بها كما وردت نقلا ، فهو لا يتخذ من العقل حاكما على النصوص ليؤلها بل يتخذ العقل خادما لظواهر النصوص .

مع هذا لا شك أن « الأشعرى » استعان فى سبيل ذلك بقضايا فلسفية ومسائل عقلية التى خاض فيها الفلاسفة وسلكها المناطقة وكان السبب الرئيسى فى سلوكه ذلك المسلك العقلى ما يأتى : -

١ - أنه قد تصدى للرد على المعتزلة فلا بد أن يلحن بمثل حججهم ،

(c) ketabton.com: The Digital Library

وأن يتبع طريقتهم فى الاستدلال ليفلج عليهم ويقطع شبهاتهم ويفحمهم بما فى أيديهم ويرد حجتهم عليهم .

٢ — أنه قد تصدى للرد على الفلاسفة ، والقرامطة ، والباطنية ، وغيرهم من أهل البدع والأهواء الذين لايقنعهم ولا يفحمهم إلا الأقيسة المنطقية والدلائل العقلية . لكن مع كل هذا فلا شك أن « الأشعرى » خالف فى بعض المسائل مذهب الإمام « أحمد » وأنه اتخذ من العقل حاكما على النصوص وأولها فى بعض المسائل بالعقل فقام « عبد الله الأنصارى » ليدافع عن رأيه ويبين وجهة نظره فى مخالفته للأشعرى كما سنوضح هذا الموضوع فى موضع آخر من هذا الكتاب حينما أشرح آراء « عبد الله الأنصارى » التى تتعلق بعلم الكلام .

روى أنه فى الثانى عشر من شهر المحرم سنة (٤٣٢ هـ) زاد الخلاف السياسى واشتدت المحاربة بين « السلاجقة » و « الغزنويين » وأخذ « السلاجقة » أكثر بلاد « خراسان » وانتزعوها من سيطرة « الغزنويين » وأرسل السلطان « مسعود » ولده الأمير « مودود » إلى مدينة « بلخ » ثم عزم على السفر إلى « الهند » ، فأخذ معه ما أخذ من الأموال والخدم وأهل بيته وغادر مدينة « غزنة » ، حتى وصل إلى قرب نهر « السند » لكنه حينما أراد أن يمر على نهر « السند » ثار عليه من كانوا معه واستولوا على ما كان عنده من الأموال وجعلوه معتقلا ، حتى قتله أبناء أخيه الأعمى فى (١١ من من شهر جمادى الأولى سنة (٤٣٢ هـ) ، ونادوا بأبيهم الأعمى « محمد » سلطانا على البلاد فحدث ما حدث بين الأمير « مودود » ابن « مسعود » وبين أبناء عمه ، حتى وصل الأمر فى سنة (٤٣٥ هـ) إلى قطع سلطة سلاطين « غزنة » من بلاد « خراسان » فتصرف « السلاجقة » فى جميع بلاد « خراسان » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ولما تولى « السلاجقة » زمام الحكم فى « خراسان » بدأ الخلاف بين « عبد الله الأنصارى » ومخالفيه ، حتى استطاع أعداؤه بمؤامراتهم أن يبعدوه عن مدينة « هراة » إلى نواحيها . لكن لم يطل هذا الإبعاد مدة طويلة فلم يتعد عدة شهور حتى رجع « عبد الله الأنصارى » إلى مدينة « هراة فى فصل الصيف وفى أوائل سنة (٤٣٦ هـ) ولما استقر بدأ بتدريسه وتلقينه . لكنه فى هذه المرة غير منهج تدريسه من تدريس الحديث إلى تدريس التفسير ، فبدأ بتفسير القرآن الكريم من الأول باختصار وختمه فى سنة واحدة (١) .

حياة عبد الله الأنصارى

بين سنة (٤٣٧ هـ) وبين سنة (٤٤٥ هـ)

وما حدث له فيها من المحن

روى أن « عبد الله الأنصارى » بدأ فى فصل الصيف من سنة (٤٣٧ هـ) بتفسير القرآن الكريم من أوله مرة ثانية لكنه أخذ فى هذه المرة يفسر طبقا لمنهج أستاذه الجليل « يحي بن عمار » فى التفسير ؛ وهو أنه يفسر القرآن الكريم بالشرح والتوضيح التام حتى استمر على هذا المنهج ما زاد على أربعين سنة ، وقبل أن يختمه توفى .

وروى أنه كان فى بدايته للتفسير يتكلم عن الشريعة كثيرا ويوضح حقيقة الدين والإيمان ، ويدافع عن الدين بمقاومة ما أشاعه أهل

---

(١) من كتاب « زندگى » خواجه عبد الله الأنصارى بالفارسية ص (٧٥-٨٩) مع التحقيق فى المراجع الأخرى .

(c) ketabton.com: The Digital Library

البدعة من البدع والأهواء ، فقام أهل البدعة والمعتزلة والأشاعرة بالعمل ضده إلى أن اعتقلته الحكومة بسبب مؤامراتهم فى محبس قرب « بوشنج » وظل فيه مدة سنة ، فوجد فى أيام أعتقاله وعزله فرصة للتفكير والدقة ، ففكر وبحث فيما مضى من أعماله وحركاته من الصواب والخطأ ، حتى حدد أخيرا خططه للمستقبل عن : كيف يعبد ؟ وكيف يدرس ؟ وكيف يعامل ؟ .

وفى هذه المدة كان يفكر فى صورة والده وأقربائه وصورة « الطاقى » و « الخرقانى » وصورة سائر أساتذته من الفقهاء والمحدثين وصور أصدقائه ومحبيه ويستمد منها الحكم والعبر ، ثم خرج من المحبس سنة (٤٣٩ ﻫ) ، ورجع إلى مدينة « هراة » وبدأ بتدريسه وتلقينه على نهج جديد وأخذ فى تفسيره من الوقفة التى وقف عندها وبعد مدة وصل تفسيره إلى آيه (١٦٥) من سورة البقرة وهى (والذين آمنوا أشد حبا لله) ، فعقد المجالس الكثيرة فى تفسيرها واستمر فى شرحها مدة طويلة ، كما وضح فيها من الحقيقة ومنازل السالكين ، وأثبت أن العبودية الحقيقية هى حب الله تعالى باتباع هدى القرآن الكريم واتباع سنة النبى — صلى الله عليه وسلم — .

واستمر تدريسه بهذا الأسلوب إلى سنة (٤٤١ ﻫ) وكان يعقد حلقات درسه فى « خانقاه (تكيه) لشيخ « عمو الذى كان يحب « عبد الله الأنصارى » ويعامله معاملة الأب لابنه .

الحق أن الشيخ « عمو » ساعده فى طفولته وفى مراحل حياته ودافع عنه ، حتى توفى .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ولما توفى الشيخ « عمو »(١) تغيرت أوضاع « عبد الله الأنصارى » وصادف فى حياته صنوف الفقر والاحتياج مدة طويلة والسبب فى ذلك هو أن « عبد الله الأنصارى » لم يكن يظهر احتياجه لأحد ولم يكن فى الناس وقتئذ من يراقب أحواله وحوائجه مثل الشيخ « عمو » ، فوصلت حياته إلى آخر درجة من العسرة ، كما حكى عنه « عبد الرحمن جامى » فى كتابه « نفحات الأنس » أنه قال : « لم تكن عندى فى الشتاء جبة ، وأن البرد كان شديدا ، ولم يكن عندى فى فصل الشتاء إلا حصيرا واحدا الذى كنت أنام عليه ، ولبداً صغيراً بحيث لو أغطى بها رجلى يكشف رأسى ولو أغطى بها رأسى تكشف رجلى وأضع تحت رأسى لبنة ، وكنت أعلق اللباس الذى أخرج به إلى المجلس على مسمار فى حائط البيت وقال أيضا . حضرت كثيرا إلى المجالس فى لباس مستعار ، وكثيرا ماعشت مع من يأكل النباتات ، وكثيرا ما وضعت اللبنة تحت رأسى مع أنه كان عندى أصدقاء وأقرباء وتلاميذ فى ذلك الوقت كانوا ذوى قدرة ومال ولو طلبت منهم أى شىء لأجابونى إلى طلبى لكنى ماأردت أن أظهر حاجتى لهم ، وكنت أقول (فى نفسى) ولم هم لايفكرون فى أن ليس عندى شىء ويعرفون أن من عادتى أن لاأسأل أحدا شيئا .

نعم : من المؤسف أن أصدقاءه وأقرباءه وتلاميذه لم يفكروا فى أمر حياته ومشكلاته ، ولم ينظروا إلى أنه وقف حياته ووهبها فى سبيل إصلاح النفوس وخدمة العلم ومعرفة الحق وفى حب الله تعالى ، وأن

---

(١) توفى الشيخ « عمو » فى الثانى من شهر رجب سنة (٤٤١ هـ) وقد وصلت سنه (٩٢) سنة .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ليس له شغل آخر ، وأنه لا يجد الوقت لكسب معيشته ، فكان من الواجب عليهم أن يقوموا بما يكفل حياته .

وحكى « عبد الله الأنصارى » أنه لم يكن عنده فى هذه المدة قدرة ولا استطاعة لأن يعطى شيئاً للقراء وللطلاب الذين يقرءون ويتعلمون منه ولم يكن ليسأل أحدا حتى يجمع الأموال لهم .

فكان حزينا لأنه لا يستطيع أن يقوم بهذه الخدمة للطلاب ثم حدث أن رأى أحد الناس فى منامه « دانيال » نبى الله وهو يقول له أعط دكانك ! « عبد الله الأنصارى » ، لكى يصرف فلوسه على القراء ، فعمل بما رأى فى المنام ، فكان يؤدى نقود دكانه للقراء .

وهكذا مرت عشر سنوات على « عبد الله الأنصارى » فى العسر والمشقة ، لكن مع كل هذه المتاعب والمشكلات ، والحبس ، والمصائب وضيق العيش ، والتحولات السياسية السيئة فى عصر « السلاجقة » استمر واستقر بفضل الله — تعالى — فى عبادة الله — تعالى — وفى تدريس تفسيره وتلقينه لأسرار الحب فى الشريعة والحقيقة كما كان ، حتى روى أنه حينما كان يضيق صدره وينقبض قلبه فى بعض الأحيان ، فإنه كان يتوجه إلى الله فيطمئن قلبه بذكر الله كما قال — تعالى — « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » وكثيرا ما كان الله يفرج عنه كربه كما روى عنه أنه كان يوما جالسا عند منزله ضيقا صدره لأمر ما فهب الريح وألقى عليه ورقة مكتوباً عليها (فرج — فرج) (١) .

---

(١) من كتاب « زندكى » خواجه عبد الله الأنصارى » ص (٩٠ — ٩٧) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

حياة «عبد الله الأنصارى»

بين سنة (٤٤٥ ﻫ) وبين سنة (٤٥٦ ﻫ) ونجاحه

روى أنه جاء الخبر من مدينة «نيسابور» إلى «عبد الله الأنصارى» فى فصل الربيع وفى أوائل سنة (٤٤٥ ﻫ) أن السلطان «طغرل بيك» أصدر أوامره بأن يجادل الصالحون أهل البدعة والضلال فوق المنابر ؛ لكى يكشفوا للناس عن ضلالتهم وهذا لأن أمينه العام «أبا نصر كندارى» فى ذلك الحين كان مخالفا لأهل البدعة من ناحية العقيدة ، كما أنه لمخالفته مع «أبى سهل بن موفق» (الذى كان مرشحا لكرسى الوزارة وينسب إلى أهل البدعة) اشتدت مخالفته لأهل البدعة والضلالة .

وقد أدهشت أوامر السلطان هذه أهل البدعة ومن يتعلق بهم .

ومما يناسب أن أقول : أن هذه الحركة ليست فى «خراسان» وحدها بل اشتدت فى العراق وفلسطين والحجاز أيضاً ، فاعتقل من اشتبه فيهم فى مدينة «نيسابور» ، حتى ثار عامة الناس على بيت رئيس «الفرانى» و «أبى القاسم القشيرى» ، فجروهما إلى المحبس وحاولوا أن يأخذوا إمام الحرمين «الجوينى» الذى كان مشتبها فيه لكنه قد علم بالأوضاع من قبل ، فاختفى ، ثم استطاع أن يفر من طريق «كرمان» إلى الحجاز .

روى أن «أبا سهل بن موفق» الذى ينسب إلى أهل البدعة كان فى ذلك الحين خارج مدينة «نيسابور» ، فلما علم بهذه الحركة

(c) ketabton.com: The Digital Library

استطاع أن يجمع عددا من أعوانه ، فدخل مدينة « نيسابور » وأخرج بقوة السلاح أصدقاءه « رئيس الفراتى » وأبا القاسم القشيرى من المحبس ، كما أنهما هربا من مدينة « نيسابور » وأما « أبو سهل » فقد عزم على السفر إلى مدينة « رى » لكى يشرح للسلطان مبررات ما ارتكبه ، ويخبره بأن لالوم على الأشاعرة لكن لم تفده هذه المحاولة شيئا بل اعتقل وأخذت الحكومة أمواله .

فلما منع الأشاعرة من أن يتكلموا ويظهروا عقيدتهم بدأوا بالمجادلة عن طريق الكتابة والقلم ، فكتبوا ماكتبوا ، كما كتب « القشيرى » تحت عنوان « الشكاية من أهل السنة » رسالة .

وانتشرت فى جميع البلاد الإسلامية ولقد دافع فى رسالته عن التهم التى وجهت إلى الأشاعرة (١) .

كما كتب الإمام « أبو بكر البيهق » رسالة إلى « أبى نصر الكندارى » ، ونصحه لكى يمتنع عن محاولة إيذاء الأشاعرة ، لكنه لم يمتنع ، وهكذا استمرت الأوضاع ، حتى جاءت سنة (٤٥٦ هـ) . وفى هذه السنوات العشر كان « عبد الله الأنصارى » مشغولا بالتدريس والإرشاد ، ومطمئنا من شر أعدائه الذين يخافون على أنفسهم ، فانتشر صيته وعلمه وتدريسه وتلقينه فى جميع الجهات ، حتى روى أن كل من كان يمر فى ذلك الحين على مدينة « هراة » يحاول أن يصل إليه لزيارته ، كما زاره فى سنة (٤٤٥ هـ) اثنان من الشعراء هما : —

---

(١) قد ذكر « ابن عساكر » فى المجلد الثامن من كتابه المسمى بـ « التبيين » و « السبكى » فى المجلد الثانى من كتابه « طبقات » التهم التى وجهت إلى الأشاعرة وسنذكرها فى بحث آراء عبد الله الأنصارى التى تتعلق بعلم الكلام .

(c) ketabton.com: The Digital Library

١ — الشاعر «أبو الحسن باخرزى» :

الذى زاره بمعرفة الأديب « أبى عاصم » فأثرت عليه زيارة « عبد الله الأنصارى » من ناحية قوة تدريسه وتلقينه تأثيرا عميقا .

٢ — الشاعر والأديب « أبو القاسم الزوزنى » المشهور بلقب « بارع »

وقد اعترف هذا الشاعر والأديب الشهير أنه لم ير مثل « عبد الله الأنصارى » إماما فى مجلس من مجالس التدريس .

روى أن « أبا نصر كندارى » الذى كان وزيرا فى ذلك الحين طلب صديقه « أبا الحسن الباخرزى » لمصاحبته فى سفره إلى العراق، فبهذه الوسيلة من غير تدخل من « عبد الله الأنصارى » زاد حسن قبوله عند رجال الحكومة .

ومن أهم ماحدث فى سنة (٤٤٦ ﻫ) أن أصدرت الحكومة أمرها بقتل القاضى « أبى الفتح نصر بن سيار » الذى كان حنفى المذهب فقتل خنقا فى سوق « اسفزار » من مدينة « هراة » بمحضر العامة وفوضت وظيفة القضاء بدلا عنه إلى أخيه المحدث « أبى العلاء ساعد بن سيار » الذى قرأ الأحاديث فى مدينة « نيسابور » ، واستفاد من أساتذة كثيرين كان فيهم أساتذة « عبد الله الأنصارى » مثل « أبى سعيد الصيرافى » و « أبى الحسن الطرازى » الحنبلى ، فلأجل هذه العلائق المشتركة بين « عبد الله الأنصارى » وبين القاضى « ساعد ابن سيار » حصلت بينهما رابطة وصداقة وتوثقت على مرور الأيام كما جاء فى كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة » لـ « ابن رجب (١) » ما يأتى :

(١) المجلد الأول ص (٥٩ — ٦٠) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

قال الرهاوى : سمعت بعض الناس بـ « هراة » يحكى : أن شيخ الإسلام دخل يوما على القاضى « أبى العلاء ساعد بن سيار » وعلى يمينه رجل من « البوسعدية » (١) ، فجلس شيخ الإسلام على يسار القاضى ، فغضب « البوسعدى » وقال : أأجلس أنا يمينك ويجلس هو عن يسارك ! (٢) فوثب شيخ الإسلام وجلس ناحية ، وقال : الحدة ينبغى أن تكون فى أكل البصل والشدة فى تشقيق الحطب ، وأما الجلوس فى المجالس فإنما يكون بالعلم ، وغضب القاضى (أيضا) من كلام الرجل ، وقال : أى شىء تنكر من حاله ؟ حيث لم يكن له مركوب ولا ثياب ، فأمر له بثياب ومركوب ، وجعل له فى المسجد الجامع موضعا يعظ فيه . قال الرهاوى : قد رأيت كرسى شيخ الإسلام فى « الجامع » قليل المراقى فى زاوية من جامع « هراة » والناس يتبركون به .

روى أن « عبد الله الأنصارى » كان يجلس على الكرسى الذى صنعه القاضى « ساعد بن سيار » له ويعقد مجالس الدرس والتذكير فى المسجد الجامع الشهير فى مدينة « هراة » ، حتى وصل تدريسه فى سنة (٤٤٨ هـ) إلى آية (٣١) من سورة آل عمران الجزء الثالث من القرآن الكريم وهى « يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » ، ففى ضمن تفسير هذه الآية ذكر « عبد الله الأنصارى » اجمالا منازل

---

(١) قد عبر عن هذا الرجل فى كتاب سرز بوركوى راهب دومينيكى « بأنه من تلاميذ « أبى سعيد نيشابورى » وكان من الأشاعرة لكن القاضى لم يكن يعرف منه هذا ـ من كتاب زندكى خواجه عبد الله الأنصارى » بالفارسية ص (١٨٢)

(٢) لأن الجلوس عن يسار الرجل الكبير فى ذلك العصر كان دليلا على عظم القدر وأن من يقدر أحدا فيجلسه عن يساره إشارة إلى أنه قريب من قلبه .

(c) ketabton.com: The Digital Library

الطريقة وحصرها فى مائة منزل ، وأورد لاثبات كل منزل دليلا من القرآن الكريم ، وأدرج فى كل منزل ثلاث مقامات ، وأشار إليها بكلمات وجيزة ومسجعة ، وكانت لهذه المجالس تأثيرات عميقة على تلاميذه ، كما قال الشاعر والأديب المشهور « أبو الحسن باخرزى » فى وصف مجلس تدريس « عبد الله الأنصارى » ما يأتى : « كان مجلسه تذكيرا بدرجة عليا ، وأنه كان فى علم التفسير وحيد عصره ، وحسن كلامه كان يصيد قلوب الناس ، وببركة وعظه يمحو المعاصى ولو أن « قس بن ساعدة » سمع أداء كلامه لم يخطب بعده فى سوق « عكاظ » » .

روى أن أعداء « عبدالله الأنصارى » فى ذلك الحين كانوا فى أشد الغيظ منه لكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا به شيئا ، لأن السلطان كان بعيداً عنهم ومخالفا لهم والشكاية إلى وزيره « أبى نصر كندارى » أيضا لاتفيد شيئاً ، حتى جاءت سنة (٤٥٠ ﻫ) وفى أواخر هذه السنة ـ حينما مر « ألب أرسلان بن داؤد » على مدينة « هراة » (الذى كان هو القائد العسكرى الكبير الفاتح فى الحرب مع « الغزنويين » وكانت له سلطة عظيمة فى الحكومة ، كما طلبه السلطان « طغرل بيك » فى ذلك الحين لدفع ثورة أخيه « إبراهيم ») ـ « شكى أعداء » عبد الله الأنصارى « من مجالس تدريسه وتذكيره إليه لأنه كان مشهوراً فى اتفاق نظره مع الأشاعرة ، لكن « ألب أرسلان » لم يلتفت إلى شكايتهم ، لأن أفكاره كانت مشغولة فى المسائل السياسية والحربية ، ثم استمر الحال فى حياة « عبدالله الأنصارى » بنشاطه إلى آخر سنة (٤٥٥ ﻫ) وفى آخر هذه السنة جاء الخبر بأن السلطان « طغرل بيك » توفى يوم ٨ من شهر رمضان ، ولما لم يكن لهذا السلطان المتوفى ابن ،

(c) ketabton.com: The Digital Library

فأوصى أن يكون خليفته فى الحكم بعده « سليمان بن داؤد »[١] .
ولكن بعد ماتوفى السلطان حدثت اختلافات بسبب أن أكثر أركان الدولة لم يوافقوا على هذه الوصية ، فبايعوا « ألب أرسلان » أى مع الأخ الكبير لـ « سليمان بن داؤد » الذى كان ذا نفوذ كبير فى القوات المسلحة وأركان الدولة والشعب ، حتى تم أمر خلافته ، فصار سلطانا لبلاد « خراسان » .

روى أنه تغيرت الأوضاع فى عهده حتى عزل « أبا نصر كندارى » عن منصب وزارته فى يوم السبت ٧ من شهر المحرم سنة (٤٥٦ ﻫ) ، ثم اعتقله (٢) وجعل « نظام الملك » وزيره . وهكذا مر الدهر وقلب الأمور ، فبدأت مرحلة جديدة فى حياة « عبد الله الأنصارى » وهى مرحلة النضج والكفاح (٣) .

---

(١) السر الأصلى فى هذه الوصية هو أن أم « سليمان » بعد وفاة أبيه « داؤد » دخلت فى عقد نكاح « طغرل بيك » وكان السلطان يحبها .

(٢) قتل « أبو نصر كندارى » بعد مرور سنة من اعتقاله فى محبس « مروروذ » .

(٣) من كتاب « زندكى ، خواجه عبد الله الأنصارى بالفارسية ص (٩٨ — ١٠٥) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

حياة عبد الله الأنصارى

بين سنة (٤٥٦ هـ) وبين سنة (٤٦٢ هـ) وخلافه مع أهل البدعة

روى أنه بعد ما جاءت الحكومة الجديدة وهى حكومة السلطان « ألب أرسلان » ووزارة « نظام الملك » أصدرت التعليمات بإلغاء الأوامر السابقة التى كانت ضد الأشاعرة وتعذيبهم ، فبعد إصدار الأوامر الجديدة منع الوعاظ أن يذكروا الأشاعرة على المنابر بكلام السوء وعاد العلماء إلى بلادهم واشتغلوا بتدريسهم ، فرجع « أبو القاسم القشيرى وإمام الحرمين » بعد عشر سنوات إلى مدينة « نيسابور » وفى شهر ذى الحجة سنة (٤٥٧ هـ) بنى « نظام الملك » المدرسة النظامية » فى « بغداد » ليدرس فيها مذهب الإمام « الشافعى » ـ رحمه الله تعالى ـ على نهج أصول « الأشعرى » ، وهكذا بنى المدارس الأخرى باسم المدرسة النظامية فى مدن أخرى مثل « بلخ » و« نيسابور » و « هراة » و « أصفهان » و « البصرة » و « مرو » و « أمل » و « الموصل » وغيرهما من البلاد .

فلما تحولت الأوضاع بهذا النهج بدأ أعداء « عبدالله الأنصارى بمخالفته ، فقد روى أنه فى أواخر سنة (٤٥٦ هـ) اشتد الخلاف يوما بعد يوم وحينما جاء السلطان « ألب أرسلان » إلى مدينة «هراة» اتفق أعداء «عبدالله الأنصارى» وقدموا الشكاية إلى «نظام الملك(١)»

(١) وذلك حينما قمع السلطان « ألب أرسلان » الثورة الفاشلة لـ « قتلمش » ونجح فى « آذربيجان » بمقابلة البيزانطى « وذهب إلى » أصفهان « ثم إلى « كرمان ومنها إلى « مرو » وكانت مدينة « هراة » فى طريق زيارته لهذه البلاد .

(c) ketabton.com: The Digital Library

وطلبوا منه أن يطلب « عبدالله الأنصارى » لمجامسه ويكلفه بالمناظرة معهم فى حضوره ، فإن تغلب هو عليهم فى الدليـــل ، فانهم يتبعونه وإن تغلبوا عليه فليجبر على السكوت عما يضرهم إن لم يقبل أن يطيعهم ، فطلبه الوزير ، فلما حضر قال له : إن هؤلاء القوم اجتمعوا لمناظرتك ، فإن ثبت أن الحق معك يرجعون إلى مذهبك وإلا فلك الاختيـار إما أن ترجع وإما أن تسكت عنهم ، فقـام الأنصارى وقال : أنا أناظر على ما فى كمّـى ، فقال له : وما فى كمك ؟ قال : كتاب الله وأشار إلى كمه اليمين وسنة رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ وأشار إلى كمه اليسار وكان فيه الصحيحان ، فنظر إلى القوم كالمستفهم لهم ، فلم يـكن فيهم من يمكنه أن يناظره من هذا الطريق (١) .

فانتهى الأمر بنجاح « عبدالله الأنصارى » وغادر السلطان ومن كانوا معه من مدينة « هراة » إلى مدينة « مرو » ومنها إلى « ما وراء النهر » ومن هناك إلى منطقة « خوارزم » ثم رجع إلى مدينة « مرو » ، فى هذه المدة كان « عبدالله الأنصارى » مشغولا بتدريسه وتذكيره إلا أنه لم يـكن مطمئنا من كيد أعـدائه ، فيرد فى درسه وتذكيره على آراء مخالفيه صراحة ويشرح فى اجتماعاته ماجاء فى كتابه « ذم الـكلام وأهله » (٢) ، فاشتد الخلاف حتى قدم أعداؤه الشكاية إلى « نظام الملك » وخوفوه بأنه يضر الأمن العام ، فأصدر الوزير تعليماته فى سنـة (٤٥٨ هـ) بإخراج « عبدالله الأنصارى » من مدينة « هراة » ،

---

(١) كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ـ المجلد الأول (ص ٥٤) .
(٢) سأذكر مباحث كتاب « ذم الـكلام وأهله » فى موضع آخر من هذا الـكتاب حينما أشرح آراء « عبدالله الأنصارى » التى تتعلق بعلم الـكلام .

(c) ketabton.com: The Digital Library

فأخرج من مدينة « هراة » وغادرها حسب الأوامر إلى مدينة بلخ (١) .

قال الرهاوى : سمعت شيخنا « أبا طاهر السلفى » بالإسكندرية يقول : لما خرج شيخ الإسلام قال أصحابه وأهل البلدة لايحمل على الدواب ، بل على الرقاب ، فجعلوه فى محفة ، وكان يتناوب حملها أربعة رجال حتى وصل «بلخ» فخرج أهلها وهموا برجمه ، فردهم ابن نظام الملك « جمال الملك »وقال : تريدون أن تكونوا مسبة الدهر ترجمون رجلا من أهل العلم؟ ثم سألوه أن يعظ فقرأ :

(الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية) ثم قال : كل المسلمين يقولون هذا إلا أهل « غورجه » و « غرجستان » و « فلانة » و « طالقان » . . . . .

وقال الرهاوى : وإنما هم أهل بلخ بما هموا به ؛ لأن (أكثرهم) كان من المعتزلة الشديدة فى الاعتزال ، وكان شيخ الإسلام مشهور فى الآفاق بالحنبلة والشدة فى السنة (٢) .

ولما دخل « عبد الله الأنصارى » فى مدينة « بلخ » زار قبر والده وقبور مشايخ والده الذين سمع أسماءهم من لسان والده فى أيام طفولته وأقام فيها .

---

(١) وقد ثبت أن « عبدالله الأنصارى » أبعد من مدينة « هراة » إلى مدينة «بلخ» مرتين الأولى فى سنة (٤٥٨ هـ) كما جاء فى كتاب « زندكى ، خواجه عبدالله الأنصارى الهروى » الذى ترجم بالفارسية من كتاب « سرز بوركوى راهب دومينيكى » والثانية فى يوم الجمعة عشرين من رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة « كما جاء فى الكتاب المذكور وأيضا فى كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب » إلا أن كتاب الذيل لم يذكر القول بإبعاده فى المرة الأولى وأن ماذكره من المعلومات يخلط فيه بين الأولى والثانية .

(٢) كتاب الذيل على طبقات الحنابلة « لابن رجب » المجلد الأول (٥٦ - ٥٧) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ومما يلزم أن أذكر أنه ليس جميع من فى مدينة « بلخ » على مذهب الاعتزال بل يوجد فيها من أهل السنة الذين يحترمونه مثل « أبي القاسم التيمى » الذى كانت له شهرة فى العلم والكرم وكان صاحب القدرة والأموال الكثيرة ، ويدرس فى المدرسة النظامية لمدينة « بلخ » بأمر « نظام الملك » وهو الذى أهدى لـ « عبد الله الأنصارى » كثيراً من الهدايا تبلغ قيمتها ألف دينار .

وروى عن السلفى أنه قال : لما أمر « نظام الملك » بإخراج الشيخ من مدينة « هراة » سمع بذلك الشيخ « اللنبانى »(١) ، فمضى إلى « نظام الملك » فى أمره فدار ما دار بينهما من الكلام ، حتى كتب فى الحال برده إلى بلده ، فرجع « عبد الله الأنصارى » قبل أن يتم سنة (٤٥٨ هـ) إلى مدينة « هراة »(٢) ، ثم اشتغل بتدريسه وتلقينه كما كان من قبل ويغيظ كل يوم أعداءه بما يشرحه فى حلقات درسه ولكنهم لا يستطيعون شيئاً ، فيترقبون الفرصة للكيد به .

وفى أوائل سنة (٤٥٩ هـ) حينما كان السلطان « ألب أرسلان » يمر بمدينة « هراة » كلفه أصدقاؤه أن يزور « نظام الملك » ويشكره لأجل أنه أصدر الأمر بعودته إلى مدينة « هراة » ، فلما دخل على الوزير أكرمه وبجله وكان عنده أئمة من الفريقين فى ذلك اليوم ، وقد علموا أنه يحضر ، فاتفقوا جميعاً على أن يسألوه عن مسألة بين يدى الوزير ، فإن أجاب بما يجيب به يسقط من عين الوزير . وإن لم يجب

---

(١) نسبة إلى « لنبان » وهى قرية كبيرة بأصفهان .
(٢) كتاب الذيل على طبقات الحنابله لابن رجب ـ المجلد الأول ـ ص (٥٧) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

يسقط من عيون أصحابه وأهل مذهبه ، فانتدبوا له رجلا من أصحاب الشافعي يعرف بـ « العلوى الدبوسى »[١] فقال :

هل يأذن لى الشيخ الإمام فى أن أسأله مسألة ؟ فقال : سل ما شئت فقال : لم تلعن أبا الحسن الأشعرى ؟ ، فسكت ، وأطرق الوزير ، ثم بعد ساعة قال له الوزير : أجبه ، فقال : لا أعرف الأشعرى وإنما ألعن من لم يعتقد بأن الله عز وجل فى السماء وأن القرآن فى المصحف وأن النبى اليوم نبى ، ثم قام وانصرف ، فلم يمكن لأحد أن يتكلم بكلمة من هيبته وصلابته وصولته ، فقال الوزير للسائل ومن معه : هذا ما أردتم ، ثم بعث خلفه خلعة وصلة لكنه ما قبلها ورفضها معتزا بنفسه .

ثم فى سنة (٤٦٢ هـ) أراد « نظام الملك » أن يظهر حسن سلوكه مع أهل السنة ، فتسبب فى أن أرسل خليفة « بغداد » القائم بأمر الله « الخلعة الموقرة هدية لـ « عبد الله الأنصارى »[٢] .

حياة عبد الله الأنصارى

بين سنة (٤٦٣ هـ) وبين سنة (٤٧٣ هـ) وعلو شأنه

روى أنه فى سنة (٤٦٣ هـ) تغلب السلطان « ألب أرسلان » على السلطان « البيزانطى » ، كما اعتقله . وفى ١٠ من شهر الربيع الأول

---

(١) هو أبو القاسم على دبوسى الذى نصب فيما بعد أستاذاً فى المدرسة النظامية ببغداد .

(٢) من كتاب زندكى « خواجه عبد الله الأنصارى » بالفارسية ص (١٠٦ — ١١٥) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

سنة (٤٦٥ هـ) قتل السلطان « ألب أرسلان » فى ما وراء النهر وجلس ابنه « ملك شاه » الذى وصلت — سنه إلى ثمانى عشرة سنة — على كرسيه سلطاناً للبلاد وبقى « نظام الملك » على منصب وزارته بل زادت قدرته ، لأن السلطان الشاب الجديد يحتاج إلى توجيهه ومساعدته كثيرا ، ففى هذه المدة كان شأن « عبد الله الأنصارى » يعلو يوماً فيوما ، وكانت الخلافة فى هذا الوقت بيد « القائم بأمر الله » ثم توفى فى شهر شعبان سنة (٤٦٧ هـ) ، وقام المقتدى بدله — خليفة « بغداد » — وكان فى هذه المدة يحاول « عبد الله الأنصارى » تصفية قلوب المسلمين ، وقد أثرت محاضراته فى الناس تأثيرا عميقا ، وكان يفسر القرآن الكريم بكمال العناية والإتقان ، كما قال : ابن طاهر الحافظ : سمعت شيخنا « عبد الله الأنصارى » يقول : إذا ذكرت التفسير فإنما أذكره من سبعة ومائة تفسير . وقال أيضا : جرى يوما بينه وبين تلاميذه كلام — وأنا بين يديه — ، فقال : أنا أحفظ إثنى عشر ألف حديث أسردها سردا ، وقال : ما ذكر قط فى مجلسه حديثا إلا بإسناده ، وكان يشير إلى صحته وسقمه .

وقال الرهاوى : سمعت « أبا بشر محمد بن هبة الله الهمذانى » بهمذان يقول : سمعت بعض الأدباء يقول : سئل شيخ الإسلام الأنصارى عن تفسير آية ، فأنشد أربعمائة بيت من شعر الجاهلية ، فى كل بيت منها لغة تلك الآية ، وهكذا استمر فى تدريسه وتلقينه حتى جاءت سنة (٤٧٣ هـ) وفى هذه السنة وصل تفسيره إلى آية (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) ، فبنى عليها ثلاثمائة وستين مجلسا(١) .

---

(١) من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الجلد الأول ص ٥٨ - ٥٩ .

(c) ketabton.com: The Digital Library

وقد ثبت أن « عبد الله الأنصارى » استطاع بعون الله ـ تعالى ـ فى تلك السنوات العشر أن يعبد الله ويخدم العلم ويصلح نفوس الناس ويظهر الحقائق ويعامل الناس حسن المعاملة ، كما قال « المؤتمن الساجى » : كان يدخل عليه الجبابرة والأمراء ، فما كان يبالى بهم وما يكاد يرى بعض أصحاب الحديث من الغرباء إلا ويكرمه إكراما يعجب منه الخاص والعلم .

وقال : « ساعد بن سيار الهروى » فى أماليه : سمعت شيخ الإسلام الأنصارى يقول : إلهى (أطلب منك) العصمة أو المغفرة فقد ضاق علينا طريق المعذرة .

ومما يناسب أن أذكر : أن « عبد الله الأنصارى » ساعده فى هذه المرحلة أركان الدولة مثل « نظام الملك »(١) وغيره . لكن هذه المساعدة فى الحقيقة إنما كانت لأجل أنه صار مقبولا عند الخاصة والعامة ، ولأن أهل مدينة « هراة » يحسبونه مرشدا ، وينظرون إليه بنظرة العزة والاحترام .

روى أن « عبد الله الأنصارى » فى هذه المدة وصف مرة « نظام الملك » بقوله : إنه يقوم بالعدالة وآداء الحقوق . ولعل هذا لتشويقه

---

(١) قد ثبت أن « نظام الملك » كان رجلا معقولا ، ومعتدلا ، وسياسياً وأنه يراعى الرأى العام ، فلهذا بنى المدارس الكثيرة لمصلحة عامة الناس ، ويعامل الأشاعرة وعلماء الاحناف والشوافع وعلماء الحنابلة وأهل السنة بحسن المعاملة ويحترم أهل الله الصالحين ، ويلاحظ اتجاه عامة الناس بحيث لا يؤدى إلى احتلال النظام السياسى والمدنى ، ولعله ينوى بمراعاة هذا السلوك رضاء الله — سبحانه — وخدمة مخلوقه وخير المسلمين جميعاً .

(c) ketabton.com: The Digital Library

وترغيبه في خدمته لمصالح الناس ، كما أنه وجه إليه النصائح مرة أخرى وكتب إليه : يا نظام حاول رعاية القلوب ، واقبل المعذرة ، واستر عيوب الناس ، ولا تبع الدين بالدنيا .

ومما يسرنى ذكره : أن « عبد الله الأنصارى » كان يعيش فى هذه الفترة فى سعة واطمئنان ، ونجا من ضيق الحياة المادية والروحية ، لأنه من ناحية سكت عنه أعداؤه ، ومن ناحية أخرى يساعده أصدقاؤه كل المساعدة . كما أنهم يدافعون عنه ويقدمون إليه الأموال والهدايا الكثيرة ، وكان « عبد الله الأنصارى » يصرف هذه الهدايا والأموال فى حوائجه الضرورية ، وفى حوائج تلاميذه ومريديه والفقراء كما يشاء .
لا شك أنه لا يجمع الأموال ولا يدخرها ، ولم يكن قلبه معلقا بحب الدنيا وزخرفها .

يؤيد هذا ما كتب « عبد الرحمن جامى » فى كتابه « نفحات الانس عن « عبد الله الانصارى » أنه قال بالفارسية : « هركنز درهمه عمر خود الله تعالى مرانيم روز در طلب دنيا نديده واكنون برمن ميكشايند اما مرا ازا انچه ميد هند اكر نپذ يرم كافر باشم واكر انرا بردل من هيچ قدر وخطر باشد كافر باشم » .
وحاصل ترجمة هذا النص ما يأتى :

لم يرنى الله – تعالى فى كل حياتى أن أكون مشغولا بطلب الدنيا مدة نصف يوم ، ولكنه يوسع على الآن ولذا « فأنا متحير وأقول » : إن لم أقبل مما يعطينى أكون كافرا « ومع القبول » لو كان لها أى قيمة فى قلبى أكون كافرا » .

نعم مع العسر والوسعة كان يعيش كما كان فى « خانقاه » (تكيه)

(c) ketabton.com: The Digital Library

كان فيها غرف كثيرة للإقامة ، وفيها مسجد صغير وصالة مشتركة كبيرة ، فهو بعد اليسر يسكن ويعيش مثل الفقراء ، وكان لباسه وأكله مثل لباس تلاميذه وأكلهم ، فجميعهم يلبسون اللباس المرقع ، ويجلسون لأكل الطعام سويا .

ومما يلزم أن أذكره : أن حياته مع مريديه وتلاميذه كانت مطابقة لآداب الصوفية وبمثل ماكتبوا عنه فى الرسالة « فى آداب الصوفية » « المسماة بـ » المختصر فى آداب الصوفية والسالكين لطريق الحق » . وقد جاءت فيها آداب الصوفية مطابقة للقرآن الكريم ولسنة النبى — صلى الله عليه وسلم — .

وروى أنه كان فى هذه الفترة يؤدب تلاميذه ومريديه بآداب الصوفية وأخلاقهم ، ويروى لهم فى مجالسه أقوال الصوفيين الكبار وأخلاقهم وعاداتهم ، وكان يدرس لهم كتاب « طبقات الصوفية » لـ « عبد الرحمن السلمى » لكنه لم يكن مقيدا بنصه وترتيبه ؛ لأنه كان فى بعض المواضع من الكتاب يزيد عليه من معلوماته وتجاربه وعقيدته ، ويذكر الأشعار الإجتماعية والأدبية والروحية التى كان بعضها من أناشيده .

وروى أيضاً أن طريقة تدريسه وبحثه وتوجيهه كانت بطريق الحرية حتى أن واحدا من مريديه وتلاميذه لو أراد أن يظهر رأيه أو أن يذكر الشعر المطابق للحال والمقام يستطيع أن يقول ، بل كان يفرح بحرية الرأى لتلاميذه ومريديه ، وما جمع من تلك المجالس صار كتابا ضخما يسمى بـ « طبقات الصوفية » لـ « عبد الله الأنصارى » .

وروى أيضاً أن كتب بعض مريديه وتلاميذه عنه فى تلك المجالس

(c) ketabton.com: The Digital Library

مناجاته التى اشتهرت بـ « مناجاة عبد الله الأنصارى »(١) .

وكان من عادة « عبد الله الأنصارى » فى هذه المدة أنه لا يكون فى بيته طول اليوم ، بل يذهب لزيارة أصدقائه ، ويعقد بالاستمرار كل يوم فى « المسجد الجامع » الشهير فى مدينة « هراة » حلقات تدريسه وتلقينه ، وحينما يريد أن يخرج من بيته يغير لباسه المرقع ، ويلبس لباسه الخاص وقباءه الموقر ، ثم يركب على فرسه الثمين الجيد ، ويمشى فى الطريق بكمال الوقار والعظمة . ويقول : « إنما أفعل هذا لعزة الدين ، ولأجل أن يكون حسرة على أعداء الدين ؛ لكى يميلوا إلى الإسلام وإلى الحق .

وحينما يصل إلى المسجد الجامع يجد كثيراً من تلاميذه ومريديه فى انتظاره ، فيجلس على كرسيه الكبير ، ويحلق من يريدون الاستفادة منه حوله على الأرض ، فيبدأ بتفسير القرآن الكريم ، ويأخذ فى الشرح ، والتفصيل الذى تستنير به الأفكار ، والأذهان ، فهذا يسأل وهذا يستمع وهـــذا يظهر رأيه ، والشيخ يتكلم مع كل واحد حسب استعداده(٢) .

ومما يناسب أن أذكره أنه قال فى هذه المدة يوما : « من لم ير مجلس تدريسى وتذكيرى ويسبنى فلا لوم عليه لأنه معذور .

فقوله هذا دليل على أن « عبد الله الأنصارى » لا يتجاوز

---

(١) سأذكر من مناجاته ما يتعلق بأفكاره الروحية والصوفية فى بحث آخر من هذا الكتاب تحت عنوان نبذة من مناجاة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » .

(٢) من كتاب « زندكى » خواجه « عبد الله الأنصارى » بالفارسيه ص (١١٦ — ١٢٠) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

فى تدريسه حدود الشريعة وأن أقصى ما يريده فى تدريسه وتلقينه أن يرضى الله — تعالى جل شأنه — عنه من طريق القيام بتزكية النفوس وخدمة الخلق ، فكان يلزم على الناس فى عصره أن لا يعتمدوا بما يعبر عنه رجماً بالغيب وبما ينشر عنه أعداؤه ، بل يلزم أن يحضر من له شك إلى تدريسه وتلقينه ، لكى يدقق النظر فى قوله ، وفى آرائه(١) .

نعم : لاشك أن السبب الرئيسى لما يحدث فى الاجتماعات من المفاسد والمتاعب هو أن أكثر الناس يتبعون الظن والأوهام ، ويتبعون ما قاله الفساق والفجار وأعداء الحق واليقين مع أن الله — تعالى جل شأنه — يوجهنا إلى التعقل والتفكر والصبر والاستقامة ، والصلة والأخوة ، وإلى المصالحة والاعتدال .

فلأجل ذلك كان « عبد الله الأنصارى » يوجه الناس إلى اتباع القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وينبه أعداءه إلى أنهم لو حضروا حلقات تدريسه وتلقينه لعرفوا ماذا عنده ؟ وماذا يشرح ؟ .

وعلى كل حال فقد ثبت أن هذه المرحلة من حياته كانت خصبة وأنه قد استفاد منه كثير من الناس ، فاشتهر فى الآفاق ، وزاد حبه فى قلوب عامة الناس ، ومال إليه أهل القدرة ، وأهل العلم والفضل ، وأهل التقوى والسلوك ، وذاع صيته فى كل النواحى ، وأيده الله — تعالى — ، وأعزه .

---

(١) أقول فى عصرنا الراهن — عصر المؤامرات والدسائس — يلزم علينا أيضا أن لانهتم بالتعبيرات المتلونة لأكثر الناس، بل يجب أن نبحث عن الأسباب والعلل ونصل إلى الحق واليقين .

(c) ketabton.com: The Digital Library

بعض أصدقاء «عبد الله الانصارى»

وتلاميذه فى هذه المدة

لقد ثبت أن الذين استفادوا من حلقات درس «عبد الله الأنصارى» ومجالس وعظه .وتذكيره فى هذه المدة أناس كثيرون . لكن أذكر من جملتهم فيما يأتى الذين لهم شهرة وامتياز فى حياتهم :

١ — «حافظ أبو الخير عبد الله بن مرزوق» معتق «عبد الله الأنصارى» الذى ولد فى حوالى سنة (٤٤١ ﻫ) ووصف بأنه كان رجلا صادقاً يعتمد عليه من يعرفه كل الاعتماد وكان قد فقد حاسة السمع فى أوائل عمره لكن مع هـــذا استطاع أن يصبح أستاذا فى علم الحديث .

٢ — «أبو نصر مؤتمن الساجى» ولد فى سنة (٤٤٧ ﻫ) وكان من أهل «العراق» وقد تعلم الأحاديث عن الأساتذة فى «بغداد» «والشام» وأقام مدة فى «بيت المقدس» ، ثم سافر لطلب العلم إلى مدينة «أصفهان» ومدينة «نيسابور» وجاء إلى مدينة «هراة» ولما التقى مع «عبد الله الأنصارى» أثر عليه دقة درسه وحسن سلوكه ،فاستفاد منه استفادة كبيرة ، وكتب عنه كتابه «ذم الكلام» وبقى معه فى مدينة «هراه» حوالى عشر سنوات .

وروى أنه كان ذا قوة فى الذكاء والحفظ ، وأنه يحب العلم ويتحمل المشكلات والمتاعب فى هذه السبيل .

وروى أيضا أنه قدم مرة إلى «عبد الله الأنصارى» بعض ما كان ناقصا فى سلسلة بعض الأحاديث وكانت له معلومات كثيرة فى علم

(c) ketabton.com: The Digital Library

الحديث مع الدقة والإتقان ، فلأجل ذلك كان « عبد الله الأنصارى » يحبه ويقدره كثيراً .

٣ — « حافظ محمد بن طاهر المقدسى » وهو فى الأصل من « بيت المقدس » ولقى « عبد الله الأنصارى » حينما كان عمره إثنى عشر سنة ، فاستفاد منه مدة سبع سنوات ثم سافر فى طلب الحديث إلى « بغداد » .

وروى أنه كان فى كل حياته دائم الارتحال لطلب الأحاديث النبوية ، يقطع المسافات الطويلة ماشيا ، ويحمل معه كتبه ، وكان من عادته أن لايسأل أحدا أبداً ، ويطلب الرزق من الله — تعالى — .

وقد سافر فى طلب العلم إلى « بيت المقدس » و « بغداد » و « مكة » و « دمشق » و « حلب » و « الجزيرة » و « اصفهان » و « نيسابور » و « هراة » و « بوشنج » و « سرخس » و « رى » و « شيراز » و « البصرة » وغيرها من المدن والبلاد .

وهو كما يسعى فى طلب الحديث يسعى أيضاً فى كتابة الأحاديث ، كما كتب صحيح البخارى ، وصحيح مسلم سبع مرات وكتب كتاب أبى داود فى الحديث عشر مرات .

وروى أنه كان يحب السماع ، ومن عادته أنه لا يلتفت إلى قوانين الصرف والنحو والتجويد فى القراءة ، بل أنه كثيراً ما ينطق بدل الحرف حرفا آخر ، فيضيق قلب « عبد الله الأنصارى » ويقول :

« لاحول ولا قوة إلا بالله » وهو قد حكى مما يتعلق بحياة « عبد الله الأنصارى » من أهم المطالب العلمية والروحية .

٤ — « حافظ أبو محمد عبد الله السمر قندى » الذى ولد سنة

(c) ketabton.com: The Digital Library

(٤٤٤ هـ) « فى دمشق » وجاء فى طلب العلم إلى مدينة « هراة » فاستفاد من « عبد الله الأنصارى » وصار ذا علم وفضل واستاذا فى الحديث ، حتى وصل إلى درجة أن « نظام الملك » كان يرسله بالنيابة عنه إلى مجالس درس العلماء .

٥ — « أم الفضل بنت عبد الصمد » التى كانت كبيرة عن « عبد الله الأنصارى » فى السن ما يقرب من ثلاثين سنة ، ولها شهرة فى الحديث .

وجاء فى كتاب « مجالس العشاق » أنها أول من تكلم عند « عبد الله الأنصارى عن أوصاف الصوفى الشهير « الخرقانى » .

٦ — « عبد الرحمن بن منده »(١) الذى كان حنبليا ومخالفا لأهل البدعة ، وكانت العلاقة بينه وبين « عبد الله الأنصارى » بالمكاتبة ، إلا أنه لم يكن بينهما توافق فى النظر فى بعض المسائل ، حتى أن « عبد الله الأنصارى » قال يوما فى حقه أنه لا يفيد الإسلام بل يضره ، وتوفى « عبد الرحمن بن منده » فى مدينة « أصفهان » فى شهر شوال سنة (٤٧٠ هـ) .

---

(١) عبد الرحمن بن الحافظ المعروف بـ أبى عبد الله بن منده : ولد فى سنة (٣٨٣ هـ) وقد رحل فى طلب الأحاديث النبوية أيام شبابه كثيراً ، ثم أقام فى « أصفهان » قال « سعد الزنجانى » قد أعطى الله — تعالى — للإسلام حارسين أحدهما فى « أصفهان » وثانيهما فى « هراة » هما « عبد الرحمن ابن منده » و « عبد الله الأنصارى » ، لكن « ابن منده لم يكن فى منزلة « شيخ الإسلام » .

وقد وردت هذه المعلومات فى المجلد الأول من كتاب الذيل على الطبقات « لابن رجب » وكتاب « تذكرة الحفاظ » (للذهبى) وكتاب « طبقات » (لابن أبى يعلى) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

معاملة عبد الله الأنصارى

مع أهل الحكمة والفلسفة فى هذه المدة

روى أنه كان فى عصر « عبد الله الأنصارى » يعيش فى مدينة « هراة » الفيلسوف الشهير « ميمون بن نجيب الواسطى » الذى كان تلميذاً لـ « أبى على بن سينا » ويشتغل فى علم النجوم ، وعلم الطب .

وكان من عادته أنه يحب الانزواء عن الناس ، ولا يحب العلاقة مع أهل القدرة ، والأغنياء ، بل ينفر منهم (١) ، حتى أن « شرف الدين ظهير الملك البيهقى » أحضره بقوة عساكره الأتراك ، ليأخذ منه المعلومات عن أحواله بوساطة علم النجوم ، فلأجل أنه كان لا يضر بفلسفته وحكمته عقائد الناس لم يقل « عبد الله الأنصارى » فى حقه شيئاً ، ولم يكن مخالفا لعلمه وفلسفته .

ولقد كان يعيش فى عصر « عبد الله الأنصارى » أيضاً الفيلسوف الآخر المعروف هو « أديب اسماعيل » الذى كان تلميذا « للفارابى » وكانت له قوة شعرية فينشد الأشعار ويشتغل فى الطب ويحصل على الرزق من الطبابة .

وقد حدث أنه عالج مرة مريضاً مصاباً بمرض السكتة « الذى ظن

(١) وذلك لقوة ارتباطه مع الله جل جلاله وعدم التفاته إلى الأعراض المادية ومع هذا يحاول بهذه الرواية أن يصلح نفوس أهل الدنيا بأن يجعلوا الدنيا وسيلة للآخرة .

(c) ketabton.com: The Digital Library

الناس أنه مات ، فلما صح من غفوته وأثرت عليه معالجته اعتقد بعض الناس فيه أنه يستطيع أن يحي الموتى ، ولما كانت هذه العقيدة تضر عقيدة المسلمين جادله «عبد الله الأنصارى» وأحرق مريدوه كتبه.

وروى أنه كان طبيبا ماهرا ، وعنده من كثرة التجارب ما يجعل عامة الناس ترجع إليه فى المعالجة حتى أنه لما عرض لـ «عبد الله الأنصارى» المرض الشديد الذى لم يفده كثرة المعالجة ، واستيئس من صحته أصدقاؤه قدم مريدوه زجاجة بوله من غير علمه إلى «آديب اسماعيل» باسم رجل آخر ، وطلبوا منه المعالجة ، فلما رأى «أديب اسماعيل» زجاجة البول قال : هذا ماء فلان قد عرض عليه مرض «فواق» ، وقال : يخلط مقدار استار من البندق مع مقدار استار من «السكر العسكرى» ثم يأكله ، وتقولوا له يجب على الناس أن يعرفوا العلم ، وأن لا يحرقوا الكتب (١) ، فلما أكل «عبد الله الأنصارى» هذا الدواء رفع مرضه ، ولكن لم ترد المعلومات هل مريدوه قالوا له ما قال : «أديب اسماعيل» أم لا ؟ ولعلهم لم يجرؤا (٢) على ذلك لهيبته فى نفوسهم .

---

(١) لوقارنا معاملة «عبد الله الأنصارى» مع الفيلسوف والطبيب «ميمون ابن نجب الواسطى» بمعاملته مع الفيلسوف والطبيب «الأديب اسماعيل» يثبت لنا أن «عبد الله الأنصارى» لم يكن مخالفا لعلم الحكمة والفلسفة ، وكتبها ، وأهلها فى الأمور المدنية للناس مادام لا يضرهم فى أمور دينهم وعقيدتهم ، فإذن مخالفته لـ «أديب اسماعيل» محدودة فى دائرة الدين فقط ، وما حدث من إحراق كتبه إنما كان من جانب مريديه ومن غير رضاه .

(٢) من كتاب «زندگى» خواجه «عبد الله الانصارى» بالفارسية . ص (١٢٠ — ١٣٠) مع التحقيق فى المراجع الأخرى مثل طبقات لـ «ابن رجب» وغيره .

(c) ketabton.com: The Digital Library

أهم ماحدث فى حياة

« عبد الله الأنصارى »

بين سنة (٤٧٣ هـ) حتى توفى فى سنة (٤٨١ هـ)

روى أنه فى سنة (٤٧٣ هـ) لما وصل تدريس « عبد الله الأنصارى » فى التفسير إلى الجزء الثامن عشر من القرآن الكريم ، وإلى آية من سورة « النور » وهى « يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » حدث له أنه عجز بصره عن الرؤية ، ولكن مع هذا استمر فى تدريسه وتلقينه ، بل زاد جهده ونشاطه فى الدرس والتلقين ، وتحمل المحن فى العبادة والخدمة أكثر مما كان يتحمله من قبل ، حتى تعد هذه الدورة من حياته أعظم انتاجا وأكثر ثمرة بالنسبة إلى كل مراحل حياته ؛ لأنه بدأ يملى على تلاميذه الأحاديث والتفاسير ، ويشرح لهم الطريقة ، ويلقى أشعاره وحكاياته عن أهل التصوف ، وهم يكتبون منه أولا ثم يقرؤن عليه ثانيا ، حتى يصحح ما كتبوا عنه .

فاستمر على هذا المنهج ، وزادت شهرته واعتباره ، ومال الناس إليه من كل النواحى حتى ارتحل إليه الطلاب للاستفادة من الأوطان البعيدة ، ومالت إليه الحكومة ، فسعت لارضائه وتعاملت معه بالحسنى .

وروى أنه حينما نجح السلطان « ملك شاه » فيما دار بينه وبين أخيه « تكش » من الاختلافات والمحاربات ، وأراد السلطان العودة إلى عاصمته « أصفهان » ، فبينما هو فى طريق العودة عرف وزيره « نظام الملك » فى مدينة « هراة » حسن شهرة (عبد الله الأنصارى) وميول قلوب عامة الناس إليه .

(c) ketabton.com: The Digital Library

فلما استقرت الأوضاع السياسية فى « خراسان » جاء « فخر الدولة » الذى كان وزيرا للخليفة فى ذلك العصر من « بغداد » إلى « أصفهان » يطلب بنت السلطان للعقد عليها للخليفة « المقتدى » ، فى ضمن المباحثات التى بحثها « نظام الملك » معه طلب منه أن يقدر خليفة « بغداد » خدمات « عبد الله الأنصارى » ، كما قدرها الخليفة المتوفى ، فاهتم خليفة الإسلام المقتدى بتقدير خدمات « عبد الله الأنصارى » ولأجل هذا قبل انتهاء سنة (٤٧٤ هـ) وصلت من جانب الخليفة إلى « عبد الله الأنصارى » الخلعة المجللة باسم « شيخ الإسلام شيخ الشيوخ ..... والحكماء « أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى » مع قباء أخرى باسم ابنه « عبد الهادى » وأعطى له خليفة المسلمين لقب « شيخ الإسلام » وشيخ الشيوخ والحكماء رسميا وعززه ، فاشتهر فى البلاد الإسلامية بشيخ الإسلام فى عصره .

ومما يلزم أن أذكره أن « عبد الله الأنصارى » لم تغره الألقاب ، ولا الهدايا ، ولا الشهرة ، ولا الأعراض المادية ؛ لأنه كان مشغولا بحب الله — جل جلاله — وكان أهم شىء عنده أن يتم رسالة حياته فقط .

روى أنه اتجه « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » فى هذه المرحلة من حياته حسب ما طلب منه تلاميذه مرارا أن يملى عليهم كتاب « منازل السائرين » باللغة العربية . نعم : ثم طلبوا منه مرارا أن يملى عليهم كتابا أوضح من كتاب « صد ميدان » الذى كتب فى سنة (٤٤٨ هـ) باللغة الفارسية ، فأملى « شيخ الإسلام » كتاب « منازل السائرين » على (عبد الملك كروخى) و « أبى الوقت السجزى » و « محمد صيدلانى » ، وختمه فى سنة (٤٧٥ هـ) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

روى عن « عبد الرازق » الكاشانى أحد شراح كتاب « منازل السائرين » أنه رأى نسخة من كتاب « منازل السائرين » التى وقع عليها « عبد الله الأنصارى » ، فيظهر لنا من هذا أنه وقتئذ لم يكن كفيفا مطلقا ، ثم بعد أن تم كتاب « منازل السائرين » أملى شيخ الإسلام على تلميذيه « السجزى » و « كروخى » كتاب « ذم الكلام وأهله » ،

كما أملى على « كروخى » أيضا كتاب « مناقب الإمام أحمد بن حنبل » وكتب عنه « محمد صيدلانى » قصيدته النونية فى مدح الإمام « أحمد بن حنبل » ، وأيضاً صحح فى هذه المدة ما كتب عنه تلاميذه كتابه « طبقات الصوفية » وهكذا استمر « شيخ الإسلام » يملى فى مسكنه على تلاميذه ومريديه ، ويلقى فى « المسجد الجامع » الدروس والمحاضرات ، حتى وصل فى سنة (٤٧٨ هـ) درس تفسيره إلى آية (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة عين جزاء بما كانوا يعملون) ، فقال لتلاميذه : فى كل اسم من أسماء الله — جل شأنه سر من أسراره ، فبدأ يشرح أسماء الله الحسنى ، وعقد من أجلها مجالس كثيرة ، حتى وصل تدريسه وشرحه إلى اسم الله — تعالى — « المميت » أى إلى « ٦١ اسما » من أسماء الله الحسنى .

ثم حدثت فى شهر رمضان سنة (٤٧٨ هـ) حادثة مفاجئة وهى أنه فى هذا التاريخ بدأ أحد علماء علم الكلام والفلسفة بالتبليغ ، ووقع فى تبليغه بعض الانحرافات عما يهدفه « شيخ الإسلام » ، فعلم « شيخ الإسلام » بهذا ، فتكلم يوما فى إحدى مجالسه عن سوء محاولة هذا المتكلم والفلسفى ، فلما سمع أصدقاء « شيخ الإسلام » ومريدوه هذا الخبر تهيج وازداد غضبهم وسارعوا إليه فضربوه وحرقوا بيته . فهرب هذا المتكلم

(c) ketabton.com: The Digital Library

من مدينة « هراة » وحدثت ضجة كبيرة فى مدينة « هراة » ، فاضطر أعيان المدينة إلى عقد جلسة اضطرارية وتناقشوا فيها فى أمر الحادثة ونسبوا إلى « شيخ الإسلام » اللوم والإلزام ، ثم قرروا اخراجه فوراً من مدينة « هراة » ، فأخرج مع أهله فى يوم الجمعة ٢٠ من شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة قبل صلاة الجمعة ، ولم يمهلوه للصلاة فأقام بقرب البلد . لكن لم يرضوا منه بذلك فخرج إلى مدينة بوشنج (١) ومن سوء الصدف أن ذلك المتكلم الفلسفى جاء أيضاً إلى هذه المدينة قبلهم ، وأنه كان قد لجأ هناك إلى بيت القاضى « أبي سعيد بن يوسف » الذى كان أستاذا فى المدرسة النظامية لهذا البلد ، فلما علم تلاميذ « شيخ الإسلام » ومريدوه بهذا توجهوا على الفور إلى بيت القاضى ، فضربوا القاضى ، وضيفه ضرباً شديداً ، حتى أصابوهما بجراح ، ثم كتب ولاة مدينة « هراة » إلى السلطان مذكرة بما حدث وشرحوا له الحادثة وجاء فيها : أنه لما كان وجود شيخ الإسلام « عبد الله الأنصارى » فى مدينة « هراة » خطرا على النظام العام ، فلحفظ الأمن العام قررنا اخراجه فوراً من المدينة .

فجاء جواب السلطان ووزيره « نظام الملك » بعد شهرين بابعاد « شيخ الإسلام » وأهله وخدمه إلى « ماوراء النهر » ، فقرىء الكتاب الوارد بذلك فى الجامع على منبر « يحيى بن عمار » للحط من شأنه ، ولتخويف العامة ، فأخرج « شيخ الإسلام » ومن كان معه من مدينة « بوشنج » وسلمهم عساكر الحكومة إلى عساكر ولاية « نيسابور » ، ثم وصلوا فى سنة (٤٧٩ ه) إلى مدينة « مرو الرود » ، ومنها وصلوا

---

(١) « مدينة بوشنج » واقعة بالقرب من مدينة « هراة » بمسافة يوم واحد .

(c) ketabton.com: The Digital Library

من طريق « آمل » إلى « آمو » وكان التصميم عندهم أن يسافروا إلى « بخارى » . لكن ورد الأمر من « نظام الملك » بردهم إلى مدينة « بلخ » ، فوصلوا إلى مدينة « بلخ » فى فصل الصيف ولقى فيها أصدقاءه وأحباءه الذين فارقهم منذ إحدى وعشرين سنة ، لكن مع الأسف لم يكن فى هذه المرة « جمال الملك » حاكما لمدينة « بلخ » لأن السلطان جعله محبوسا فى مدينة « نيسابور » فى شهر رجب سنة (٤٧٥ هـ) ، كما أنه قتل فى نفس السنة مسموما بمؤامرة « ملك شاه »(١) .

فلما استقر « شيخ الإسلام » فى مدينة « بلخ » بدأ بمجالس التدريس والتذكير وكان مريدوه يبحثون معه فى مباحث كتاب « منازل السائرين » الذى قد دون قبل خمس سنوات ، ثم بعد مدة قليلة وصلت التعليمات بأن يرجع « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » ومن معه إلى منطقة « مرو الرود » ففرحوا بهذا ؛ لأن مدينة « مرو الرود » كانت فى وسط الطريق بين مدينة « بلخ » وبين مدينة « هراة » ، ففى هذه التعليمات إشارة إلى أنه قد خفف شدة الأمر ، فهم يأملون بعدها أن يعودوا إلى مدينة « هراة » ، فزار « شيخ الإسلام » قبر والده لآخر مرة وارتحل مع من معه من مدينة « بلخ » ، حتى وصلوا إلى « مرو الرود »(٢) .

واستقبل فى هذه المدينة من جانب الشعب وأهل السلطة وأصحاب الفضل بالترحيب والإخلاص والصداقة كما قال : « الإمام أبو محمد

---

(١) من كتاب التاريخ لـ « كامل بن أثير »

(٢) المسافة بين مرو الرود وبين « بلخ » فى طريق « مرغاب » كانت (٢٦٠) كيلو متراً .

(c) ketabton.com: The Digital Library

حسين بن مسعود البغوى »(١) الذى كان من أكابر المدينة لـ « شيخ الإسلام فى وقت استقباله : قد أراد الله — تعالى — أن يعطى لك جميع الفضائل ، فلما بقيت منها فضيلة واحدة هى أخراجك من الوطن الأصلى(٢) أعطى الله — تعالى لك هـــذه الفضيلة أيضاً ليتمم فضائلك ، ثم استقر « شيخ الاسلام » مع أصحابه فى مدينة « مرو الرود » إلى فصل الربيع ، حتى وصلت الأوامر برجوعه مدينة « هراة » ، فارتحل « شيخ الإسلام » وأصحابه من مدينة « مرو الرود » ووصلوا إلى مدينة « هراة » فى يوم الأربعاء ١٤ أربعة عشر من شهر المحرم سنة (٤٨٠ ﻫ) (٢١ من شهر أبريل سنة ١٠٨٧ م) ، فاستقبله عامة الناس استقبالا رائعاً ، ودخل مدينة « هراة » بالعزة والاحترام .

ومما يؤسف له أن « شيخ الإسلام » بسبب أنه تحمل متاعب السفر

---

(١) هو فى الأصل من توابع مدينة « هراة » وكان فقيها فى مذهب الإمام الشافعى ومحدثا ، وتعودت نفسه بعادة الفقراء من حيث الخلق والأوضاع ، حتى لقبه الناس بـ « محى السنة » .

(٢) أخذت هذا من كتاب « زندگى خواجه عبد الله الأنصارى هروى » ترجمة كتاب « سرز بوركوى » راهب دومينيكى من ص (١٤٢ — ١٤٣) . لكن قد ثبت عندى أن « عبد الله الأنصارى » أخرج من وطنه الأصلى إلى مدينة « بلخ » مرتين ، فإذن لا مورد لما قاله « الإمام أبو محمد حسين بن مسعود البغوى » فى حق إخراجه هذه المرة الثانية لعله لا علم له باخراجه فى المرة الأولى إلى مدينة « بلخ » أو اختلاط على بعض الرواة ، فأخذوا الأخبار والمعلومات التى وردت فى إخراج « عبد الله الأنصارى » من مدينة « هراة » مرتين مختلطة . كما أحسست هذا الاختلاط كثيراً فى كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ، وفى كتاب « سرز بوركوى » راهب دومينيكى أيضاً .

(c) ketabton.com: The Digital Library

والمفارقة من الوطن والأحباء ، وأحس الظلم حتى فى سن الضعف والشيخوخة ضعفت مقاومة جسمه وضاع منه أكثر قوته ولكن مع هذا بدأ فى مدينة « هراة » بتدريسه لتفسير القرآن الكريم إلا أنه ترك فى هذه المرة شرح أسرار الأسماء الحسنى ، وغير رأيه عن التفصيل الكثير فى كل آية وكلمة من القرآن الكريم فأراد أن يفسر القرآن الكريم بسرعة . وكان يأمل أن يختم تفسير القرآن الكريم فى حياته، كما أنه أخذ يفسر فى كل جلسة حوالى عشر آيات ، لكن لم يقدر له ختم تفسير القرآن الكريم ، فتوفى بعد ما انتهى من قول الله عز وجل — (قل هو نبأ عظيم . أنتم عنه معرضون) .

روى أنه كان يحضر إلى حلقة تدريس حديثه كثير من الناس حتى الأولاد والطلاب الذين هم فى السن الابتدائى مثل « عبد الجليل بن أبى سعد » الذى وصلت سنه إلى عشر سنوات ، و « أبى نصرفانى » الذى كان أصغر من « عبد الجليل » بسنتين ، و « أبى الفتح بن قاضى ساعد ابن سيار » الذى وصلت سنه إلى ست سنوات حينما توفى « شيخ الاسلام » وفى هذه السنوات من سنة (٤٨٠ ﻫ) إلى سنة (٤٨١ ﻫ) استفاد من مجالسه وحلقات تدريسه عدد كثير من طلاب المعرفة ومن جملتهم الطلاب الآتية أسماؤهم : —

١ — « عبد الأول السجزى » الذى وصل سنه سنة (٤٧٣ ﻫ) إلى خمس عشرة سنة وكان يطلب الأحاديث النبوية وطريق الحق ، واشتهر فيما بعد مثل أستاذه « عبد الله الأنصارى » فى التصوف وعلم الحديث ، وكان رجلا متواضعا وصاحب أخلاق وإيثار .

٢ — « أبو الفتح عبد الملك كروخى » الذى كان متمسكا بعبادة الله

(c) ketabton.com: The Digital Library

— تعالى — ومهتما بكتابة الكتب والملفوظات ، وكان مثل « شيخ الإسلام يحب كتاب «جامع ترمذى » ، كما أنه كتب بقلمه نسخة من كتاب «جامع ترمذى » وأهداها للمسجد الجامع فى مدينة «هراة» وأيضا كتب رسالة «علل المقامات» تأليف «شيخ الإسلام » عن لسانه .

٣ — « أبو جعفر محمد صيدلانى » الذى كان فى صغره يكتب الأحاديث عن عبد الله الأنصارى وحفظ عنه الشعر الذى نشده فى مدح مذهب الامام ابن حنبل — رحمه الله تعالى — .

٤ — « أبو جعفر حنبل بن على البخارى ، مريد « شيخ الاسلام » الذى كان يعيش دائما معه .

٥ — أبو الفخر جعفر قاينى » الذى وصلت سنه فى سنة (٤٧٣ هـ) إلى (١٤) سنة ونصب يوما قاضيا لمنطقة « غورجه » .

٦ — « عبد الصبور بن عبد السلام » .

٧ — « حسين الكتبى » الذى وصلت سنه (٦٥) سنة حينما صار « شيخ الإسلام » أعمى ، فقام هو بخدمة الكتابة له ولزمه فى السفر والاقامة ، فيروى عنه من أرشادات « شيخ الإسلام » أشياء كثيرة .

٨ — « أحمد قلانسى » الذى كان خادماً لـ « شيخ الاسلام » ويستفيد منه .

وروى أيضا أنه فى هذه المدة الأخيرة من حياة شيخ الإسلام « عبد الله الأنصارى » سأله الكروخى » فى حق التوحيد الذى جاء فى آخر كتاب « منازل السائرين » فأملى فى جوابه عليه رسالة صغيرة باسم « ذكر شيء من العلل التى تدخل فى المقامات ، وتخفى على المريد المبتدىء » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

جاء فى آخر الرسالة : فالإرادة ، والزهد ، والتوكل ، والصبر ، والحزن ، والخوف ، والرجاء ، والشكر ، والمحبة والشوق منازل أهل الشرع السائرين إلى الحقيقة ، فإذا شهدوا عين الحقيقة أضمحلت فيها أحوال السائرين ، حتى يفنى مالم يكن ويبقى مالم يزل ، كما قال الله — تعالى — : (ويبقى وجه ربك . . . . . . الآية) .

وبهذا قد تمت رسالة حياة شيخ الاسلام « عبد الله الأنصارى » . فتوفى فى فصل الربيع يوم الجمعة ٢٢ من شهر ذى الحجة سنة (٤٨١ هـ) إنا لله وإنا إليه راجعون .

ودفن « شيخ الإسلام » « عبد الله الأنصارى » فى منطقة شمال مدينة « هراة » التى تسمى بـ « كازركاه » ، ولقد ثبت أن حدثت ضجة عظيمة فى كل البلاد الاسلامية بموته ، فأقام المسلمون مجالس الأدعية والتعزية ، وعبروا عن موته « أنها ضائعة كبيرة » للحياة العلمية والروحيه — غفر الله له ولمن نهج منهجه إلى يوم الدين(١)

بنـــاء مقبرة

« شيخ الإسلام »

« عبدالله الأنصارى »

بنيت أولا مقبرة « شيخ الإسلام » فى عصر سلاطين السلاجقة

(١) من كتاب « زندگى خواجه عبد الله الأنصارى » بالفارسية ص (١٣١ — ١٤٥) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ثم أقام « الأمير عز الدين عمر المرغنى » (١) بجوار مرقده بناء مدرسة فى عصر « السلطان غياث الدين محمد بن سام الغورى » (٢) وبقى بناء مرقد « شيخ الإسلام » ومدرسته فى عصر جنكيز ومتعلقيه على حاله؛ لما ظهر عندهم من بعض كراماته ، ثم فى عصر السلطان « شاه رخ » (٣) من السلاطين التيمورية صمم هذا السلطان « شاه رخ » فى سنة (٨٢٩ هـ) على تعمير مرقده ، فبنى مرقده بناء عظيما وقيما ، كما أنه بقى إلى الآن إلا أنه حصل فيه بعض الترميمات ، والتغييرات الجزئية . (٤)

أهـــل بيت

« عبد الله الأنصارى » وأولاده

روى أن « شيخ الإسلام » « عبدالله الأنصارى » قال يوما فى وقت مناجاته بالأشعار الفارسية :

هركس كه ترا شناخت جانرا جه كند
فرزند ، وعيال ، وخانمان راجه كند ؟
ديوانه كنى هرد وجهانش بخشى
ديوانه توهر دوجهان راجه كند ؟

---

(١) الأمير عز الدين عمر المرغنى هو جد سلاطين « الكرت » وكان رجلا صالحا اهتم فى حياته ببناء المساجد والمدارس والأعمال الخيرية الأخرى .

(٢) ولد « غياث الدين » سنة (٥٥٨ هـ) وتوفى سنه (٥٩٩ هـ) .

(٣) ولد « شاه رخ » فى سنة (٧٩٩ هـ) وتوفى سنة (٨٥٠ هـ) وكان سلطانا صاحب الفضل والعدالة .

(٤) من كتاب « كازركاه » المطبوع فى كابل شهر ميزان سنة (١٣٤١ هـ ش) ص (١٠ — ١٢) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

حاصل ترجمة هذه الأشعار :

كل من عرفك ماذا يفعل بنفسه ؟

يعنى لا يلتفت إلى نفسه ؟

وهو ماذا يفعل بابنه وعياله وبيته ؟

يعنى لا يهتم بها فى مقابلة حب الله

ثم قال : إذا جعلته مجنونا (فى حبك) تعطى له الدنيا والآخرة؟ فالمجنون بحبك أى فائدة له فى الدنيا والآخرة ؟ :

لكن مع هذا كان « عبدالله الأنصارى » يتبع الشريعة الإسلامية ، فينظر إلى الدنيا من حيث الوسيلة ويأكل ، ويشرب ، ويمشى فى الأسواق ، ويعامل الناس أحسن المعاملة ، كما أنه تزوج وله ابنان هما : « عبد الهادى » و « جابر » اللذان دفنا بجواره فى « كازركاه » .

وروى أن ابنه « عبد الهادى » قتلته الفرقة الباطنية (١) فى سنة (٤٩٠ هـ) (٢) .

---

(١) كتب « البغدادى » فى كتابه « الفرق بين الفرق ص (٢٢) فى حق الباطنية مايلى : —

« ظهرت دعوة الباطنية فى أيام المأمون من حمدان قرمط ، ومن عبدالله بن ميمون القداح « وليست الباطنية من فرق الملة الإسلامية ، بل من فرق المجوس .

(٢) من المجلد الثانى كتاب طبقات (لابن أبى يعلى) وكتاب « زندكى خواجه عبد الله الأنصارى » بالفارسية ص (١٨٧ — ١٨٨) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

مذهب شيخ الإسلام « عبد الله الأنصارى »

روى أن « عبدالله الأنصارى » كان يتبع فى فروع الدين الإسلامى مذهب الإمام « الشافعى » — رحمه الله تعالى — وفى الأصول ، والعقائد كان يعتمد على مذهب الإمام « أحمد بن حنبل » — رحمه الله تعالى — وإن ماجاء عنه فى أوصاف الإمام « أحمد بن حنبل » يرجع إلى مذهبه فى العقائد ، والأصول ، كما ذكر الشيخ « أبو الحسن الكرخى » شيخ الشافعية فى بلاده فى كتابه المسمى بـ « الفصول فى الأصول » أن « عبدالله الأنصارى » أنشد فى معرض النصيحة لأهل السنة :

« كن إذ ما حاد عن حد الهدى
أشعرى الرأى شيطان البشر
شافعى الشرع ، سنى الحلى
حنبلى العقد ، صوفى السير (١)

لكن هذه الرواية لاتنطابق مع العقل والنقل ؛ لأن ماروى أنه كان يتبع فى فروع الدين الإسلامى مذهب الإمام « الشافعى » ، وفى الأصول والعقائد يعتمد على مذهب . أحمد بن حنبل » لا يطابق منهاج حياته وشهرته ، والتواتر الموجود إلى الآن فى مدينة « هراة » بأنه على مذهب الإمام « أحمد بن حنبل » أصولا وفروعا ، كما أنه صراحة وصف مذهب الإمام « أحمد بن حنبل » ، ويقر بأنه حنبلى المذهب .

(١) المجلد الثانى من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة (لابن رجب) ص (٦٦) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

لاشك أنه يعظم الإمام « الشافعى » لكن هذا لايدل على أنه على مذهبه قال « ابن السمعانى » سمعت « أبا اسماعيل عبدالله بن محمد الانصارى » أنه قال : مذهب أحمد أحمد مذهب .

وروى عن « عبدالله الأنصارى » أنه قال :

الهنا مرئى على العرش مستو   كلامه أزلى ، ورسوله عربى —
كل من قال غير هذا أشعرى   ومذهبنا مذهب حنبلى —

وأيضاً روى عنه أنه أنشد على المنبر فى أحد أيام مجالسه بمدينة « هراة » :

أنا حنبلى ماحييت وإن مت   فوصيتى للناس أن يتحنبلوا

فبناء على هذا مانسب إلى « شيخ الإسلام » من الأشعار برواية « أبى الحسن الكروخى » شيخ الشافعية لايقبله العقل لعل أتباع أبى الحسن الكروخى لأجل تأييد مذهبه أنشدوا هذه الأشعار من أنفسهم ، ثم نسبوها إلى « عبد الله الأنصارى » ، فأخذ بها شيخهم أيضاً وأوردها فى كتابه .

نعم علو مقام « شيخ الإسلام » لا يناسبه أن يعد الأشعرى من « شيطان البشر » ونقل عن « شيخ الإسلام أبى العباس بن تيمية » فى كتابه « الأجوبة المصرية » :

كان « شيخ الإسلام مشهوراً » ، معظماً (عند) الناس ، وهو إمام فى الحديث والتصوف والتفسير ، وهو فى الفقه على مذهب أهل الحديث ، يعظم الشافعى وأحمد ، ويقرن بينهما فى أجوبته فى الفقه

(c) ketabton.com: The Digital Library

ما يوافق قول الشافعي تارة ، وقول أحمد أخرى . والغالب عليه اتباع الحديث على طريقة ابن المبارك ونحوه(١) » ، ويؤيد هذا أنه ليس فى الفروع على مذهب « الإمام الشافعى ، فقط غاية ما يظهر منه أنه كان مرة يعمل بمذهب الإمام الشافعى ومرة بمذهب الإمام أحمد ، والغالب عليه اتجاه أهل الحديث هو اتجاه « أحمد بن حنبل » .

والأرجح عندى ما جاء فى كتاب الذيل على طبقات الحنابلة « لابن رجب(٢) » الرأى الآتى : « كان سيدا عظيما ، وإماما عارفا وعابدا وزاهدا ، ذا أحوال ومقامات وكرامات ومجاهدات ، كثير السهر بالليل ، شديد القيام فى نصر السنة والذب عنها والقمع لمن خالفها ، وجرى له بسبب ذلك محن عظيمة ، وكان شديد الانتصار والتعظيم لمذهب الإمام « أحمد » أصولا وفروعا ، ولعله يميل فى بعض المسائل إلى رأى الإمام الشافعى أيضا .

---

(١) المجلد الأول ص (٥١) من كتاب الذيل .

(٢) من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة — المجلد الأول ص (١٦) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

مؤلفات « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » وآثاره

لو قرأنا حياة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » نجد أنه ولد فى بيئة العبادة والزهد والتقوى ، ونشأ فى الصحبة مع العلماء والصالحين والأولياء ، فبدأ بالقراءة والكتابة ، وأخذ يسلك سلوك أهل الفضل والمعرفة حتى وصل إلى درجة أنه يكتب الأحاديث بالإسناد ، والمسائل العلمية النادرة ، والمعلومات الموثوقة الأخرى ، ثم سافر لطالب العلم إلى مدينة « نيسابور » ، فاستفاد هناك من الأساتذة ، والمشايخ العظماء الكبار ، كما أنه كتب عن الشيخ « ابن باكويه » ثلاثين ألف كلمة ، وثلاثين ألف حديث ، لا شك أنه استطاع بقوة حافظته أن يحفظ الأحاديث بالإسناد والمتون ، والتدقيقات الكثيرة الأخرى بكمال دقة واتقان .

روى عنه أنه يحفظ اثنى عشر ألف حديث بالإسناد ، وأنه لم يذكر فى مجلسه حديث إلا بالإسناد ، وكان هو يشير إلى صحته وسقمه .

وسئل يوما عن تفسير آية فأنشد أربعمائة بيت من شعر شعراء الجاهلية فى كل بيت لغة لتلك الآية .

ثم لما وصل إلى سن الرشد العلمية ومرتبة الأستاذية نهج منهاج حياته على أصول الكتاب والسنة ، وبنى قصر تصوفه وأدوار حياته فى عالم الروحانية على أسس القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وبدأ بالتدريس والتلقين من سنة (٤٢٥ هـ) ، فأخذ يدرس الأحاديث النبوية إلى عشر سنوات ، ثم فى سنة (٤٣٦ هـ) بدأ بتدريس التفسير ، كما أنه أتم تفسير القرآن الكريم بالتوضيح والتفصيل والتدقيق من المدارك والمراجع والتفاسير .

(c) ketabton.com: The Digital Library

وقد ذكر ابن رجب عن « الكتبي » أنه يفسر القرآن الكريم من سبع ومائة تفسير ، واستمر فى هذا النوع من التفسير ما زاد على أربعين سنة ، حتى توفى قبل أن يختمه فى آخر المرة .

والحقيقة أن كل حياته كفاح فى سبيل الله ، ومحاولة فى خدمة المجتمع الإسلامى بالوجد والإخلاص .

نعم : هو وقف مواهبه واستعداداته وعبقريته فى هذا الطريق ؛ لأجل الوصول إلى الحق ، فيؤيد الحقيقة ويسعى لأن يتألف المجتمع من الأعضاء الصالحين ، فبقى لنا من آثار كفاحه وجهاده الآثار الآتية : —

ومما يلزم أن أذكره أن آثاره على ثلاثة أقسام : —

(أ) آثاره التى ثبت أنه كتبها بيده .

(ب) آثاره التى كتبها تلاميذه ومريدوه عنه ، والتى اشتهرت بالأمالى (يعنى الآثار التى أملاها « عبد الله الأنصارى » على تلاميذه ومريديه) .

(ج) الآثار التى تنسب إليه وفى إثبات انتسابها إليه اشتباه .

(أ) الآثار التى ثبت أنه ألفها عبارة عما يأتى :

تفسير القرآن الكريم (تفسير الهروى) بالفارسية المشهور ، بـ « كشف الأسرار وعدة الأبرار » طبع فى طهران باهتمام « جناب على أصغر حكمة » .

ذكر « الكتبي » فى تاريخه : « أن شيخ الإسلام لما رجع من محنته الأولى ابتدأ فى تفسير القرآن الكريم ، ففسره فى مجالس

(c) ketabton.com: The Digital Library

التذكير سنة ست وثلاثين وأربعمائة هجرية ، وفى سنة سبع وثلاثين أعاد تفسير القرآن ثانية فى مجالس التذكير .

وقال الكتبي : « وكان الغالب على مجلسه ،القول فى الشرع ، إلى أن بلغ إلى قوله — عز وجل — (والذين آمنوا أشد حبا لله) ، فافتتح تجريد المجالس فى الحقيقة ، وأنفق على هذه الآية من عمره مدة مديدة ، وبنى عليها مجالس كثيرة ، وكذلك قوله — تعالى :

(إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) بنى عليها ثلاثمائة وستين مجلسا ، فلما بلغ إلى قوله تعالى (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) كف بصره سنة ثلاث وسبعين ، ولما بلغ إلى قوله عز وجل .

(فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) قال : فى كل اسم من أسماء الله تعالى سر خفى ، وأخذ يفسر خفايا الأسماء حتى بلغ إلى «المميت» ،فأخرج من البلد فى الفتنة الأخير ، فلما عاد سنة ثمانين عقد المجلس على أمر جديد من تدريسه وهو تفسير الآيات بالاختصار ، ولم يكمل الكلام على الأسماء الحسنى ، فأخذ يستعجل فى التفسير ويفسر فى مجلس واحد مقدار عشر آيات أو نحوها ، وكان يريد أن يختم تفسير القرآن فى حياته . لكن لم يقدر له ذلك ، فتوفى بعدما انتهى إلى قوله — جل جلاله .

(قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون)(١) .

وقد كتب أحد مخلصيه « أبو الفضل رشيد الدين الميبذى » فى مقدمة كتابه على شرح تفسير « عبد الله الأنصارى » — المجلد فى عشر مجلدات — فى سنة (٥٢٠ هـ) أى بعد ما توفى « شيخ الإسلام » بـ (٣٩) سنة هذه العبارة .

« قرأت كتاب فريد العصر ، ووحيد الدهر » شيخ الإسلام « أبى إسماعيل عبد الله بن محمد بن على الأنصارى » فى تفسير القرآن وكشف

---

(١) من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة — المجلد الأول — ص (٥٨) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

معانيه الذى وصل فى اللفظ والمعنى والتحقيق والجمال إلى درجة الإعجاز إلا أنه لإيجازه واختصاره لا يستطيع الطلاب أن يستفيدوا منه استفادة تليق به ، فبدأت لشرحه وتفصيله[١] .

يثبت من هذا أن « عبد الله الأنصارى » ألف كتاب التفسير فى القرآن الكريم ، وأنه كان مع « أبى الفضل رشيد الدين الميبذى سنة (٥٢٠ هـ) لكن مع الأسف أن هذا التفسير ليس موجودا الآن !

٢ — رسالة مناقب الإمام « أحمد بن حنبل » التى كتبها وأملاها على تلميذه « كروخى » .

٣ — رسالة « الأربعين فى دلائل التوحيد » : هذه الرسالة مخطوطة توجد نسخة منها فى الجامعة العربية فى الشريط رقم (٤٣) .

وكتب العلامة « السبكى » أن بعض أهل البدعة سموها بـ « الأربعين فى السنة » ، وقد أثبت « عبد الله الأنصارى » فيها صفات الله — تعالى — بالأحاديث النبوية .

٤ — باب فى « الفتوة » : مخطوط فى الجامعة العربية فى الشريط رقم (٥٩) وفى أيا صوفيا من (تركيا) (٢٠٤٩) ى — (١٤٥) (١٤٠) ق — ٣٣ + ٤١٧) .

٥ — كتاب « الفاروق فى الصفات » بالعربية : ذكره ابن رجب فى ص (٥١) من كتابه الذيل على طبقات الحنابلة ، وأيضا أشار إليه « إسماعيل باشا »[٢] والعلامة « السبكى »[٣] ، فيظهر أن هذا الكتاب غير كتاب الأربعين فى دلائل التوحيد .

---

(١) من مقدمة كشف الأسرار (ج - ١) .

(٢) من كتاب (أسماء المصنفين) — المجلد الأول (ص ٤٥٢) .

(٣) طبقات الشافعيه ج ١ ص (٤٢٠) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٦ ــ كتاب « مجالس التذكير » : أشار إليه ابن رجب فى كتابه الذيل على طبقات الحنابلة ويحتمل أنه عبارة عن نفس ما قاله فى مجالس تذكيره .

٧ ــ « مناجاة عبد الله الأنصارى » (إلهى نامه) بالفارسية : توجد مناجاته الأصلية فى كتاب « كشف الأسرار » للميبذى « ، وكتاب » طبقات الصوفية « وهى عبارة عن الأدعية والمناجاة مع الله بالفارسية ، وقد أدرج فيها مواجيده والألطاف المهيجة له ، وأدى فيها المعانى العالية بالكلمات التى تؤثر على السامع تأثيرا عميقاً .

وقد اشتهرت مناجاته فى بلاد أفغانستان وإيران وباكستان والهند ، حتى يذكر العلماء ، والفضلاء من مناجاته فى كثير من محافلهم الأدبية . ومما لاشك فيه أنه يظهر من حسن آداء مناجاته، أن له قوة العلم والأدب ، وقوة الروحانية الكبيرة وسأذكر إن شاء الله ــ تعالى ــ فيما بعد بعضا من نصوص مناجاته فى هذه الرسالة .

٨ ــ « شرح التعرف لمذهب أهل التصوف » وقد ألف أبو بكر محمد الكلاباذى « البخارى » المتوفى سنة (٣٨٠ هـ) « التعرف لمذهب أهل التصوف » بالعربية ، فلما قرأ « عبد الله الأنصارى » هذا الكتاب أعجبه فكتب عليه الشرح .

ذكر « حاجى خليفة » أن شيخ الإسلام كتب على هذا الكتاب شرحا لطيفا(١) وأيضا اشار إليه « إسماعيل باشا » وعده من مؤلفاته(٢) ، ولكن مع الأسف فقد هذا الشرح حتى لا يوجد مخطوطه .

٩ كتاب « الخلاصة فى حديث كل بدعة ضلالة »

ذكر حاجى خليفة أنه ابتدأ من « الحمد لله على أفضاله ،

---

(١) من كشف الظنون .

(٢) من كتاب « أسماء المصنفين » ج ١ ص (٤٥٢) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ونسأله . . . . إلخ(١) وعبر عنه « إسماعيل باشا » أنه خلاصة فى شرح كل بدعة ضلالة(٢) .

١٠ — « الرسالة باللغة العربية » : كتب « ريتر » أنه يوجد فى « كشك بغداد فى رقم (٥١٠) رسالة عربية لشيخ الإسلام موضوع بحثها (إسناد الموجودات إلى الخالق)(٣) .

١١ — « القصيدة فى الاعتقاد » :

كتب « السبكى » : وله قصيدة فى الاعتقاد ينبىء عن العظائم فى هذا المعنى(٤) .

١٢ — « مذكرات شيخ الإسلام » :

هى التى اشتهرت فى الفارسية بـ (جزوهاى « شيخ الإسلام ») .

ومما يلزم أن أذكره أنه كان عند « شيخ الإسلام » كتاب نوت بوك أبيض يكتب فيه بعض ما يريده من المعلومات كل يوم ، كما ذكر كاتب « طبقات الصوفية » أنه كان فى « جزو هاى » شيخ الإسلام بخطه أسماء الفصول ، وأنه استفاد منها فى شرح حال « الحلاج » .

١٣ — كتاب « ذم الكلام وأهله » :

قد أملى « شيخ الإسلام » هذا الكتاب على تلميذه « السجزى »

---

(١) من كشف الظنون ج ١ ص (٧٢٠) .
(٢) من « أسماء المصنفين » ج ١ ص (٤٥٢) .
(٣) من مجلة الإسلام وفيلوجيكا — تأليفات فارسى ٢/٩٢٤/ستورى .
(٤) من طبقات الشافعية ج ٣ – ص (١٨) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

وكروخي في سنة (٤٥٦ هـ) أو بعدها بقليل ، توجد النسخة المخطوطة منه في معهد المخطوطات بالجامعة العربية في الشريط رقم (٩٧) ، وفي مكتبة الظاهرية من « دمشق » تحت رقم (٢٣٧) ، وفي المتحف البريطاني تحت رقم (٧٥٢٠) ، وأيضا توجد نسخة مخطوطة منه في معهد « الإلهيات » بأنقره ، واستفاد منه العلامة « السيوطي » المتوفى في سنة (٩١٤ هـ) في كتابه « صون المنطق والكلام » واستفاد أيضا الأستاذ المرحوم « مصطفى عبد الرازق » في كتابه « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » من مباحث كتاب « ذم الكلام وأهله » ، لكنه لم ير أصل الكتاب « السيوطي » — رحمه الله تعالى — .

وقد ذكر « شيخ الإسلام » في كتاب « ذم الكلام وأهله » بعض أسماء مؤلفاته قبل هذا الكتاب .

(ا) - كتاب « مناقب أحمد بن حنبل » .

(ب) - كتاب « تكفير الجهمية » .

(ج) - كتاب القدرية .

(د) - كتاب « الفاروق » .

(هـ) - كتاب « القواعد » .

(و) - كتاب « مناقب الآثار » (١) .

ومما يلزم أن أذكره هو أنه يظهر من كتابه في ذم الكلام وأهله اتجاهه ومقاومته المخالفين .

---

(١) من كتاب « نهصد مين سال وفات خواجه عبـــد الله الأنصاري » بالفارسية ص (١١٦) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

(ب) آثاره التى كتبها تلاميذه ومريدوه عنه

هذا القسم من آثاره هو ما كتبه عنه تلاميذه ومريدوه من مجالس تذكيره وتلقينه فى الحديث والتفسير والتصوف والعقائد ، وتسمى بـ « الأمالى » لأن أكثرها أملاه على تلاميذه ومريديه . وقد عبر عنها مولانا « عبد الرحمن جامى » أنها أذواقه ومواجيده ، وهى عبارة عما يأتى :-

١ — كتاب « طبقات الصوفية » الذى ألقاه على تلاميذه ومريديه فى « خانقاه » (تكيه) بين سنة (٤٦٣ هـ) وبين سنة (٤٧٣ هـ) فى ضمن تدريسه لكتاب « طبقات الصوفية » باللغة العربية لـ « أبى عبد الرحمن محمد بن حسين السلمى النيسابورى » المولود فى سنة (٤٢٥ هـ) المتوفى سنة (٤١٢ هـ) وزاد عليه من أذواقه ومواجيده ثم جمعه بعد موته أحد تلاميذه فى سنة (٤٨١ هـ) . لكن جمعه لم يكن على أحسن الترتيب ، فجمع ورتب « عبد الرحمن جامى » هذا الكتاب بعد أربعة قرون من وفاة « شيخ الإسلام » على أحسن ترتيب ، وزاد عليه ذكر حال بعض المتصوفين الآخرين ، واشتهر كتاب جامى « هذا بـ » نفحات الأنس » وطبع أصل كتاب « طبقات الصوفية لـ « عبد الله الأنصارى » فى « كابل » سنة (١٩٦٢ م) باهتمام « عبد الحى حبيبى » .

(٢) القصيدة النونية فى - مدح الإمام « أحمد بن حنبل » رحمه الله تعالى - التى كتبها تلميذه « محمد صيدلانى » عنه (١) .

---

(١) جاء نص القصيدة فى كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة « لابن رجب » ص (٥٣) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٣ ــ الرسالة الصغيرة التى اشتهرت بـ « علل المقامات » : وقد جاء فيها من العلل التى تدخل المقامات وتخفى على المريد المبتدى ، وأملى « شيخ الإسلام » هذه الرسالة فى آخر حياته على تلاميذه حينما سأله « صالح أبو الفتح عبد الملك بن عبد الله بن أبى سهل الهروى كروخى » عن آخر مقامات منازل السائرين أعنى « التوحيد » وقد طبع متن الرسالة فى « دمشق » سنة (١٩٥٦ م) .

٤ ــ الرسالة المسماه بـ « المختصر فى آداب الصوفية والسالكين لطريق الحق » أصل الرسالة بالفارسية ، وقد كتبها عنه أحد تلاميذه ، ثم ترجمت إلى العربية وطبعت فى مصر سنة (١٩٦٠ م) وقد ذكر فيها من الآداب الظاهرية للصوفين ما يأتى :-

١ ــ فى لبس الخرقة .

٢ ــ فى آداب القيام ، والقعود .

٣ ــ فى آداب الذهاب إلى البيت .

٤ ــ فى آداب الأكل .

٥ ــ فى آداب الضيافة .

٦ ــ فى السماع .

٧ ــ فى آداب السفر .

وقد ذكر فى آخر الرسالة عن « شيخ الإسلام » أنه قال هذه الآداب هى الآداب الظاهرية للمريد التى يلزم على المريد مراعاتها ، ليكون مناسبا للصحبة ، وأما الآداب الباطنية فهى عبارة عن الأمور الأخرى ولها أبواب كثيرة ، ومقامات ، ومنازل لا تحصى .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٥ - كتاب « صدميدان » بالفارسية :

بدأ « شيخ الإسلام » بتلقينه فى سنة (٤٤٨ هـ) فى ضمن تفسير اية (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم (١) .

فذكر فيه أولا مائة منزل فى السير إلى الحق بكلمات وجيزة ، ثم قسم كل منزل من منازله على ثلاث مقامات ، واستدل فى اثبات كل منزل بالآيات القرآنية ، فبدأ من « التوبة » وختم بـ « البقاء » أو المحبة .

توجد منه نسخ مطبوعة ومخطوطة ، كما أنه كتب « س ، دى بوركوى » فى سنة (١٩٥٤ م) كتاب « صد ميدان » عن النسخة المخطوطة فى « استانبول » وعن النسخة المخطوطة الموجودة فى « باريس » ونشر من معهد « فرنسى » فى القاهرة .

وقد ثبت أن كتاب « صد ميدان » من أوجز وأحسن آثار التصوف الإسلامى بالفارسيه .

٦ - كتاب « منازل السائرين إلى الحق المبين » بالعربية « الذى أملاه « شيخ الإسلام » على تلاميذه « السجزى » و « الكروخى » و « محمد صيدلانى » وتمت كتابته فى سنة (٤٧٥ هـ) ولذا تنسب النسخ المخطوطة من منازل السائرين إليهم .

وروى عن « عبد الله الأنصارى » أن تلاميذه ومريديه طلبوا منه مرارا المختصر فى منازل الطريقة بحيث تكون فيه الأبواب والفصول منظمة بالنسبة إلى كتاب « صدميدان » لكى يسهل فهمها وحفظها ، فأملاه عليهم بعد كتاب « صد ميدان » بـ (٢٧) سنة وقسمه إلى عشرة أقسام . -

---

(١) من سورة آل عمران - الجزء الثالث - الآية (٣١) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

(c) ketabton.com: The Digital Library

١ ـ البدايات .	٢ ـ الأبواب .
٣ ـ المعاملات .	٤ ـ الأخلاق .
٥ ـ الأصول .	٦ ـ الأدوية .
٧ ـ الأحوال .	٨ ـ الولايات .
٩ ـ الحقائق .	١٠ ـ النهايات .

ثم قسم كل قسم منها على عشرة أبواب ومنازل ، وقد جاء فى كل منزل من منازله ثلاث درجات بدأ من « اليقظة » وختم بـ « التوحيد ».

وتوجد من كتاب منازل السائرين « نسخ مطبوعة كثيرة » .

وقد ذكر « الشيخ عبد الرزاق كاشانى » المتوفى فى سنة (٧٣٠ هـ) فى آخر شرح منازل السائرين أنه أدرك نسخة كتبت فى سنة (٤٧٥ هـ) وكتب عليها « شيخ الإسلام » إجازته ، وقال « كاشانى » . أنه كتاب فاق على كل ما صنف « فى هذه الطريقة » .

ولا شك أن هذا الكتاب من أنفس آثار التصوف الإسلامى ، فلأجل هذا شرحه كثير من العلماء ، واستفاد منه كثير من أهل الله .

وكتب مؤلف كتاب « كشف الظنون » أنه بلغ عدد شروحه ثمانية عشر شرحا .

(c) ketabton.com: The Digital Library

الفرق بين كتاب « صدميدان »

وبين كتاب « منازل السائرين »

الفرق بينهما هو أن « شيخ الإسلام » بعد مرور (٢٧) سنة على تأليف كتابه « صدميدان » حصل عنده التجربة فى السلوك ، فغير رأيه فى كثير من المسائل السلوكية ، كما أنه فكر بالدقة واعترف بالفرق بين المريد والمراد ، فقسم الناس فى هذه السبيل على ثلاث فرق :ـ

١ ـ الذى يسير إلى المحبة بين الخوف والرجاء يسمى بـ « المريد » .

٢ ـ الذى خرج من وادى التفرقة يسمى بـ « المراد » .

٣ ـ المفتون هو غير هذين الفريقين .

وفى الحقيقة أن « عبد الله الأنصارى » قسم مقامات منازل السائرين على ثلاث مراتب :ـ

١ ـ بداية العزم فى السير .

٣ ـ الدخول فى الغربة .

٣ ـ حصول المشاهدة الجاذبة فى طريق « الفنـــاء » وطريق « التوحيد » .

فعلى هذا الأساس أورد « عبد الله الأنصارى » التغيرات فى كتابة « صدميدان » بحيث أن (٢٥) ميداناً ومقاماً من كتاب « صدميدان » لم يذكر فى كتابه « منازل السائرين » وأن (٢٤) منزلا من « منازل السائرين » ليس موجوداً فى كتابه « صدميدان » وأن (٥١) ميدانا ومنزلا مشترك فى كلا من كتابيه « صدميدان » و « منازل السائرين » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

(ج) الآثار التى تنسب إليه ولكن فى إثبات انتسابها إليه اشتباه

ولما زادت شهرة «شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى» وكثر فى البلاد من يحبون التعرف على كلامه نشر بعض الناس كثيرا من الرسائل والكتب والكلمات ثم أخرجت المعلومات الآتية : ـ

١ — دواوين الأشعار :

وقد ثبت أن لـ «عبد الله الأنصارى» أشعاراً ومنظومات بالعربية والفارسية إلا أنه لم يجعلها فى دواوين ، كما أنه ذكر بين كلامه الأشعار والرباعيات عن بعض الشعراء مثلا جاء فى كتاب «كشف الأسرار للسيبذى» الرباعى الفارسى الآتى : ـ

غم كى خورد أنكه شاد مانيش توئى ... يا كى مرد آنكه زند كانيش توئى

درنسيه آن جهان كجادل بندد ... آنكس كه بنقد اين جها نيش توئى

حاصل الترجمة :

لم يخاف ويغتم من الذى أنت مسرته ؟ ... أو لم يموت من الذى أنت حياته ؟

ولا يربط قلبه بالوعد المفروض فى الآخرة ... من الذى أنت أهم حياته فى الدنيا

وقد تحقق أن هذا الرباعى من «سنائى» كما يوجد فى ديوان «سنائى» أيضاً وكتب حاجى خليفة (١) أن لـ «عبد الله الأنصارى» ثلاث دواوين من الأشعار بالفارسية ، لكنه لم يذكر شيئا من كلمات أول صفحة من تلك الدواوين . كما هو عادته أنه يذكر من الكتب التى قرأها شيئا من أوائلها ، فثبت أنه لم ير أصل هذه الدواوين .

---

(١) من كشف الظنون — المجلد الأول — ص (٧٩٩)

(c) ketabton.com: The Digital Library

ومن المؤسف أنه قد نشر باسمه كثير من الأشعار التى ليست فى الحقيقة له، كما أن «كوفسكى» فى سنة (١٨٩٥ م) نشر فى مجلة «بترسيرك» عشرين قطعة من الأشعار باسمه ثم نشر «بوكد أنوف» تلك الأشعار مع ترجمتها بالانجليزية سنة (١٩٣٩ م) فى مجلة (جمعية أسيائى بنكال) باسم «ترانه هاى بيرهرات» وقد أخذ أكثر هذه الأشعار من الكتاب المزيف المجعول باسمه هو كنز السالكين وزاد العارفين».

وهكذا نشرت باسمه الأشعار والرباعيات والمنظومات الأخرى التى يظهر من أدائها وافادتها والتحقيق فيها أنها ليست فى الحقيقة له وأن القول بصحتها يقتضى كثيرا من البحث والتأمل.

٢ — كنج نامه:

طبع ونشر هذا الكتاب «ملاجان محمد قندهارى» التاجر للكتب فى سنة (١٣٢٨) ونسبه إلى «عبد الله الأنصارى» وذلك لأجل لحصول على المال، فكل من يقرأ هذا الكتاب مع الدقة يتضح له أنه كتاب عادى ومبتذل، وليس فى الحقيقة من آثاره؛ لأنه جاءت فى هذا الكتاب أشعار الشعراء الذين يعيشون بعده بقرون! مثلا جاء فيه شعر من كتاب «بوستان» لـ «سعدى» بالفارسية ونسبه إليه، وإليك بهذا الشعر:

فروماندكان رادرون شاد كن　　زروز فرو ماند كى يادكن

حاصل الترجمة لهذا الشعر مايأتى.

أبهج قلوب الذين هم فى مشقة الحياة (١)

وتذكر أيام أن كنت فى مشقة الحياة

(١) خطاب لكل الأغنياء بأن يساعدوا الفقراء ويذكروا من خواطر أيام مشقتهم؛ لكى يرحموا من كان فى المشقة.

(c) ketabton.com: The Digital Library

٣ ـ كنز السالكين :

يوجد بهذا الاسم كتاب فى مكتبات « تركيا » و « الهند » و « أوربا » ويعدونه من مؤلفات « شيخ الإسلام » جاء فيه كثير من النظم والنثر ، فمن يطالعه ويقارنه بآثاره الأصلية يظهر له أنه مزيف وإنما اشتهر باسمه كذبا وخطأ ، كما أن « حاجى خليفة » و « اسماعيل باشا » لم يذكرا أن هذا الكتاب من مؤلفات « عبد الله الأنصارى » ومن المؤسف أنه نشر بعض من فصول هذا الكتاب فى مجلة « شرقيات استانبول » باسم « شيخ الاسلام » .

٤ ـ كتاب « أنس المريدين وشمس المجالس »

هذا الكتاب هو عبارة عن قصة « يوسف وزليخا » ومع أن « حاجى خليفة » ، و « اسماعيل باشا » قد أشارا إليه إلا أنه فى الحقيقة ليس له كما صرح « ر . ليو » فى مجلة « جمعية آسيائى » سنة (١٩٢٩ م) بأن انتسابه إلى « عبد الله الأنصارى » خطأ ، وقد كتب هذا الكتاب فى سنة (١٠١٣ م) وتوجد نسخة منه فى « برهان بور من الهند » فى رقم (١٧٧٨) .

٥ ـ النصيحة لنظام الملك أو نصيحة نامه وزير

وقد نشر « برتلس » فى مجلة « أكادمية لينتجراد » سنة (١٩٢٦) رسالة بهذا الإسم ونسبها إلى « شيخ الإسلام » ، كما طبع هذا الكتاب باسم « تحفة الوزراء » فى « نولكشور » الهند سنة (١٩٢٦ م) ولما كان لـ « شيخ الإسلام » من العلاقات الودية مع « نظام الملك » يحتمل أنه كتب بعض هذه النصائح له إلا أننى لم أجد لاثباتها المنابع الموثوق بها .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٦ — أسرار نامه أو « كتاب الأسرار » :

يوجد فى المتحف البريطانى كتاب « شيخ سليمان الهروى الأنصارى » باسم « مقالات العارفين مرآة السالكين » جاء فيه باب بعنوان « أسرار نامه » نسبه إلى « شيخ الإسلام » والحقيقة أن فى هذا الكتاب اقتباسات من « سلسلة الذهب » لمولانا « جامى » فيثبت أنه قد دون بعد عصر « جامى » وأن مسألة انتسابه إلى « شيخ الإسلام » تقتضى البحث والدقة والتأمل .

٧ — الرسائل :

وقد نشرت هذه الرسائل فى شيراز من « إيران » سنة (١٣٥١ هـ ، ق) ونسبت إلى « شيخ الإسلام » لكن من يقرؤها يظهر له أن فى إثباتها اشتباهاً يقتضى كثيراً من التحقيق .

٨ — الرسائل الأخرى :

وقد نشرت من إدارة « أرمغان طهران المجموعة الأخرى من الرسائل فى سنة (١٣١٩ هـ ، ش) وذكر فيها ثمانياً من الرسائل بالتفصيل الآتى :

(ا) « دلوجان » .

(ب) « واردات » .

(ج) « كنز السالكين » .

(د) « قلندر نامه » .

(هـ) « هفت حصار » .

(و) « محبت نامه » .

(ز) « مقولات » .

(ح) « الهى نامه » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

فهذه الرسائل وإن كانت منسوبة إلى « عبدالله الأنصارى » إلا أنه فى إثبات صحة انتسابها إليه اشتباه ، والقول الصحيح هو أن فى هذه الرسائل توجد مختارات واقتباسات من كلامه ، وليست كلها من كلامه .

٩ — پرده حجاب :

توجد فى مكتبة « الشهيد على » من « استانبول » تحت رقم (١٣٧٢) مجموعة مخطوطة كتبت فى سنة (٩٠٤هـ) ونسبت إلى « عبد الله الأنصارى » جاء فيها من الرسائل الآتية :

(ا) « صدميدان » .

(ب) « واردات » .

(ج) « كنز السالكين » .

(د) « إلهى نامه » .

(هـ) « سؤال ازجان ، وجواب آن » .

(و) « قلندر نامه » .

(ز) « محبت نامه » .

(ح) « پرده حجاب حقيقة وحقيقة إيمان » .

وتوجد أيضاً نسخة من الرسالة « پرده حجاب حقيقة وحقيقة إيمان » فى جامعة « بومبى » والذى لاشك فيه أن رسالة « صدميدان » من آثار عبد الله الأنصارى ، أما سائر الرسائل ، فنحتاج لاثبات صحةانتسابها إليه إلى كثير من الدقة والتحقيق ، لكى يميز أصل كلام « عبد الله الأنصارى » عما اختلط به ونسب إليه .

١٠ — الرسائل المخطوطة الأخرى :

توجد فى مكتبة « مراد ملا » من « استانبول » تحت رقم (١٧٩٦) من الآثار المنسوبة إلى « عبد الله الأنصارى » الرسائل الآتية :—

(c) ketabton.com: The Digital Library

٢ ـ الرسالة المكونة من أربعين فصلا فى التصوف .

٢ ـ « صدميدان » .

٣ ـ « الرسالة فى المعارف »

٤ ـ « الرسالة فى كلمات الحكمة والنصيحة والمناجاة » .

٥ ـ « الرسالة فى ماذا يقول الناس ؟ » .

٦ ـ « مناجاة ، وفوائد » .

٧ ـ « من كلامه قدس سره » .

٨ ـ « من كلماته القدسية » .

٩ ـ « من مقالاته فى موعظته لنظام الملك الطوسى » .

١٠ ـ « الرسالة فى عشر خصائل التى ترجح بها الحياة عن الموت » .

١١ ـ « من مقولاته ـ رضى الله تعالى عنه ـ » .

١٢ ـ « من أنفاسه الشريفه فى النصيحة » .

١٣ ـ « زاد العارفين » .

١٤ ـ « قلندر نامه » .

١٥ ـ « كنز السالكين » .

هذه الرسائل والكتب كما قلنا فى السابق تتطلب كثيرا من التحقيق والتدقيق ، حتى يتضح منها أصل كلام « عبد الله الأنصارى » عما اختلط بكلام سائر الناس وما نسب إليه خطأ أو كذبا .

١١ — <u>مناجاته التى ترجمت إلى الإنجليزية وعلق عليها الثائر الزعيم الهندى « غاندى » :</u>

قال دكتور « تاراجند » الهندى فى خطابه الذى ألقاه فى المهرجان الكبير الذى انعقد فى أفغانستان ـ كابل ـ سنة (١٣٤١ هـ ، ش)

(c) ketabton.com: The Digital Library

بمناسبة مرور (۹۰۰) سنة على وفاة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » أن « سر جوكندر سنكه » ترجم كتاب « مناجلة » « شيخ الإسلام » من الفارسية إلى الإنجليزية منذ ۱٥ سنة تقريبا ، ثم كتب الثائر والزعيم الشهير الهندى « غاندى » مقدمة وتعليقا على هذه الترجمة ، وطلب « غاندى » من الهنود أن يفكروا فى التعليمات والمقالات التى صدرت من الأذهان العالية فى كل المذاهب ، ويقول :

يجب علينا أن لانكون مثل الحيوان الصغير الذى يعيش فى « البئر » ويظن فى الدنيا أنها عبارة عما أحاط بالبئر من الجدران بأن نفكر فى أن مذهبنا فقط هو مذهب معرفة الحقائق وسائر المذاهب الأخرى كذب أو خطأ ، ثم قال « غاندى » : « إنه يثبت من المطالعة الأمنية للمذاهب الأخرى أن مذاهبهم حقة كمذهبنا » (۱) .

۱۲ – آثاره التى توجد فى اتحاد الجمهوريات الروسية :

قال « پروفيسور عبد الغنى ميرزايف » فيما يتعلق بالآثار المخطوطة لـ « عبد الله الأنصارى » الموجودة فى « اتحاد الجمهوريات الروسية » فى خطابه الذى ألقاه فى المؤتمر الذى انعقد فى أفغانستان» ـ كابل ـ سنة (۱۳٤۱ هـ) بمناسبة مرور (۹۰۰) سنة على وفاة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » أن (۱۲٥) نسخة من الآثار المنسوبة إليه موجودة فى « اتحاد الجمهوريات الروسية » ، ووضحها كما يأتى : ـ

۱ ـ توجد فى مكتبة « انستيتوت خاور شناسى فرهنكستان علوم اتحاد الجمهوريات الروسية » (۲۰) نسخة جاء فيها « أنيس المريدين »

---

(۱) من كتاب « نهصد مين سال وفاة خواجه عبد الله الأنصارى هروى » بالفارسية والبشتو المطبوع فى أفغانستان ـ كابل ـ سنة (۱۳٤۲ هـ ، ش) ص (۱۰۱) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

وشمس المجالس ، و « كنز السالكين » ، و « أنوار التحقيق » ، و « إلهى نامه » ، و « مناجاة » ، و « منازل السائرين » .

٢ ـ وتوجد فى المكتبة الحكومية لمدينة « لينجراد » خمس نسخ فيها « أنوار التحقيق » ، و « تحفة الوزير » و « المقالات » ، وأيضاً يوجد مخطوط فى (٥٥٠) صفحة وهو المسمى بـ « منازل السائرين » ويعتقد « روس زوكا ويسكى » فى حق هذا المخطوط أنه « مستعجلات » عبد الله الأنصارى » التى ذكرها مؤلف « كشف الظنون » ، كما أنه انتخب منه (١٥) قطعة من الأشعار ورباعيتين وبعض حصص من النثر ، ثم نشرها مع ترجمتها بالروسية فى سنة (١٨٦٥ م) .

٣ وتوجد فى مكتبة « دانشكده خاور شناسى » بـ لينجرد ثلاث نسخ من الآثار المنسوبة إليه لكن يظهر من مطالعتها أن شخصاً آخر أخذها من كلامه ثم رتبها .

٤ — وتوجد فى مكتبة « انستيتوت خاور شناسى فرهنكستان العلوم » لـ « أوزبكستان » (٥٨) نسخة من الآثار المنسوبة إليه جاء فيها « منازل السائرين » بالعربية والفارسية « والهى نامه ومناجاه ، ورسالة . . « دل وجان و « وكنج نامه » ، و « فردوس العافين » ، و كنز السالكين » .

٥ — وتوجد فى المكتبة الحكومية لمدينة « دوشنبة » ثلاث نسخ من الآثار المنسوبة إليه وهى عبارة عن « أنيس المريدين وشمس المجالس » ورسالة « دل وجان » و « مناجاة » .

٦ — وتوجد فى مكتبة « خاور شناسى فرهنكستان العلوم » لـ « تاجكستان » (١١) نسخة جاء فيها « منازل السائرين » بالفارسية ،

(c) ketabton.com: The Digital Library

وكنز السالكين،و « مناجاة » و « الهى نامه » وثلاث رسائل أخرى بدون عنوان ونسبت كلها إلى« عبد الله الأنصارى » .

٧ — وأيضاً توجد فى مكتبات جمهوريات «كرخستان و أرمنستان » و أذربايجان من المناطق الروسية نسخ من المخطوطات المنسوبة إلى « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » (١) .

التعليق على الآثار المنسوبة إلى عبد الله الأنصارى

يثبت من مطالعة الرسائل والكتب والمؤلفات التى نسبت إليه أن « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » لأجل شهرته العامة حاول المؤلفون والكتاب أن يأخذوا من كلامه شيئاً ، ثم يزيدوا عليه من كلام العلماء والمتصوفين والشعراء الآخرين ، ثم ينسبوا هذا كله إليه ؛ ليميل الناس إلى ما كتبوا ، ومن هذه الآثار توجد نسخ كثيرة فى بلاد « خرسان » و « أفغانستان » و « إيران » و « باكستان » و « تركيا » و « دمشق » و « العراق» و « مصر » و « روسيا » . . . .

فلهذا ألزمت نفسى أن أقدم الاقتراح فى حق الآثار والمؤلفات المنسوبة إلى « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » كما يأتى : ـ

لما كان « شيخ الإسلام » من كبار علماء الإسلام وله مؤلفات كثيرة وأخذ كثير من العلماء بأقواله ، فيجب على المراكز العلمية أن

---

(١) من كتاب « نهصد مين سال وفات خواجه عبد الله الأنصارى هروى » بالفارسية والبشتو المطبوع فى افغانستان — كابل — سنة (١٣٤٢ هـ ، ش) ص (١٣٥ — ١٣٩) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

تكون لجنة من العلماء والخبراء للتحقيق والبحث فى آثار « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » وكلماته القيمة الموجودة فى البلاد ثم ينشر ماثبت عندها من الحقائق فيما يتعلق بآثاره. لكى نميز آثار « شيخ الإسلام » وكلامه من الآثار المزيفة المنسوبة إليه.

المقارنة بين آراء عبد الله الأنصارى

« التى تتعلق بالمسائل الكلامية وبين آراء الذين خالفهم فى عصره »

قد ثبت أن « عبد الله الآنصارى » كان مخالفا لآراء أهل الأهواء، والمبتدعة، والقدرية، والجبرية، والشيعة، والمعتزلة، والأشـــاعرة، والماتريدية.

وكان متمسكا بالكتاب والسنة أشد التمسك، وأنه يتبع فى الأمور العقائدية منهج الإمام « أحمد بن حنبل »، فيجب أن نشير أولا إلى العقيدة الإسلامية وأركان الدين، وأسباب الإختلافات عموما وأسبابها بين المسلمين خاصة، وثانياً إلى تلك الآراء والإختلافات الموجودة فى الكلام اختصارا، ونبين رابعاً آراء « عبد الله الأنصارى » التى تتعلق بالعقيدة والكلام، وبعدها نقدم التعليق الخاص على تلك الاختلافات والمناقشات.

العقيدة الإسلامية :

العقيدة الإسلامية هى :

الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع بأن الله — تعالى — موصوف بجميع الصفات الكمالية ومنزه عن جميع النقائص والعيوب، وبأن محمدا — صلى الله عليه وسلم — رسوله الذى أرسله إلى كافة

(c) ketabton.com: The Digital Library

الناس ؛ ليهديهم إلى سواء السبيل وينقذهم من الضلالة والانحراف ، وبأن جميع ما جاء به من الله – جل شانه – يلزم علينا اتباعه .

أركان الدين التى اتفق عليها جمهور أهل السنة والجماعة

قال « عبد القاهر بن طاهر البغدادى الاسفرائينى » المتوفى فى عام (٤٢٩ هـ — ١٠٣٧ م) :

قد اتفق جمهور أهل السنة والجماعة على أصول من أركان الدين ، كل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ معرفة حقيقته ، ولكل ركن منها شعب ، وفى شعبها مسائل ، اتفق أهل السنة فيها على قول واحد ، وضل من خالفهم فيها . وعدد « البغدادى » تلك الأركان والأصول كما يأتى : (١)

١ - اثبات الحقائق والعلوم .

لأن انكارها يفضى إلى إنكار الله — تعالى — وإنكار الرسل وإنكار الأديان جميعا) .

٢ - العلم بحدوث العالم فى أقسامه من أعراض ، وأجسام .

٣ - معرفة صانع العالم وصفات ذاته .

٤ - معرفة صفاته الأزلية .

٥ - معرفة أسمائه وأوصافه .

٦ - معرفة عدله وحكمته .

٧ - معرفة رسله وأنبيائه .

---

(١) من كتاب « الفرق بين الفرق » تأليف « البغدادى » ص (٢٢١ — ٣٢٢) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٨ ـ معرفة معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء .
٩ ـ معرفة ما أجمعت الأمة عليه من أركان شريعة الإسلام .
١٠ ـ معرفة أحكام الأمر والنهى والتكليف .
١١ ـ معرفة فناء العباد وأحكامهم فى المعاد .
١٢ ـ الخلافة والإمامة وشروط الزعامة .
١٣ ـ أحكام الإيمان والإسلام فى الجملة .
١٤ ـ معرفة أحكام الأولياء ومراتب الأئمة الأتقياء .
١٥ ـ معرفة أحكام الأعداء من الكفرة وأهل الأهواء .

لاشك أن تلك الأركان التى ذكرها « البغدادى » يجب على كل مسلم وخاصة العلماء أن يعرفوها حق المعرفة ؛ لكى لايزيغهم زيغ الزائغين .

أسباب الاختلاف عموما

لا شك أنه كما أن صور الناس مختلفة ، كذلك الأفكار مختلفة وأسباب الاختلاف تختلف باختلاف الشرائط والظروف والبيئات ، لكن على الأكثر مناشىء تلك الإختلافات عبارة عما يأتى : —

١ ـ غموض الموضوع فى ذاته .
٢ ـ اختلاف الرغبات والشهوات والأمزجة .
٣ ـ اختلاف المناهج والاتجاهات .
٤ ـ تقليد السابقين .
٥ ـ اختلاف المدارك والإستعدادات .
٦ ـ الرياسة وحب السلطان والمسائل السياسية .
٧ ـ وقوع الحوادث والثورات والانقلابات .

فلتلك الأسباب وأسباب أخرى ، اختلف الناس ولايزالون مختلفين حتى يفصل الله — جل جلاله — بينهم .

(c) ketabton.com: The Digital Library

أسباب الإختلاف بين المسلمين :

١ - العصبية والتفاخر بالأنساب والأحساب .
٢ - التنازع على الخلافة .
٣ - مجاورة المسلمين لكثير من أهل الديانات القديمة ، ودخول بعضهم فى الإسلام .
٤ - ترجمة الفلسفة إلى العربية .
٥ - القصص والإسرائيليات .
٦ - ورود المتشابه فى القرآن الكريم .
٧ - استنباط الأحكام الشرعية .
٨ - إعجاب كل ذى رأى برأيه .
٩ - التعرض لبحث كثير من المسائل الغامضة بدون منهج صحيح .

ومن تلك الأسباب وغيرها أختلف المسلمون فظهر الفقهاء والمحدثون ، وجاءت فرق الشيعة والخوارج والقدرية والجبرية وأهل الأهواء ، ثم جاءت فرق المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والسلفية ، واختلفوا فيما اختلفوا ، حتى لا يصح لنا القول بأن كلهم على الحق ، ولا أن نقول بأن كلهم على الباطل ، بل أن نقول إن الحق دائر فيما قالوا باتباع الكتاب ، والسنة .

اختلاف المسلمين حول المسائل العقائدية ، والسياسية ، والفقهية :

قد ثبت أن اختلاف المسلمين ليس فى وحدانية الله — تعالى — وشهادة أن محمدا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، ولا فى أن القرآن الكريم نزل من عند الله — تعالى — وأنه معجزة النبى ،

(c) ketabton.com: The Digital Library

ولا فيما ورد بالتواتر ولا فى أصول الفرائض كالصلاة والزكاة والحج والصوم ، وبعبارة أخرى لم يكن الخلاف بينهم فى ركن من أركان الإسلام ، ولا فى أمر قد علم من الدين بالضرورة كتحريم القتل ، وشرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير والميتة ، والحصول على المال بالغدر والخيانة، وضياع الوقت فيما لا يعنى وتحريم الأضرار والأعمال التخريبية والمفاسد الإجتماعية ولا فى أصل العقود الإجتماعية ، والمسائل الأخلاقية ، والقواعد العامة للميراث .

وإنما الاختلاف بينهم فى أمور لاتمس الأركان ولا الأصول العامة .

ولكن مع هذا فلا شك أن الاختلاف الذى دار بين المسلمين حول بعض العقائد ، وحول بعض المسائل السياسية كان شرا ،كما روى الإمام « البخارى » عن زينب بنت جحش أنها قالت :

استيقظ النبى — صلى الله عليه وسلم — محمرا وجهه يقول :

« لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب » ، ويشير النبى — صلى الله عليه وسلم — بهذا إلى ما يجرى بين المسلمين من خلاف بعده .

وروى أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال :

افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة (١) .

ومما يجدر القول به أن الاختلافات الفقهية بين أئمة المسلمين فى غير ما جاء به نص من الكتاب والسنة حسن ؛ لأنها فى الحقيقة دراسة عميقة لفهم الكتاب والسنة ودين الإسلام ، ومناقشات لحل

---

(١) روى هذا الحديث على اختلاف فى متنه ، بعدة أسانيد ولكن حديث افتراق أمتى لم يرو فى صحيح البخارى ولا فى صحيح مسلم .

من حاشية كتاب المنقذ من الضلال « للغزالى » ص (١٢) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

المشكلات فى طريق تطبيق القوانين الإسلامية ، فلو لم تكن هذه المناقشات السلمية لوقع المسلمون فى ضيق وحرج .

ومما يلزم أن أذكره أن الإختلافات فى المذاهب الإسلامية كلها تقع تحت ثلاث شعب : —

١ ـ الاختلافات السياسية : وهى عبارة عن المحاولات التى دارت حول الإمامة والخلافة ، كما حصل من فرق الخوارج ، وفرق الشيعة وغيرهم .

٢ ـ الإختلافات الفقهية : وهى عبارة عن المباحثات التى دارت حول المسائل الفرعية للإسلام من الفرائض والواجبات والأوامر والنواهى مثلما حصل من الإمام « أبى حنيفة » والإمام « مالك » والإمام « الشافعى » والإمام « أحمد بن حنبل » .

٣ ـ الإختلافات العقائدية : وهى عبارة عن المناقشات التى دارت فى الأساسات الإسلامية مثلما حصل بين المعتزلة ، والأشاعرة ، والماتريدية ، وغيرهم .

ولا شك أن مبادىء كل هذه المذاهب واتباع جميع هذه الإختلافات كانت موجودة فى عصر « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » حتى أن بلاد العراق و « خراسان » كانت تعد مهدا لتلك الإختلافات والمحاولات والمباحثات والمناقشات .

(c) ketabton.com: The Digital Library

مجمل الآراء والاختلافات التي دارت حول القضاء، والقدر
ورأى «عبد الله الأنصارى» فى البحث عنهما

قد ثبت أن مسألة القضاء والقدر موجودة فى كل دين من الأديان السماوية، وأن البحث والمناقشة حولها كما وجد فى عصر النبى – صلى الله عليه وسلم – وبعده كذلك وجد قبله فى الأديان السابقة.

روى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه منع الصحابة عن البحث فيهما.

وقد ثبت عندى أن البحث فى هذه المعضلة لم تكن حاجة إليه فى عهد النبى – صلى الله عليه وسلم – لاستطاعته إقناع الناس بالوحى والمعجزات.

أما البحث حول هذه المعضلة بعد الرسول لرد الشكوك والانحرافات، وتفهيم الموضوع بحيث لا يفضى إلى المغالاة ولا يخرج عن الحدود فأمر ضرورى.

إذ يلزم على المسلمين أن يعلموا أن قضية القضاء والقدر ليست كما فهمها الجبرية، لأنهم سلبوا الإختيار والحرية عن البشر، ولا بدرجة إنكار القدرة لها حيث لا دخل للقضاء والقدر فى أعمال العباد عندهم.

فلهذا أذكر فيما يأتى مجمل الآراء التى دارت حول هذه المعضلة: –

١ – قول جمهور الحكماء: وهو أن قضاءه – تعالى – عبارة عن علمه – بما ينبغى أن يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن نظام وأكمل الانتظام، وهو المسمى عندهم بالعناية التى هى مبدأ فيضان الموجودات من حيث جملتها على أحسن الوجوه وأكملها.

(c) ketabton.com: The Digital Library

وأن قدر تعالى ـ عبارة عن خروج علمه وعنايته إلى الوجود العينى بأسبابها على الوجه الذى تقرر فى القضاء .

٢ ـ قول بعض الحكماء : وهو أن قضاءه — تعالى — عبارة عن علمه الإجمالى وان قدره ـ تعالى ـ عبارة عن علمه التفصيلى .

٣ ـ قول « أبى البقاء » الذى ذكره فى بحث الكليات:

وهو أن القضاء ثبوت صور جميع الأشياء فى القلم الأعلى على الوجه الكلى ، وهو الذى تسميه الحكماء بالعقل الأول .

وأن القدر هو حصول صور جميع الموجودات فى اللوح المحفوظ على وجه التفصيل ، وهو الذى تسميه الحكماء بالنفس الكلية .

٤ ـ قول المحقق « صدر الدين الشيرازى » .

الذى اختاره فى رسالته التى سماها بـ « إثبات البارى » — تعالى —

« وهو أن القضاء عبارة عن اقتضائه — تعالى — فى الأزل لما سيكون عليه الأشياء على وجوه معينة مخصوصه منطبقة على ماهى عليه فى الوجود .

وأن القدر هو حصول الأشياء فى الكون على وفق ما فى القضاء » .

٥ ـ قول المحقق « الطوسى » الذى ذكره فى شرح الإشارات :

لما كان جميع صور الموجودات الكلية والجزئية التى لانهاية لها حاصلة من حيث هى معقولة فى العالم العقلى بابداع الأول الواجب إياها ، وكان إيجاد ما يتعلق بالمادة فى المادة على سبيل الإبداع ممتنعا ، إذ المادة غير متأتية لقبول صورتين معا فضلا عن تلك الكثرة ،

(c) ketabton.com: The Digital Library

وكان الجود الإلهى مقتضيا لتكميل المادة بإبداع تلك الصور فيها وإخراج مافيها بالقوة من قبول تلك الصور إلى الفعل قدر بلطف حكمته زمانا مستمر التجديد غير مستقر الاتصال تخرج فيه تلك الأمور من القوة إلى الفعل واحدا بعد واحد، فتصير الصور فى جميع ذلك الزمان موجودة فى موادها، والمادة كاملة بها.

وإذا تقرر ذلك فاعلم أن القضاء عبارة عن وجود جميع الموجودات فى العالم العقلى مجتمعة ومجملة على سبيل الإبداع.

والقدر عبارة عن وجودها فى مواردها الخارجية أو بعد حصول شرائطها مفصلة واحدا بعد واحد، كما جاء فى التنزيل فى قوله — عز وجل —

« وإن من شىء إلا عندنا خزائنه ومانتزله إلا بقدر معلوم »

والجواهر العقلية وما معها موجوة فى القضاء والقدر مرة واحدة باعتبارين والجسمانية وما معها موجودة فيهما مرتين(١).

٦ — قول « صاحب القبسات » الذى اختاره وبالغ فى تفصيله وحاصله بالاختصار ما يأتى : —

وهو أن القضاء عبارة عن نسبة الفاعلية للبارى — جل شأنه — على حسب علمه وعنايته إلى العالم فى مرتبة شخصيته الوحدانية الجملية والقدر نسبة فاعليته إلى العالم فى مرتبة تشريح الأركان وتفصيل الأعضاء.

---

(١) من حاشية كتاب ابن سينا المسمى بـ « الاشارات والتنبيهات » النمط السابع ص (٧٢٨ — ٧٢٩) لمحقق « الطوسى ».

(c) ketabton.com: The Digital Library

٧ — قول « الصوفية » :

وهو أن القضاء عبارة عن الفيض الأقدس الذى به حصلت الأعيان الثابتة واستعداداتها الأصلية فى العلم الأزلى ، وأن القدر عبارة عن الفيض المقدس الذى به حصلت تلك الأعيان فى الخارج بلوازمها ولواحقها .

٨ — قول « الإمام الرازى » الذى ذكره فى شرح النمط السابع من الاشارات وحاصله :

أن القضاء هو المعلول الأول ؛ لأن القضاء هو الأمر الواحد الذى يترتب عليه سائر التفاصيل

وأما القدر فهو عبارة عن سائر المعلولات والتفاصيل الصادرة عنه طولا وعرضا ؛ لأنها بالنسبة إلى المعلول الأول تجرى مجرى تفصيل الجملة.

٩ — قول الأشعرى وجمهور أهل السنة :

وهو أن القضاء إرادته — تعالى الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هى عليه فيما لا يزال .

وأن القدر عبارة عن إيجاده — تعالى — إياها على قدر مخصوص فى ذواتها ، وصفاتها ، وأفعالها ، وأحوالها ، وأزمنتها ، وأسبابها العادية .

١٠ — قول الماتريدية :

وهو أن القضاء هو الخلق الراجع إلى التكوين ، والقدر هو التقدير ، أى جعل كل شىء على ما هو عليه[١] .

---

(١) من كتاب اللمعة فى تحقيق مباحث الوجود والحدوث والقدر وأفعال العباد تأليف « الشيخ إبراهيم » المطبوع فى مطبعة الأنوار بالقاهرة ص (٣٢ — ٣٦) كما توجد أيضاً هذه الآراء فى كتب مختلفة من الفلسفة والكلام وقد أشرت إليها فى كتابى الذى ألفته باللغة « البشتو » وجعلته وزارة المعارف الافغانية فى المناهج الدراسية الافغانية.

(c) ketabton.com: The Digital Library

يظهر من كل ما ذكرت أن مسألة القضاء والقدر مخالفة عما تتصورها الجبرية : وهو قولهم أن العبد لا فعل له ولا قدرة ولا اختيار ، فلا تأثير ولا كسب ولا فرق بين الاضطرارى من أفعاله وبين الاختيارى ، فإذن تكون إضافة الفعل إليه بمنزلة أضافة الفعل إلى الجمادات ،كما يقال « جرى النهر » وهذا محال .

وقد ثبت آنفاً أن قضية القضاء والقدر لا تتنافى مع الاختيار والكسب ، فلا تتعارض — الأمر ، النهى ، والثواب ، والعقاب ، والوعد ، والوعيد .

ومن المناسب أن أذكر أن الاختلاف فى مسألة القضاء والقدر قد وجد فى جميع مراحل التاريخ الإسلامى التى سبقت عصر « عبد الله الأنصارى » .

إلا أنه فى عهده أعنى القرنين الرابع والخامس ، أخذ الفكر فى هذه المشكلة طابعا آخر حيث اشتد وعنف ، فلأجل ذلك قال « عبد الله الأنصارى » : لاتبحثوا فى هذا الموضوع إلا بقدر ماجاء فى الكتاب والسنة ، وفوضوا غاية علمه إلى الله — سبحانه وتعالى — .

الشيعة « وعبد الله الأنصارى »

الشيعة مذهب من أقدم المذاهب السياسية الإسلامية ، وقد ظهر الشيعة بمذهبهم فى آخر عصر « عثمان » رضى الله — تعالى — عنه ، ونما فى عهد على — كرم الله وجهه — . لكن من غير أن يعمل على تنميته ، لأنه لما وصل « على » — رضى الله عنه — إلى الخلافة ، واختلط مع الناس ، وتعامل معهم بأحسن المعاملة أعجبتهم مواهبه ، وقوة علمه ، وذكائه ، ودينه .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ولما اشتدت المظالم على أولاد «على» — كرم الله وجهه — فى عهد الأمويين، وكثر نزول الأذى بهم ثارت دفائن محبتهم لأولاد «على» رضى الله — تعالى — عنه وذرية الرسول — صلى الله عليه وسلم — .

اتفق «الشيعة» على أن «على بن أبى طالب» هو الخليفة المختار، وأنه أفضل الصحابة كلهم، وينقسم الشيعة إلى قسمين : —

١ — الشيعة الذين غالوا فى تقدير على وبنيه، ومنهم فرقة «السبئية» المنسوبة إلى «عبد الله بن سبأ» اليهودى الأصل الذى حاول فتنة المسلمين وتمزيق وحدتهم، وفرقة «الغرابية» وفرقة «الكيسانية» .

٢ — الشيعة المعتدلون والمقتصدون :

وقد اقتصر المعتدلون على تفضيله على كل الصحابة من غير تكفير أحد ومن غير أن يجعلوه فى درجة النبى، أو فوقه، أو درجة التقديس التى يعلو بها على البشر .

ومن فرق الشيعة المعتدلة فرقة «الزيدية»، الذين هم أقرب فرق الشيعة إلى الاعتدال .

وفرقة «الامامية» الاثنا عشرية، الذين يوجد منهم كثير من الناس فى بلاد «العراق» و «ايران» ، و «أفغانستان» و «باكستان» وغيرها من الدول الإسلامية(١) .

ومما ينبغى أن يأخذ المسلمون الآن بين الاعتبار هو ما قاله السيد «جمال الدين الأفغانى» .

---

(١) من كتاب «تاريخ المذاهب الإسلامية» ص (٣٦ — ٦٣) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

« أن مسألة تفضيل الإمام » على كرم الله وجهه على سائر الصحابة والانتصار له فى قتال « معاوية » — رضى الله تعالى عنه — لو سلمنا أنه كانت لها فائدة فى ذلك الزمن ، لاحقاق الحق ، وازهاق الباطل .

أما اليوم فنرى أن بقاء هذه النعرة ، والتمسك بهذه القضية التى مضى أمرها ليس فيها إلا محض الضرر ، وتفكيك عرى الوحدة الإسلامية . وقضية التفضيل لو استحقت البحث بعد تلك الأجيال لكفى أن يقال لحل أشكالها « إن أقصر الخلفاء الراشدين عمرا تولى الخلافة قبل أطولهم عمرا » ، فلو تولى الخلافة بعد النبى — صلى الله عليه وسلم — « على بن أبى طالب » — كرم الله وجهه — لمات « أبو بكر » و « عمر » و « عثمان » رضى الله — تعالى — عنهم ، ولم يتيسر لهم خدمة الإسلام والمسلمين(١) . فعلى هذا اتضح أن « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » إنما خالف الشيعة لإنحرافهم فى حب على — كرم الله وجهه — عن حده ومرتبته .

ومن المناسب أن أذكره أن جميع هذه الفرق كانت موجودة فى عصر « شيخ الإسلام » ولها نشاط كبير فى الدسائس والمؤامرات الخفية ، حتى حينما طرد « عبد الله الأنصارى » إلى مدينة « بلخ » ووصل إليها أراد الشيعة والمعتزلة أن يقتلوه ، فعرف الوالى لمدينة « بلخ » جمال الملك هذا الأمر وقام بدفعهم ، وكما قال « شيخ الإسلام » فى حقهم . « لعنة الله على أهل غورجه وغرجستان وفلانه وطالقان ، وهذا لأن هذه المناطق فى عصره كان يعيش فيها أهل الشيعة والاعتزال .

---

(١) من كتاب « نابغة الشرق السيد جمال الدين الأفغانى » ص (١٠٠) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

المعتزلة وعبد الله الأنصارى

بدأت المعتزلة فى أواخر العصر « الأموى » وشغلت الفكر الإسلامى فى العصر العباسى الزمن الطويل . وقد وجد فى المعتزلة معتزلة السياسة ومعتزلة الفكر .

روى أن واصل بن عطاء ليس أول من سمى معتزليا بسبب اعتزاله « الحسن البصرى » لقوله « أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ، ولا كافر مطلقا ، بل هو فى منزلة بين المنزلتين ، لا مؤمن ولا كافر » ، بل يصعد هذا الإسم فى تاريخ الإسلام إلى سنة (٣٥ ﻫ) حينما بدأت الفكرة السياسية ، وامتنع عدد من الأكابر عن مبايعة على ، وبايعه عدد عن طيب خاطرهم وعدد من وراء قلوبهم ، وظل كثير منهم على الحياد ، فتناقلت الألسنة أنهم اعتزلوا الخصومة القائمة .

كما أن سعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة ، وأسامة بن زيد كانوا من حزب الحايدين ، ورفضوا المقاتلة ضد « على — كرم الله وجه — » كما رفضوا القتال فى صفه وإن كانوا قد أعلنوا أنهم معه بقلوبهم ، فأطلق عليهم اسم المعتزلة .

وهذا الصنف هم معتزلة السياسة .

وأما واصل بن عطاء وأضرابه فيمكن أن يسموا بمعتزلة الفكر ، وقد شغل هؤلاء بمجادلة الزنادقة والروافض والثنوية والمشبهة والمجسمة والكفرة والفجرة وأهل الأهواء ، وذلك لأنه دخل فى الإسلام طوائف من المجوس واليهود والنصارى وغيرهم ، وكانت رءوسهم ممتلئة بكل ما فى هذه الأديان من التعاليم التى جرت فى نفوسهم مجرى الدم

(c) ketabton.com: The Digital Library

فمنهم من كان يظهر الإسلام خوفا ورهبة ، أو رجاء لنفع دنيوى ، أو لقصد الفساد والإفساد وتضليل المسلمين .

وقد أخذت هذه الفرق تنشر بين المسلمين ما يشككهم فى عقائدهم ، فظهرت المجسمة والرافضة والزنادقة وسائر فرق الفساد ، ونشروا خرافاتهم وتضليلاتهم بين المسلمين ، وأيضا بعد ما ترجمت كتب المنطق والفلسفة إلى العربية أخذ بعض المعاندين طرق استدلالاتهم من السفسطة ، فتجردت المعتزلة فى مقابلتهم للدفاع باسم الدين .

مذهب المعتزلة

قال « أبو الحسن الخياط » فى كتابه « الإنتصار » :

ليس أحد يستحق اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإذا جمعت فيه هذه الأصول فهو معتزلى » .

١ ــ « التوحيد » :

التوحيد هو نسبة الوحدانية لله ـ تعالى ـ بحيث ينزه من العيوب ولا يشاركه أحد فى صفاته الكمالية ، وحاصل ما قالوا فى التوحيد :

هو أن الله ـ تعالى ـ منزه عن جميع العيوب والنقائص ، وأن جميع صفات الكمال فى الحقيقة ،هو ذاته الأحد لا يشاركه أحد فى صفاته ، ويبنون على ذلك الأصل استحالة رؤية الله ـ سبحانه ـ يوم القيامة ؛ لاقتضاء ذلك الجسمية والجهة ، كما بنوا عليه أن الصفات

(c) ketabton.com: The Digital Library

ليست شيئا غير الذات وإلا تعدد القدماء ، وبنوا أيضا أن القرآن مخلوق لله ـ سبحانه وتعالى ـ لمنع تعدد القدماء ، وينفى كثيرون منهم صفة الكلام عن الله ـ تعالى ـ .

٢ — « العدل » :

قال « المسعودى » فى عدل الله ـ جل جلاله ـ :

إن الله ـ تعالى ـ لا يحب الفساد ولا يخلق أفعال العباد ، بل هم يفعلون بالقدرة التى جعلها الله ـ تعالى ـ لهم وركبها فيهم ، وأنه ـ تعالى ـ لا يأمر إلا بما أراد ولم ينه إلا عما كره ، وأنه ـ تعالى ـ ولى كل حسنة أمر بها وبرىء من كل سيئة نهى عنها ، ولم يكلفهم مالا يطيقون ولا أراد لهم مالا يقدرون عليه ، وإن أحدا لا يقدر على قبض ولا بسط إلا بقدرة الله ـ تعالى ـ التى أعطاهم إياها ، وهو المالك لها دونهم يفنيها إذا شاء ، ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ومنعهم اضطرارا عن معصيته ، ولكنه لا يفعل ؛ إذ كان فى ذلك رفع للمحنة وإزالة للبلوى »[١] .

وقد ردوا بهذا الأصل على الجبرية الذين قالوا : إن العبد فى أفعاله غير مختار ، فعدوا العقاب على ذلك يكون ظلما ؛ إذ لا معنى لأمر الشخص بأمر هو مضطر إلى فعله .

ولما بنوا على ذلك الأصل أن الإنسان خالق لأفعال نفسه ولاحظوا فى ذلك تنزيه الله ـ تعالى ـ عن العجز ، فقالوا : إن هذا بقدرة أودعها الله ـ فى العباد ؛ ليتم التكليف .

---

(١) أصل النص من كتاب « مروج الذهب » وذكره كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية فى ص (١٥١) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٣ — « الوعد والوعيد » :

المعتزلة يعتقدون بأن الوعد والوعيد من الله ـ تعالى ـ لا محالة ، فوعده بالثواب وقبول التوبة النصوح واقع ، ووعيده بالعقاب واقع أيضا .

فمن أحسن يجازى بالإحسان إحسانا ، ومن أساء يجازى بالإساءة عذابا أليما ، فلا عفو عن كبيرة من غير توبة ، كما لا حرمان من ثواب لمن عمل خيرا ، وفى هذا رد على « المرجئة » الذين قالوا .

لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ؛ إذ لو صح هذا لكان وعيد الله ـ تعالى ـ فى مقام اللغو ـ تعالى الله ـ عما يقولون علوا كبيرا .

٤ — « المنزلة بين المنزلتين »

بين « الشهرستانى » رأى « واصل بن عطاء » فى المنزلة بين المنزلتين أنه قال :

إن الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سمى المرء مؤمنا وهو اسم مدح ، والفاسق لم يستكمل خصال الخير ولا استحق اسم المدح ، فلا يسمى مؤمنا وليس هو بكافر مطلقا أيضا ؛ لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه لا وجه لانكارها . لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة ، فهو من أهل النار خالدا فيها ، إذ ليس فى الآخرة إلا فريقان : « فريق فى الجنة وفريق فى السعير » . لكنه يخفف عنه العذاب .(١)

(١) من كتاب الملل والنحل للإمام الشهرستانى تخريج الأستاذ بدران ص (٥٢) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

والمعتزلة مع اعتقادهم أن العاصى من أهل القبلة يقررون بأنه فى منزلة بين المنزلتين ، ويرون أنه لا مانع من أن يطلق عليه اسم المسلم تمييزا له عن الذميين لا مدحا ولا تكريما ، وأنه فى الدنيا يعامل معاملة المسلمين ؛ لأن التوبة له مطلوبة والهدايا مرجوة ، كما قال « ابن أبى الحديد » فى ذلك .

إنا وإن كنا نذهب إلى أن صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمنا ولا مسلما نجيز أن يطلق عليه هذا اللفظ إذا قصد به تمييزه عن أهل الذمة وعابدى الأوثان .

٥ — « الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر » .

فقد اتفق المعتزلة على هذا الأصل وقرروا أن على المؤمنين أجمعين نشر دعوة الإسلام ، وهداية الضالين ، ودفع هجوم الذين يحاولون تلبيس الحق بالباطل ؛ ليفسدوا على المسلمين أمر دينهم ، ولذا تصدوا أمام سيل « الزندقة » فى أوائل العصر العباسى .

وروى أن المعتزلة كانوا معتمدين على العقل ، ويحكمون بحسن الأشياء وقبحها عقلا ، وكانوا يقولون المعارف كلها معقولة بالعقل واجبة بنظر العقل ، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع ، والحسن والقبيح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح .

قال « الجبائى » :

كل معصية كان يجوز أن يأمر الله — سبحانه — بها فهى قبيحة للنهى ، وكل معصية لا يجوز أن يبيحها الله سبحانه — فهى قبيحة لنفسها ، وكذلك كل ما جاز أن لا يأمر الله به فهو حسن الأمر

(c) ketabton.com: The Digital Library

به ، وكل ما لم يجز أن لا يأمر الله ـ تعالى ـ به فهو حسن لنفسه .

وقد بنوا على هذا ما قرروه من أن فعل الصلاح والأصلح واجب لله ـ تعالى ـ ؛ إذ أنه ما دام فى الأشياء حسن ذاتى وقبح ذاتى ، فمستحيل أن يأمر الله ـ تعالى ـ بفعل ما هو قبيح لذاته وينهى عن فعل ما هو حسن لذاته ، وإن الله ـ سبحانه ـ لا يترك الأمر الحسن لذاته ، وذلك عبارة عما يسمى بفعل الصلاح ، كما قال جمهورهم .

إن الله ـ تعالى ـ لا يصدر عنه إلا ما فيه الصلاح ، فالصلاح واجب له ، ولا شىء مما يفعله ـ جلت قدرته ـ إلا وهو صالح ، ويستحيل عليه ـ سبحانه ـ أن يفعل غير الصالح(١) .

أهم ما حدث من المعتزلة

لا شك أن المعتزلة جادلوا بقوة الفصاحة ، والبرهان ، والدليل ، والمنطق ، والفلسفة فى مقابلة المجوس ، والثنوية ، والجبرية ، وأهل الأهواء ، والسوفسطائية .

مثلا روى صاحب كتاب « سرح العيون » محادثة « إبراهيم النظام » تلميذ « أبى الهزيل » مع « صالح بن عبد القدوس » الذى كان « سوفسطائيا » يشك فى كل شىء وينكر حقائق الأشياء ، فيقول .

إن صالح بن عبد القدوس قد مات له ولد فمضى إليه « أبو الهزيل العلاف » و « النظام » معه ـ وكان غلاما حدثا وتابعا له ، فرأى « أبو الهزيل » « السوفسطائى » محترقا ، فقال له « أبو الهزيل .

---

(١) من كتاب « تاريخ المذاهب الإسلامية » ص (١٥٣ - ١٥٤) . كما توجد أيضا هذه المطالب فى سائر الكتب التى تشرح آراء المعتزلة .

(c) ketabton.com: The Digital Library

لا أدرى لجزعك وجها إذا كان الناس عندك كالزرع ، فقال « صالح » .

يا « أبا الهزيل » إنما أجزع عليه ؛ لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك .

فقال : « أبو الهزيل » وما كتاب الشكوك ؟ .

قال : كتاب وضعته من قرأه شك فيما كان ، حتى يتوهم أنه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى يتوهم أنه كان .

قال « النظام » : فشك أنت فى موت ابنك واعمل على أنه لم يمت وإن مات ، وشك أيضا فى إنه قرأ هذا الكتاب ولم يكن قد قرأ »(١)

يظهر من هذا أن المعتزلة لم يكونوا فى الأوائل منحرفين كل الانحراف لكنهم بعدها افترقوا إلى عشرين فرقة وجاءت كل فرقة بخرافات وانحرافات كثيرة حتى أنزلوا فى عصر قدرتهم على أهل الحديث والفقه محنا كثيرة خصوصا على الإمام « أحمد بن حنبل » فى مسألة خلق القرآن الكريم ، ويعد ذلك الخلاف إحدى المسائل التى صارت موجبة لفشل المسلمين ، وضياع وقتهم فيما لا يعنى ، كما قال بعض العلماء أن الاختلاف فى مسألة خلق القرآن وقدمه يرجع إلى النزاع اللفظى ، والنزاع اللفظى لا يليق بشأن العقلاء .

نعم : وصل الاختلاف فى مسألة خلق القرآن الكريم إلى حد الهزل ، كما روى أنه دخل مضحك اسمه « عبادة » على « الواثق » فقال .

يا أمير المؤمنين أعظم الله أجرك فى القرآن .

---

(١) من كتاب « تاريخ المذاهب الإسلامية » ص (١٦٨) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

فقال « الواثق » : ويلك القرآن يموت ؟

قال يا أمير المؤمنين : كل مخلوق يموت ، ثم قال : بالله يا أمير المؤمنين من يصلى بالناس التراويح إذا مات القرآن فضحك « الواثق » وقال : قاتلك الله أمسك .

روى أن « الواثق » رجع فى آخر حياته عن انزال المحنة بمن لا يرى هذا الرأى ؛ إذ دخل عليه يوما شيخ ممن نزلت بهم المحنة لعدم قولهم بخلق القرآن ، فقال لـ « أحمد بن أبى دؤاد » الذى كان من كبار علماء المعتزلة ، ويحكم على الذين لا يقولون بخلق القرآن الكريم .

ذلك الأمر شيء لم يدع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا « أبو بكر » ولا « عمر » ولا « عثمان » ولا « على » وتدعو أنت الناس إليه ، فليس يخلو الأمر أن تقول : علموه أو جهلوه ؟ فإن قلت علموه وسكتوا عنه ، فبوسعى وإياك السكوت مثلما كان بوسع القوم .

وإن قلت جهلوه وعلمته أنت فيالكع بن لكع يجهل النبى - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدون - رضى الله عنهم - شيئا تعلمه أنت ، فلما سمع « الواثق » ذلك وثب من مجلسه ، وعفا عن الشيخ ، ورجع عما كان يفعل كما روى عنه ابنه « المهتدى » أنه رجع .

« المسائل التى خالف فيها (عبد الله الأنصارى) المعتزلة » :

ومما يلزم أن أذكره هنا أن « المعتزلة » كانوا موجودين بكثرة فى عصر « عبد الله الأنصارى » فى « خراسان » ومدينة « هراة » وحواليها وسائر البلاد ، وأنه كان مخالفا لآرائهم وفق مخالفة الإمام

(c) ketabton.com: The Digital Library

« أحمد بن حنبل » لهم . ومن جملة تلك المسائل التى كان مخالفا فيها لآرائهم المسائل الآتية . : ـ

١ ــ مسألة صفات الله ، لأن « عبد الله الأنصارى » يعتقد بصفات الله ـ تعالى ـ مثلما جاء فى الكتاب والسنة .

٢ ــ مسألة أفعال العباد ، لأنه لم يكن يرى أن يكون العبد خالقا لأفعاله ويقر باختيار العبد .

٣ ــ مسألة « المعصية الكبيرة » ، لأنه كان لا يرى أن يكون صاحب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين بحيث لا يكون مؤمنا ولا كافرا ويفوض أمر العفو عن الكبيرة إلى الله ـ تعالى ـ .

٤ ــ مسألة « الاعتماد على العقل ، وما يترتب عليه » ، لأنه لا يعتمد على العقل فقط ويخالف أيضا لما يترتب على الاعتماد على العقل .

٥ ــ مسألة خلق القرآن الكريم « كما سنوضحه فيما بعد فى آرائه وآراء الإمام « أحمد بن حنبل » رحمه الله ـ تعالى ـ .

٦ ــ كان « عبد الله الأنصارى » مخالفا عموما للإختلافات فى المسائل الكلامية العويصة الخارجة عن حدود الكتاب والسنة ، فلأجل هذا قام « شيخ الإسلام » بمخالفة المعتزلة ، وشدد النكير عليهم .

« الأشاعرة وعبد الله الأنصارى »

قد قلنا فيما سبق أن المعتزلة فى أول الأمر كانوا يدافعون عن الإسلام ، لكن من سوء الحظ وجد بينهم التشتت ، والانحراف عن الحق ، والافراط والتفريط ، حتى صاروا سببا لشقاء ، الفقهاء

(c) ketabton.com: The Digital Library

والمحدثين ، ولم يسلم من حملتهم فقيه معروف أو محدث مشهور إلى أن جاء عصر « المتوكل » وفك قيود العلماء ، فلأجـــل ذلك جاد لهم « أبو الحسن الأشعرى » .

وقد ولد « أبو الحسن الأشعرى » فى « البصرة » سنة (٢٦٠ هـ) وتوفى سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة بعد الهجرة ، وكان تلميذاً لـ « أبى على الجبائى » المعتزلى المعروف ، وكان « الأشعرى » لفصاحته وقوة استدلاله يتولى الجدل نائبا عن شيخه ، ولقد نال من ثمرات التفكير المعتزلى ، ثم وجد ميلا إلى آراء الفقهاء والمحدثين ؛ ولذا عكف فى بيته مدة وازن فيها بين أدلة الفريقين ، ثم بعد الموازنة خرج إلى الناس ، فناداهم بالاجتماع إليه ، ورقى المنبر يوم الجمعة فى المسجد الجامع فى « البصرة » ، وقال :

« أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا « فلان » بن « فلان » كنت أقول بخلق القرآن ، وأن الله ـ تعالى ـ لايرى بالأبصار ، وأن أفعال الشر أنا أفعلها ، فأنا تائب ، مقلع ، متصد للرد على المعتزلة ، مخرج لفضائحهم : معاشر الناس . . . إنما تغيبت عنكم هذه المدة ، لأنى نظرت ، فتكافأت عندى الأدلة ، ولم يترجح عندى شىء على شىء ، فاستهديت الله ـ تعالى ـ فهدانى إلى اعتقاد ماأودعته كتبى هذه ، وانخلعت من جميع ما كنت اعتقد على خلاف طريقة الجماعة من الفقهاء والمحدثين اهـ .

وقد جاء فى مقدمة كتابه « الإبانة » بعد أن حمد الله ـ تعالى ـ ، وأثنى عليه ماياتى :

(c) ketabton.com: The Digital Library

أما بعد : فإن كثيرا من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى التقليد لرؤسائهم ومن مضى من أسـلافهم . فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل الله - تعالى - به سلطانا ، ولا أوضح به برهانا ، ولا نقلوه عن رسول رب العـالمين ، ولا عن السلف المتقدمين ، فخالفوا رواية الصحابة عن النبي - صلى الله عليه وسـلم - فى رؤيته بالأبصار ، وقد جاءت فى ذلك الروايات من الجهات المختلفة ، وتواترت الآثار ، وتتابعت الأخبار .

وأنكروا شفاعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وردوا الرواية فى ذلك عن السلف المتقدمين ، وجحدوا عذاب القـبر وأن الكفار فى قبورهم يعذبون ، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون . ودانوا بخلق القرآن نظيرا لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا : « إن هـذا إلا قول البشر » فزعموا أن القرآن كقول البشر . وأثبتوا وأيقنوا أن العباد يخلقون الشر نظيرا لقول المجـوس الذين يثبتون خالقين : أحدهما يخلق الخير والآخر يخلق الشر . وزعموا أن الله - عز وجل - يشاء مالا يكون ويكون مالا يشاء خلافا لما أجمع عليه المسلمون من أن ماشاء الله كان وما لا يشاء لايكون ، وردا لقول الله - تعالى - :

« وما تشاءون إلا أن يشاء الله » ، ولقوله - تعـالى - « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » ولقوله - تعالى - : « فعال لمـا يريد » ، ولقوله مخبرا عن « شعيب » أنه قال : « وما يـكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ولذا سماهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « مجوس هذه الأمة » ؛ لأنهم دانوا بديانة المجوس وضاهوا أقوالهم ، وزعموا أن للشر والخير خالقين . كما زعمت المجوس ، وأنه يكون من الشر مالا يشاء الله كما قالت المجوس ، وزعموا أنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم ردا لقول الله - تعالى - :

« قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله » .

وانحرافا عن القرآن وعما أجمع عليه المسلمون ، وزعموا أنهم ينفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم ، وثبتوا لأنفسهم غنى عن الله - عز وجل - ، ووصفوا أنفسهم بالقدرة على مالم يصفوا الله بالقدرة عليه ، كما أثبت المجوس للشيطان من القدرة على الشر مالم يثبتوه لله - عز وجل - ، فكانوا مجوس هذه الأمة ؛ إذ دانوا بديانة المجوس ، وتمسكوا بأقوالهم ، ومالوا إلى أضاليلهم ، وقنطوا الناس من رحمة الله ، وآيسوهم من روحه .

وحكموا على العصاة بالنار والخلود خلافا لقول الله - تعالى - : ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » ،

وزعموا أن من دخل النار لم يخرج منها خلافا لما جاءت به الرواية عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما معناه « أن الله - عز وجل - يخرج من النار قوما بعد ما صاروا حمما » .

ودفعوا أن يكون لله - عز وجل - وجه مع قوله - تعالى - : « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » ، وأنكروا أن يكون لله يدان مع قوله - تعالى - « لما خلقت بيدى » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

وأنكروا أن يكون لله عين مع قوله ـ تعالى ـ « تجرى بأعيننا » ، وقوله ـ تعالى ـ « ولتصنع على عينى » .

ونفوا ماروى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أن الله ينزل إلى السماء الدنيا » ، وقد قال « الأشعرى » :

« قولنا الذى نقول وديانتنا التى ندين بها هو التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وبما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان عليه « أحمد بن حنبل » ـ نضر الله وجهه ـ » .

وقد سلك « الأشعرى » فى الاستدلال على العقائد مسلك النقل ومسلك العقل ، فهو يثبت ما جاء فى القرآن الكريم : الحساب والعقاب والثواب ، ويتجه إلى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية يستدل بها على صدق ما جاء فى القرآن والسنة عقلا بعد أن وجب التصديق بها كما هى نقلا ، فهو لا يتخذ من العقل حاكما على النصوص ليؤولها ، أو يمضى على ظاهرها ، بل يتخذ العقل خادما لظواهر النصوص ويؤيدها ، وفى الحق أنه قد ضعف شأن المعتزلة فى القرن الثالث والقرن الرابع الهجرى ، فلما ضعف شأنهم لابد أن يكون بين علماء الإسلام من يتصدى للرد على أهل الأهواء ، وعلى الذين يهاجمون الإسلام ، فتقدم « أبو الحسن الأشعرى » لذلك العمل بعد أن زالت دولة المعتزلة ، وقد نال « الأشعرى » بذلك منزلة عظيمة ، وصار له كثير من الأنصار ، ولقى من الحكام تأييدا ونصرة ، فتعقب خصومه من المعتزلة وأهل الأهواء والكفار ، وبث أنصاره فى الأقاليم ، ولقبه أكثر علماء عصره بإمام أهل السنة والجماعة (١) .

---

(١) من كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية ص (١٩١ — ١٩٤) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

أسباب الخلاف بين الأشاعرة و «عبد الله الأنصاري»

ومما يلزم أن أذكره أن «الأشعري» وإن كان يتبع مذهب الإمام «أحمد بن حنبل» لكن جاء منه ومن أتباعه بعض مالا يوافق مذهب الإمام «أحمد بن حنبل»، وأيضا اشتهر عن «الأشعري» كثير من الآراء التي تسببت في الجدل الكثير، وهذه الآراء عبارة عما يأتي: —

١ — أن «الأشعري» بحث في المسائل الكلامية العويصة بالعقل والاستدلال مع أن العقل عند المحدثين لا اعتماد عليه، وأن العقيدة في قوتها وصفائها لاتحتاج إلى الدلائل العقلية السخيفة.

٢ — أن «الأشعري» وإن كان يدعى أنه يستخدم الأدلة العقلية لإثبات النقل إلا أن ذلك الفكر ساقه أخيراً إلى التأويل، فأول ماورد في الكتاب والسنة من الألفاظ الموهمة للتشبيه مثل اليد في «يد الله فوق أيديهم» بالقدرة كما أولها «المعتزلة».

٣ — «قال ابن حزم» إن رأى «الأشعري» في أفعال العباد حيث يلزم من قوله أنه لايثبت للعباد اختيار كان مثل رأى «الجبرية».

٤ — عد «ابن حزم» رأيه في مرتكب الكبيرة أنه قريب لرأى «المرجئة».

٥ — جاء بعد الأشعري «بعض اتباعه باسم مذهبه بآراء من عند أنفسهم، كما جاء «أبو بكر الباقلاني» المتوفى سنة (٤٠٢ هـ)، فأوجب على الناس اتباع مذهب «الأشعري» حتى اتباع ماساقه «الأشعري»

(c) ketabton.com: The Digital Library

من المقدمات فى الاستدلال على المسائل الكلامية ، ولذلك خالفه «الغزالى» أشد المخالفة .

٦ — اشتهر بين الناس عن «الأشعرى» الآراء التى رد «القشيرى» — فى رسالته — (١) انتسابها إليه ، وتلك الآراء عبارة عما يأتى : —

(أ) الرسول بعد موته لم يكن رسولا .

(ب) أن المكافآت والجزاءات من الله — تعالى — لم تكن لإطاعة العباد وعدم إطاعتهم .

(ج) أن موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لم يسمع صوت الله — تعالى — .

(د) القرآن الكريم ليس هو عبارة عما عندنا فى الأوراق والمجلدات .

(هـ) عامة الناس الذين لهم عقيدة التقليد كافرون .

فلأجل ذلك خالف «شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى» «الأشاعرة» الموجودين فى عصره مخالفة شديدة .

---

(١) فليرجع إلى المجلد الثانى من كتاب «التبيين» لـ «ابن عساكر» ، والمجلد الثانى من كتاب «الطبقات» للسبكى .

(c) ketabton.com: The Digital Library

« الماتريدية وعبد الله الأنصارى »

الماتريدية هم أتباع « محمد بن محمد بن محمود » المعروف بأبى منصور الماتريدية الذى ولد بما تريد وهى محلة بسمرقند فيما وراء النهر ، وقد ثبت أنه توفى سنة (٣٣٣ هـ) فى العصر الذى كانت المعتزلة فيه ينالون غضب الشعب جزاء ما أنزلوا بالفقهاء والمحدثين فى الثلث الأول من هذا القرن نفسه ، ولا يعرف بالضبط عصر ولادته لكن يقال :

إنه ولد حوالى منتصف القرن الثالث ، وقد ثبت أنه تلق الفقه الحنفى وعلم الكلام على « نصر بن يحيى البلخى » المتوفى سنة (٢٦٨ هـ) ، وقد عاش « الماتريدى » فى زمن كان السباق فيها لنتائج الفكر والعقل ، وكان حنفى المذهب ، وقد بلغت جولاته فى أصول الدين إلى حد يشار إليه بالبنان ، وكانت له رحلات إلى البصرة للمناظرة فى العقائد بلغت نحو اثنتين وعشرين رحلة ، وقد نقل عن « أبى حنيفة » رسائل صغيرة فى هذا العلم هى : « الفقه الأكبر » و « الفقه الأبسط » ، ورسالة « أبى حنيفة » إلى « عثمان البتى » ، ووصيته رحمه الله ـ تعالى ـ عنه لتلميذه « يوسف بن خالد السمتى » ، « وكتابه » العلم برا ، وبحرا ، وشرقا ، وغربا ، وبعداً ، وقربا ، لكن فى إثباتها له اشتباه ، والماتريدى ألف كتبا كثيرة منها : كتاب « تأويل القرآن » ، وكتاب « مأخذ الشرائع » ، و كتاب « الجدل » ، وكتاب « رد أوائل الأدلة » للكعبى ، وكتاب « رد تهذيب الجدل » للكعبى ، وكتاب « رد الأصول الخمسة » لـ « أبى محمد الباهلى » وكتاب الإمامة لبعض الروافض » ، و « الرد على القرامطة » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

منهاج الماتريدى :

لاشك أن « الأشعرى » و « الماتريدى » كليهما يحاولان اثبات العقائد التى وردت فى الكتاب والسنة بالعقل والبراهين المنطقية لكن « الماتريدى » أعطى للعقل سلطاناً أكثر مما أعطاه « الأشعرى » مثلا كلاهما قال :

معرفة الله ـ تعالى ـ واجبه بالشرع ، ثم قال « الماتريدى » اتباعا لمنهاج « أبى حنيفة » العقل يدرك هذا الوجوب ، و « الأشعرى » لايقر بذلك ؛ لأن الأشاعرة لا يعتبرون للأشياء حسنا ذاتيا يدركه العقل من غير أمر الشارع ، و « الماتريدى » يعتبرون للأشياء حسنا ذاتيا يدركه العقل .

الحق أن الخلاف بين « الأشاعرة » و « الماتريدية » ليس كبيرا كما قال « الإمام الشيخ محمد عبده » فى تعليقاته على « العقائد العضدية » :

أن الخلاف بين « الماتريدية » و « الأشاعرة » لا يتجاوز عشر مسائل « اه » .

المسائل الخلافية بين « الماتريدية » و « المعتزلة » و « الأشاعرة »

ولما كان من ذكر بعض الاختلافات التى دارت بين « الماتريدية » و « المعتزلة » ، و « الأشاعرة » يحصل لنا التعرف على دوافع انكار « عبد الله الأنصارى » وكراهيته للاختلافات الكلامية ، فإننا نحاول شرحها كما يأتى : —

(c) ketabton.com: The Digital Library

١ — قال « الماتريدى » :

معرفة الله ـ تعالى ـ يمكن أن يدرك العقل وجوبها كما أمر الله ـ تعالى ـ بالنظر فى ملكوت السموات والأرض ووجههم إلى أن العقل لو اتجه اتجاها مستقيما خاليا من الهوى والتقليد يصل إلى الإيمان بالله ـ تعالى ـ ومعرفته ، فذلك تحقيق للنصوص القرآنية ، وترك النظر يكون اهمالا لها ، وعدم اعتبار العقل سبيلا لمعرفة الله ـ تعالى ـ يكون تعطيلا للنتائج التى رتبها سبحانه ـ وتعالى ـ على النظر ، فلو كانت المعرفة لاتترتب على النظر لكان ذلك قطعا للنتائج التى قرر الله ـ تعالى ـ أنها نتائج للنظر لكن مع أن العقل يمكن أن يستقل عند « الماتريدى » بمعرفة الله ـ تعالى ـ ، كما هو رأى « أبى حنيفة » لا يجوز أن يستقل بمعرفة الأحكام التكليفية ؛ لأن الوجوب لايكون إلا ممن يملك الإيجاب ، ومالك الإيجاب هو الله ـ تعالى ـ .

٢ — يثبت « الماتريدية » للأشياء حسنا وقبحا ذاتيا ، وأن العقل عندهم يستطيع أن يدرك حسن بعض الأشياء وقبحها ، وأن الأشياء عندهم ثلاثة أقسام : ـ

(أ) أشياء يستطيع العقل البشرى إدراك الحسن فيها .

(ب) « « « « « القبح فيها .

ج — أشياء يستبهم وجه الحسن ووجه القبح فيها ، ولا يعرف الأمر فيها من حيث الحسن والقبح إلا من الشارع :

والمعتزلة يقسمون الأشياء إلى هذه الأقسام أيضاً لكنهم يرتبون على التقسيم أن ما يدرك العقل حسنه يكون واجب الفعل بتكليف

(c) ketabton.com: The Digital Library

العقل ، وما يدرك العقل قبحه يكون منهيا عنه . والماتريدى تبعا للإمام « أبى حنيفة » يقول :

ومع أن العقل يدرك الحسن والتقبيح لكن العقل لايمكن أن يستقل بالتكليف الدينى قط ؛ إذ الحاكم فى التكليف الدينى هو الله - تعالى - و « الأشعرى » لايرى للأشياء حسنا ذاتيا أو قبحا ذاتيا ، بل يقول :

إن التحسين بأمر الشارع والتقبيح بنهى الشارع ، فالحسن حسن ؛ لأن الله أمر به ، والقبيح قبيح ، لأن الله - تعالى - نهى عنه .

٣ — يرى « الأشاعرة » أن أفعال الله - تعالى - لا تعلل ، لأنه لايسأل عما يفعل ، وهم يسألون ، وقال « المعتزلة » .

إن الله - تعالى - يعمل الأعمال معللة بمقاصد وأغراض ، لأنه حكيم لا يصدر عنه فعل جزافا ، بل قدر كل شيء تقديرا ، ثم يصلون من هذا إلى القول بوجوب الصلاح والأصلح ، فإنه بمقتضى أن الأشياء لها حسن ذاتى وقبح ذاتى ، وبمقتضى أن الله - تعالى - لا يفعل إلا ما يكون فيه حكمة ، فمستحيل أن يأمر بغير الصالح ، وأن ينهى عن الصالح ، فيجب له الصلاح ، ويجب له الأصلح .

و « الماتريدى » يخالف الفريقين ، فيقول :

إن الله تعالى منزه عن العبث ، وأن أفعاله - سبحانه وتعالى - تكون على مقتضى الحكمة ، لأنه الحكيم العليم ، كما وصف نفسه ، فاذن هو - جل شأنه - فى حكمه التكليفى ، وفى أفعاله التكوينية قد أراد هذه الحكمة وقصدها . لكنه - تعالى - غير مجبر عليها ، ولا ملزم بها ، لأنه مختار وفعال لما يريد ، فلا يقال : أنه يجب عليه فعل الصلاح

(c) ketabton.com: The Digital Library

أو الأصلح لأن الوجوب ينافى الاختيار والإرادة، ويستلزم أن يكون لغيره حق عليه، والله ـ سبحانه وتعالى ـ فوق عباده لا يسأل عما يفعل، والوجوب عليه يقتضى أن يسأل عما يفعل ـ تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

٤ — أجاز «الأشاعرة» أن يخلق الله ـ تعالى ـ الناس ولا يكلفهم شيئاً، إذ أن التكليف بإرادة الله ـ تعالى ـ، فيجوز أن يريد غيرها.

قال «الماتريدية».

إرادة الله ـ تعالى ـ لحكمة اختارها، ولا يريد ـ سبحانه ـ غير الحكمة التى قررها وأرادها، وأيضا أجاز «الأشاعرة» ـ بفرض عقلى لا شرعى ونقلى ـ أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يجوز له أن يعاقب الطائع ويثيب العاصى، لأن إثابة الطائع بفضل رحمته، وعقوبة العاصى بمحض إرادته ولا معقب له على ما يفعل وما يريد.

ويقول «الماتريدية» إن ثواب الطائع وعقاب العاصى لحكمة قصدها وإردة أرادها، إذ أن الله ـ سبحانه ـ حكيم عليم، وكثيرا ما ذكر بعد العقاب والثواب وصفه بالحكمة، كما قال الله ـ تعالى ـ:

والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم».

وأجاز «الأشاعرة» أن يخلف الله وعيده إجازة عقلية لا شرعية، ومنع «الماتريدية» ذلك، لأن الله ـ تعالى ـ وعد بمقتضى حكمته، وقد قال ـ تعالى ـ.

«إن الله لايخلف الميعاد»، وعلى ذلك فلا خلف منه لافى الوعد، ولا فى الوعيد.

(c) ketabton.com: The Digital Library

٥ — اختلف «المعتزلة» و «الأشاعرة» و «الماتريدية» فى مسألة الجبر والاختيار ، فالمعتزلة يقولون ،

إن العبد يخلق أفعال نفسه حتى يمكن أن يخاطب ويتم التكليف ، وأن هذه القدرة التى بها يخلق أفعال نفسه هى من خلق الله ـ تعالى ـ التى أودعها إياه .

والأشاعرة قالوا :

إن الفعل مخلوق لله ـ تعالى ـ ، والكسب من العبد ، وبالكسب يكون التكليف ، ويكون الثواب ، ويكون العقاب .

والماتريدى يقول :

إن الله ـ تعالى ـ خالق الأشياء كلها ، فلاشىء فى هذا الوجود إلاوهو مخلوق لله ـ تعالى ـ لاشريك له ـ سبحانه ـ ، وإثبات الخلق لغيره إثبات للشريك ، وذلك غير معقول ولا مقبول ، ثم يقول أيضاً .

إن حكمة الله ـ تعالى ـ تقضى ألا يكون ثواب إلا وللعبد اختيار فيما يستحق عليه الثواب ، فلا عقاب بالأولى إلا فيما يكون للعبد فيه اختيار ، وذلك فوق أنه مقتضى الحكمة هو مقتضى العدالة أيضا ، ولكن كيف يوفق بين اختيار العبد وبين كون الفعل بقدرة الله ـ تعالى ـ ومخلوق له ـ سبحانه ـ ؟

فيقول «الماتريدى» فى ذلك ماقاله «الأشعرى» .

إن العبد له الكسب وهو مختار فيه ، وبهذا الكسب يكون الثواب والعقاب ، لكن سرعان ما يفترقان :

(c) ketabton.com: The Digital Library

فالأشعرى يقرر أن ذلك الكسب هو الاقتران بين الفعل الذى هو مخلوق لله ـ تعالى ـ واختيار العبد من غير أن يكون للعبد تأثير فى هذا الكسب ، وعلى ذلك يكون الكسب مخلوق لله ـ تعالى ـ كالفعل نفسه .

وقد قرر العلماء أن ذلك الرأى يؤدى إلى الجبر لا محالة ، إذ لا معنى لاختيار العبد فى العمل ، ولذلك يقولون :

إنه الجبر المتوسط ، ويقول « ابن حزم » و « ابن تيمية » « إنه الجبر الكامل » .

أما الكسب عند « الماتريدى » فإنه يكون بقدرة أودعها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى العبد بحيث يستطيع العبد أن يكسب الفعل بقدرة مخلوقة فيه ، ويستطيع أن لا يكسبه بهذه القدرة ، فهو حر مختار فى هذا الكسب إن شاء فعل وإن شاء ترك ، وبذلك يكون الثواب ويكون العقاب ، فحينئذ لا يتنافى كون الله خالقاً لأفعال العباد مع اختيارهم ، وهذه القدرة هى الاستطاعة التى بها يكون التكليف عند « أبى حنيفة » وتكون عند الفعل ؛ لأنها القدرة المتجددة الحادثة ، فلا يلزم أن تكون قبل الفعل .

والمعتزلة قرروا أن الاستطاعة تكون قبل الفعل ؛ لأن التكليف والخطاب به يكون قبل الفعل لا بعده .

٦ — نفى المعتزلة الصفات ، وقالوا لا شىء غير الذات ، وأن المذكور فى القرآن مثل قوله ـ تعالى ـ عليم ، وخبير ، وحكيم ، وسميع ، وبصير هو أسماء له ـ تعالى ـ .

وأثبت « الأشاعرة » الصفات وقالوا :

(c) ketabton.com: The Digital Library

إنها شيء غير الذات فأثبتوا القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، وقالوا: إنها شيء غير الذات. (١)

وأثبت «الماتريدى» أيضا هذه الصفات لكنه قال:

ليست شيئاً غير الذات، فهى ليست صفات قائمة بذاتها ولا منفكة عن الذات، فليس لها كينونة مستقلة عن الذات، حتى يقال: إن تعددها يؤدى إلى تعدد القدماء.

٧ — أنكر «المعتزلة» أن يكون لله - تعالى - صفة اسمها الكلام تكون مستقلة عن الذات، وقالوا:

إن القرآن مخلوق، ونهج «الأشاعرة» فى هذه القضية منهج الفقهاء والمحدثين، وقالوا:

إن القرآن كلام الله - تعالى - وهو غير مخلوق، وإن لم يصرحوا بأنه قديم.

وقال «الماتريدية»:

إن كلام الله - تعالى - هو المعنى القائم بذاته - سبحانه وتعالى - وصفة من صفاته متصلة بذاته قديمة بقدم الذات غير مؤلفة من حروف ولا كلمات؛ لأن الحروف والكلمات محدثة والحادث لا يقوم بالقديم الواجب الوجود، لأن الحادث عرض من الأعراض والعرض لا يقوم بذاته - تعالى -.

---

(١) وقد كتب ملا أحمد الجندى .. فى حاشيته على شرح العقائد النفسية تحت قول النسفى «والأشاعره إلى نفى غيريتها وعينيتها» أى قدماء الأشاعرة وأما المتأخرون منهم فذهبوا إلى مغايرتها.

(c) ketabton.com: The Digital Library

٨ - يقرر « الماتريدى »

تنزيه الله — تعالى — عن الجسمية وعن المكان والزمان ويقف من الآيات التى تشتمل على أوصاف خبرية بأن لله — سبحانه - وجها ويدا وعينا إلى آخره موقف المؤول ، ويسير على مبدئه وهو حمل المتشابه من القرآن على المحكم ، فيفسر قوله — تعالى — « ثم استوى على العرش » بأنه يحتمل أن يكون قصد إليه ، وخلقه سويا مستقيما مستقرا ، ويفسر قوله — تعالى — « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » بأنه إشارة إلى سلطانه ، وكمال قدرته ، وهكذا يؤول كل خبر فيه ما يوهم « التشبيه » أو « التجسم » أو « المكان » أو « الزمان » .

أما « الأشعرى » فقد روى عنه رأيان :

أحدهما ما ذكره فى « الابانة » من أنه لايؤول ، بل يقول إن لله يداً لا نعلمها ، ولكنها لا تشبه يد المخلوق ؛ إذ يقول - سبحانه وتعالى — « ليس كمثله شيء »

« والآخر ذكره فى « اللمع » وهو أن هذه الآيات التى فيها مايوهم التشبيه تحمل على المحكم كما سلك « الماتريدى » .

٩ - نفى « المعتزلة » رؤية الله - تعالى - ؛ لأن الرؤية تقتضى مكاناً للرائى ومكاناً للمرئى ، فتقتضى لا محالة أن يكون لله - تعالى - مكان ، والله - تعالى - منزه عن أن يكون فى مكان ، وأن يعتريه تقلب الزمان « وأثبت » « الأشعرى » و « الماتريدى » رؤية الله - تعالى - يوم القيامة ؛ لأن النصوص التى وردت تثبت الرؤية مثل قوله - تعالى -

« وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » ، ويجيب « الماتريدى » عما ألزمه « المعتزلة » بأن رؤية الله - تعالى - يوم القيامة هى من أحوال

(c) ketabton.com: The Digital Library

القيامة ، وأحوال القيامة قد اختص علم الله ـ تعـالى ـ بـكيفيتها وأحوالها ، وفوق ذلك ، فإن المعتزلة يقيسون رؤية ، الله تعالى ، على رؤية الأجسام ، أى يقيسون رؤية ما ليس بجسم على رؤية الجسم ، وذلك قياس مع الفارق ، وقياس الغائب على الشاهد يصح إذا كان الغائب من جنس الشاهد أما إذا لم يـكن من جنسه فالقياس لايستوفى أركانه ، وعلى ذلك يقرر الرؤية ، ويقرر أنها من أحوال القيامة ، فمن حاول معرفة كيفيتها سلبا أو ايجابا ، فقد تعدى حده وطلب ما ليس له به علم قال الله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

١٠ ـ أجمع علماء المسلمين على أن المؤمن لا يخلد فى النار لـكن اختلفوا فى أن المؤمن الذى لايخلد فى النار هو من ؟ .

قال « الخوارج » مرتـكب الذنب صغيرا أو كبيرا كافر لا مسلم ولا مؤمن .

وقال « المعتزلة » مرتـكب الـكبيرة لايعد مؤمنا ، وإن كان يعد مسلما ، فإذا لم يتب توبة نصوحا يخلد فى النار لـكن عذابه يـكون أخف من عذاب من لم يؤمن بالله ورسوله .

لا يخرج « الأشاعرة » و « الماتريدية » من يرتـكب المعاصى صغيرة أو كبيرة عن دائرة الإيمان ، وإن كان له حساب وعقاب ، وقد يتغمده الله برحمته ، ويقول « الأشاعرة » و « الماتريدية » .

إن مرتـكب الـكبيرة لا يخلد فى النار ولو مات من غير توبة ، فعلى ذلك الاختلاف يقولون :

إن « الخوارج » و « المعتزله » يعدون العمل جزءا من الإيمان ، و « الأشاعرة » و « الماتريدية » لا يعدون العمل جزءا من الإيمان .

قال « الماتريدى » مستدلا علي أن مرتـكب الـكبيرة لايخلد في النار

(c) ketabton.com: The Digital Library

ولو مات من غير توبة » بأن الله ـ تعالى ـ قد بين فى القرآن الكريم أنه لايجزى على السيئة إلا بمثلها ، فقال ـ تعالى ـ

« ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون » .

ولا شك أن من لا يكفر بالله ولا يشرك به يكون ذنبه دون ذنب الكافر والمشرك ، وقد جعل الله ـ تعالى ـ التخليد عقوبة الشرك والكفر ، فلو عذب صاحب الكبيرة مع وجود التصديق مثل عذاب الكافر لكانت عقوبته زائدة على قدر ذنبه ، وهذا خلف فى الوعد ، والله ـ تعالى ـ لايظلم العباد ، ولا يخلف الوعد ، ثم المساواة فى الجزاء بين الكافر والمؤمن العاصى مما يخالف حكمة الله ـ تعالى ـ وعد له ؛ لأن المؤمن العاصى قد جاء بما هو أعظم الخير وهو الإيمان ، ولم يأت بأقبح الشر وهو الكفر فلو خلده الله فى النار أبدا لجعل جزاء أقبح الشر بدل ثواب أفضل الخيرات ، ومقتضى العدل والحكمة الجزاء بالمثل لا بالزيادة إلا فى الثواب » ، ثم قال ـ رحمه الله ـ تعالى :

والحق فى أصحاب الذنوب من المؤمنين تفويض أمرهم إلى الله ـ تعالى ـ إن شاء عفا عنهم فضلا منه وإحسانا ورحمة ، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم فلا يخلدون فى النار ، فيكون أهل الإيمان بين الرجاء والخوف ، فيجوز له ـ تعالى ـ العقاب على الصغيرة والعفو عن الكبيرة ، كما قال الله ـ تعالى .

إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما » (١)

---

(١) من كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية ص (٢٠٧ - ٢٢٣) مع بعض التغيير اللفظي .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ومما يلزم أن أذكره هو أن بلاد « خراسان » كانت مثل المهد لمذهب « الماتريدى » وكان فى عصر « عبد الله الأنصارى » كثير من الناس فى مدينة « هراة » وسائر مدن « خراسان » و « أفغانستان » يعتنقون مذهب الإمام « الماتريدى » ، وقد عرفنا سابقا أن منهاج « الماتريدى » أعطى للعقل سلطانا كبيرا ويحاول ، فى تفسير القرآن الكريم وشرح الأحاديث ، ما استطاع : أن يحول المتشابه إلى المحكم ، حتى أنه فى معرفة الله ـ تعالى ـ يقر بأن لها مصدراً آخر أيضا غير النقل وهو العقل ، فنجد « الماتريدى » يعترف بأن النقل مصدر ، والعقل أيضا مصدر .

ولما كان ذلك الرأى مخالفاً لآراء المحدثين الذين لا يعتمدون على العقل ويخشون عليه الزلل خالف « عبد الله الأنصارى » « الماتريدى » ، واستدل فى المسائل الاعتقادية بالكتاب والسنة ، وأثبت ما ثبت عنده من العقيدة الإسلامية للأولين ، وأظهر أضرار المناهج التى بنيت على الاعتماد على العقل فى المسائل الاعتقادية ، ثم كشف النقاب عن المفاسد التى حصلت من تلك الاختلافات الفلسفية والمنطقية والكلامية فى تضعيف العقيدة الإسلامية الخالصة ، فأعلن أن أكثر المباحث الكلامية فى عصره بدعة وفتنة فى الإسلام ، وحاول أن يبنى عقيدته على مذهب الإمام « أحمد بن حنبل » .

« الإمام أحمد بن محمد بن حنبل » و « عبد الله الأنصارى »

لما كان « عبد الله الأنصارى » أعلن أن مذهبه هو مذهب الإمام « أحمد » لزم علينا أن نعرض إجمالا لحياة الإمام « أحمد » وآرائه لكى نعرف أى منهج اتبع « عبد الله الأنصاري » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

حياة الإمام «أحمد بن محمد بن حنبل» :

ولد «أحمد بن حنبل» فى شهر ربيع الأول سنة (١٦٤ هـ) فى «بغداد» وتوفى فى سنة (٢٤١ هـ) وكان جده واليا على ولاية «سرخس» من ولايات خراسان، وكان أبوه قائدا من قواد المسلمين.

وقد وجه «أحمد» منذ صباه إلى الدراسة الإسلامية، فحفظ القرآن الكريم، وأخذ يدرس العربية، والحديث، وآثار الصحابة والتابعين، وسيرة النبي — صلى الله عليه وسلم — ، وسيرة صحابته المقربين والتابعين، وقد اشتهر بين الأقران بالتقوى والصبر واحتمال المكاره، ولعل ذلك من فرط اعتماده على نفسه واحساسه بالاستقلال النفسى.

ولقد اتجه إلى الفقه الجامع بين الرواية والدراية، ثم اختار أن يكون محدثا، فطلب علم الحديث والفقه من الأساتذة العظماء، وكان فى جملتهم «أبو يوسف» تلميذ «أبى حنيفة» رحمه الله ـ تعالى ـ

ولقد التقى لأول مرة بالإمام «الشافعى» ـ رحمه الله ـ تعالى ـ فى المسجد الحرام بمكة سنة (١٨٧ هـ)، ثم التقى به بعد ذلك فى مدينة «بغداد» عندما جاء إليها لينشر مذهبه.

وقد حج خمس مرات قاصداً للحج وطلب حديث النبي — صلى الله عليه وسلم — .

ولقد طاف «أحمد بن حنبل» فى الأقاليم الإسلامية طلبا للعلم بحيث أنه كان يحمل حقائب كتبه على ظهره، ورد رحمه الله ـ تعالى ـ مرة على جواب من كان معترضا عليه ومستكثرا ما حفظ وما كتب وما روى : مرة إلى الكوفة، ومرة إلى البصرة ! إلى متى ؟ فقال رحمة الله — تعالى — .

(c) ketabton.com: The Digital Library

« مع المحبرة إلى المقبرة » .

وروى أنه كان يعرف اللغة الفارسية ، ويتحدث بها أيضا ، وكان فى عصر الإمام « أحمد بن حنبل » رحمه الله - تعالى - « يوحنا » الدمشقى يبث بين علماء النصارى فى البلاد الإسلامية طرق المناظرات التى تشكك المسلمين فى دينهم ، وينشر بين المسلمين الأكاذيب عن نبيهم ، فكثر فى عصره الكلام فى العقائد ، حتى من غير التزام باتباع الكتاب والسنة ، بل خاضوا فى أمور حول العقيدة مثل الجبر والاختيار ، ومثل الكلام فى أسماء الله - تعالى - المذكورة فى القرآن ، أهى صفات الله - تعالى - غير الذات ؟ أو هى والذات شىء واحد ؟

وهل الكلام من صفات الله - تعالى - ؟ ثم هل القرآن قديم ؟ أو هل القرآن مخلوق ؟ وغير ذلك مما كان يخوض فيه العلماء الذين سموا بعلماء الكلام ، ويعدهم من أهل الزيغ .

ومن سوء الحظ أنه كان فى ذلك العصر على رأس الحكومة العباسية « عبد الله المأمون بن الرشيد » الذى يعد نفسه من المعتزلة وعالما من علمائها ، فيعقد المناظرات ؛ لتأييد مذهب الاعتزال ، ويثير المناقشات حول كون القرآن مخلوقاً أو غير مخلوق ؟ ، حتى اتجه فى آخر حياته إلى إكراه العلماء من الفقهاء والمحدثين على ذلك القول ومن هنا نزلت المحنة بالإمام « أحمد بن حنبل » ، حتى سجن واستمر فى محبسه ثمانية وعشرين شهرا ، وفى هذه المدة أخذوا يضربونه بالسياط مرة بعد أخرى ، ولم يترك فى كل مرة إلا بعد أن يغمى عليه ، فلما استيئسوا منه ، وأنه لن يرجع إلى القول بخلق القرآن الكريم أطلقوا سراحه وأعادوه إلى بيته ، ثم بعد مدة عاد إلى الإفتاء ، كما كان حتى

(c) ketabton.com: The Digital Library

جاء عصر « الواثق » ، فمنعه من الاجتماع بالناس والتحدث إليهم والفتوى، حتى مات « الواثق » فلما جاء « المتوكل » رفع المحنة ، وقرب الفقهاء والمحدثين وطرد المعتزلة ، وأخرجهم من القوة التى كانوا فيها .

آراء أهل السنة وآراء الإمام « أحمد بن حنبل »

لما كان للإمام « أحمد بن حنبل » وأهل السنة آراء بمقابلة آراء المخالفين أردت ذكر أهمها فيما يأتى : —

(الاعتقاد) والإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وبما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لايردون من ذلك شيئا ، وأن الله — سبحانه — إله واحد فرد صمد ، لا إله غيره ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأن محمدا عبده ورسوله — وأن الجنة حق ، وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور .

(الاعتقاد) والإقرار بأن الله — سبحانه — على عرشه ، كما قال :

« الرحمن على العرش استوى » .

وأن له يدين بلا كيف ، كما قال :

« خلقت بيدى » ، وكما قال : « بل يداه مبسوطتان » .

وأن له عينين بلا كيف ، كما قال : « تجرى بأعيننا » .

وأن له وجها كما قال :

« ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » .

وأن أسماء الله لا يقال أنها غير الله ، كما قالت المعتزلة والخوارج ، وأقروا أن لله — سبحانه — علما كما قال :

« أنزله بعلمه » ، وكما قال : « وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

وأثبتوا له ـ تعالى ـ السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة ، وأثبتوا لله القوة ، كما قال :

« أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة » .

وقالوا : إنه لا يكون فى الأرض من خير ولا شر ، إلا ما شاء الله ، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله ، كما قال ـ عز وجل ـ :

« وما تشاءون إلا أن يشاء الله » وكما قال المسلمون : « ماشاء الله كان وما لا يشاء لا يكون » .

وقالوا : إن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله ، ولا يكون أحد قادراً بأن يخرج عن علم الله ، أو أن يفعل شيئاً علم الله أنه لا يفعله .

وأقروا أنه لاخالق إلا الله ، وأن سيئات العباد يخلقها الله ، وأن أعمال العباد يخلقها الله ـ عز وجل ـ ، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا منها شيئاً .

وأن الله وفق المؤمنين لطاعته وخذل الكافرين ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ، ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا هداهم ولو أصلحهم لكانوا صالحين،ولو هداهم لكانوامهتدين ، وأن الله ـ سبحانه ـ يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم ، حتى يكونوا مؤمنين ، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم ، وخذلهم ، وأضلهم ، وطبع على قلوبهم .

وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره ، ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً

(c) ketabton.com: The Digital Library

ولا ضرا إلا ما شاء الله كما قال ، ويلجئون أمرهم إلى الله ـ سبحانه ـ ويثبتون الحاجة إلى الله فى كل وقت ، والفقر إلى الله فى كل حال .

ويقولون : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ولا يقال: للفظ القرآن أنه مخلوق ، ولا غير مخلوق .

ويقولون : إن الله ـ سبحانه ـ يرى بالأبصار يوم القيامة ، كما يرى القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون ؛ لأنهم عن الله محجوبون ، قال الله ـ عز وجل ـ :

« كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » وأن موسى ـ عليه السلام ـ سأل الله ـ سبحانه ـ الرؤية فى الدنيا ، وأن الله ـ سبحانه ـ تجلى للجبل ، فجعله دكا فأعلمه بذلك أنه لا يراه فى الدنيا ، بل يراه فى الآخرة .

ولا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر ، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر .

الإيمان عندهم هو الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم ، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم (١) .

والإسلام هو : أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، على ما جاء فى الحديث ، والإسلام عندهم غير الإيمان .

ويقرون بأن الله ـ سبحانه ـ مقلب القلوب ، ويقرون بشفاعة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأنها لأهل الكبائر من أمته ،

---

(١) لا يتعارض هذا القول بما يأتى بعد من أن الإيمان قول وعمل ، لأن المراد هنا بيان ما يؤمن به بالاعتقاد.

(c) ketabton.com: The Digital Library

وبعذاب القبر ، وأن الحوض حق ، والصراط حق ، والبعث بعد الموت حق ، والمحاسبة من الله ـ عز وجل ـ للعباد حق ، والوقوف بين يدى الله حق .

ويقرون بأن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ولا يقولون : مخلوق ولا غير مخلوق ، ويقولون : أسماء الله هى الله ، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله ـ سبحانه ينزلهم حيث شاء ، ويقولون ، أمرهم إلى الله ، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم ، ويؤمنون بأن الله ـ سبحانه ـ يخرج قوما من الموحدين من النار ، على ماجاءت به الروايات عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وينكرون الجدل والمراء فى الدين ، والخصومة فى القدر ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من أمر دينهم ، بالتسليم للروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار التى رواها الثقات عدلا عن عدل،حتى ينتهى ذلك إلى رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ ، ولا يقولون كيف؟ ولا لم؟ لأن ذلك بدعة ، ويقولون : إن الله لم يأمر بالشر ، بل نهى عنه ، وأمر بالخير ، ولم يرض بالشر وإن كان مريداً له .

ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله سبحانه ، لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويأخذون بفضائلهم ، ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم أو كبيرهم ، ويقدمون « أبا بكر » ، ثم « عمر » ، ثم « عثمان » ، ثم « عليا » ، رضوان الله عليهم .

ويقولون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون ، أفضل الناس كلهم بعد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ويصدقون بالأحاديث التى جاءت عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(c) ketabton.com: The Digital Library

أن الله ـ سبحانه ـ ينزل إلى السماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر ؟ كما جاء فى الحديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ويأخذون بالكتاب والسنة ، قال الله ـ عز وجل ـ :

« فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول » ، ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين وألا يبتدعوا فى دينهم مالم يأذن به الله .

ويقرون أن الله ـ سبحانه ـ يجيء يوم القيامة ، كما قال :

« وجاء ربك والملك صفا صفا » . وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء ، كما قال :

« ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » ، ويرون أداء العيد والجمعة والجماعة خلف كل إمام بر وفاجر ، ويثبتون أن المسح على الخفين سنة ، ويرون أنه فى الحضر والسفر ، ويثبتون فرض الجهاد منذ بعث الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى آخر عصابة تقاتل الدجال وبعد ذلك .

ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ، وألا يخرجوا عليهم بالسيف ، وألا يقاتلوا فى الفتنة ، ويصدقون بخروج الدجال ، وأن عيسى ابن مريم يقتله .

ويؤمنون بمنكر ونكير ، وبالمعراج والرؤيا فى المنام ، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم .

ويصدقون بأن فى الدنيا سحرة وأن الساحر كافر ، كما قال الله ـ تعالى ـ ، وأن السحر كائن موجود فى الدنيا .

ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم ، وموارثتهم .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن من مات مات بأجله ، وكذلك من قتل قتل بأجله ، وأن الأرزاق من قبل الله — سبحانه — يرزقها عباده حلالا كانت أم حراما ، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويتخبطه ، وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله بآيات تظهر عليهم ، وأن السنة لا تنسخ بالقرآن ، وأن الأطفال أمرهم إلى الله : إن شاء عذبهم وإن شاء فعل بهم ما أراد ، وأن الله عالم بما يعمله العباد ، ثم كتب أن ذلك يكون ، وأن الأمور بيد الله .

ويرون الصبر على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله به ، والانتهاء عما نهى عنه ، وإخلاص العمل ، والنصيحة للمسلمين ، ويدينون بعبادة الله فى العابدين ، والنصيحة لجماعة المسلمين ، واجتناب الكبائر ، والزنا ، وقول الزور ، والعصبية ، والفخر ، والكبر ، والازراء على الناس ، والعجب .

ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار ، والنظر فى الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق ، وبذل المعروف ، وكف الأذى ، وترك الغيبة والنميمة والسعاية ، وتفقد المأكل والمشرب(١) .

هذه جملة ما يعتقده ، ويقره ، ويأمر به الإمام « أحمد بن حنبل » وأهل الحديث ، وتوجد هناك فرق تخالفهم فى هذه المسائل بسبب ميل هذه الفرق إلى الفلسفة والمنطق والكلام ، ويتأولون نصوص الكتاب والسنة .

---

(١) من كتاب « مقالات الإسلاميين ، واختلاف المصلين » للأشعرى ، ص (٣٢٠ — ٣٢٥) ، وكتاب « تاريخ المذاهب الإسلامية » ص (١٩٤ — ١٩٦) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

آراء الإمام « أحمد بن حنبل »

التي تمسك بها « عبد الله الأنصاري »

١ — « رأيه في الإيمان » :

لاشك أن العلماء في عصره ومن قبله قد خاضوا في حقيقة الإيمان .

فمنهم من قال :

إنه المعرفة ، ومنهم من قال :

إنه التصديق والإذعان ولا يزيد ولا ينقص ، ومنهم من قال :

إنه يزيد وينقص .

وقد روى عنه أنه قال :

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص زيادته إذا أحسنت ، ونقصانه إذا أسأت ، ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام فإن تاب رجع إلى الإيمان ، ولا يخرجه من الإسلام إلا الشرك بالله العظيم ، أو يرد فريضة من الفرائض جاحداً لها ، فإن تركها تهاوناً بها وكسلاً كان في مشيئة الله ، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ، هو في هـــذا الرأي يعتمد على النصوص وحدها ، ولا يخوض في أمور عقلية .

٢ — « رأيه في الصفات » :

أثبت الإمام « أحمد بن حنبل » لله — تعالى — كل ماجاء في القرآن والأحاديث من صفات الله — تعالى — فهو يصف الله — تعالى — بأنه سميع ، بصير ، متكلم ، قادر ، مريد ، عليم ، خبير ، لطيف . عزيز ، حكيم « ليس كمثله شيء » ، ويذكر كل ما وصف به الله — تعالى — ذاته من غير محاولة تأويل ، وكذلك ماروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم —

(c) ketabton.com: The Digital Library

فهو لايبحث عن كنه الصفات ولا عن حقيقتها ، ويعتبر التأويل خروجا على الكتاب والسنة .

٣ — «رأيه فى القدر وأفعال الإنسان» :

روى أن منهاج «أحمد حنبل» فى دراسة مسائل الدين هو منهاج السلف ، ولا يعتمد على العقل دون النقل ، فيقرر ما يقرره السلف ويكف عما كف عنه السلف ، وكذلك كان كلامه فى القضاء والقدر وأفعـــال الإنسان ، ينطق بما قرر السلف ولا يخوض فى أمر عقلى لم يخوضوا فيه ، ولا يجادل ولا يمارى ، كما قال فى القدر :

«أجمع سبعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار على أن السنة التى توفى عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرضاء بقضاء الله ، والتسليم لأمره ، والصبر تحت حكمه ، والأخذ بما أمر الله به ، والبعد عما نهى عنه ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، وترك المراء والجدال والخصومات فى الدين[1] ، وهو يقرر وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره ، ووجوب الطاعة ، ويظهر من كلامه أن القدر عنده لا ينافى التكليف والاختيار فى الطاعة ، وهو يقرر أيضا أن الله - تعالى - يعلم كل ما يفعله العباد ، ويريده ، ولا يمكن أن يقع فى الكون مالا يريد .

٤ — «رأيه فى مرتكب الكبيرة» :

رأى الإمام «أحمد بن حنبل» فى مرتكب الكبيرة كرأى الفقهاء ،

(١) من «المناقب» ص (١٧٦) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

وهو أنه « أرجأ ما غاب عنه من الأمور إلى الله ، وفوض أمره إليه ، ولم يقطع بالذنوب العصمة من عند الله ، وعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره الخير والشر جميعاً ، ورجا لمحسن أمة محمد وتخوف على مسيئهم ، ولم ينزل أحدا من أمة محمد الجنة بالإحسان ولا النار بذنب اكتسبه ، حتى يكون الله الذى ينزل خلقه حيث شاء » .

يظهر منه أنه يرجىء أمر العصاة إلى الله - تعالى - ولكن يتخوف عليهم ، ويرد على المعتزلة قولهم أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ، فيقول : فمن كان منهم كذلك فقد زعم أن آدم كافر وأن أخوة يوسف حين كذبوا أباهم كفار »(١) .

٥ — « رأيه فى خلق القرآن » :

وقد ثبت أن الإمام « أحمد » ما كان يرى الخوض فى مثل هذه الأمور التى لم يخض فيها السلف الصالح - رضوان الله تبارك وتعالى عليهم - فلأجل ذلك قال بعض العلماء إنه كان متوقفا فى هذه المسألة ، وقال فريق آخر من العلماء إنه كان يرى أن القرآن غير مخلوق ، واستدلوا على ذلك ببعض العبارات التى وردت فى رسالته التى كتبها إلى المتوكل ، ولقد جاء فيها القول الآتى :

« لقد روى عن غير واحد ممن مضى من سلفنا أنهم كانوا يقولون : القرآن كلام الله غـــير مخلوق ، وهو الذى أذهب إليه ، لست بصاحب كلام ولا أرى الكلام فى شىء من هذا إلا ما كان فى كتاب الله أو فى حديث عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أو عن أصحابه

---

(١) من « المناقب » ص (١٦٨) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

أو عن التابعين، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود، وعند النظر فى التوفيق بين الرأيين يظهر لنا حقيقتان :

أولاهما — أن الإمام «أحمد» ـ رحمه الله تعالى ـ كان يتوقف عن القول بأن القرآن مخلوق أو غير مخلوق؛ لأنه يرى أن ذلك بدعة من القول، لكن لما كثر الكلام والاختلاف فيه، ونزلت عنده المحنة فاختار ما رآه أسلم فى نظره وهو أن يقول : إن القرآن ليس بمخلوق، وليس معنى ذلك أنه قديم، فإنه لم يؤثر عنه أنه قال : إنه قديم، ولكنه احترز عن أن يقول إنه مخلوق؛ لأنه كلام الله، ولأنه من علم الله ـ تعالى ـ، ولأن الله نسبه إليه على أنه من كلامه ومن أمره.

ثانيهما — أنه ذكر فى صدر رسالته إلى «المأمون» الروايات الكثيرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعن الصحابة الكرام، فقد روى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال :

«لا مراء فى القرآن، إن المراء فيه كفر» وثبت أنه يرى أن القرآن غير مخلوق، لأنه لم يرد عن السلف أنهم قالوا : إنه مخلوق، ولأنه يتعلق بأمر الله، وأمر الله غير خلقه، ولكن أهو قديم؟ وللإجابة على هذا السؤال أقول، أن القرآن له ناحيتان :

أولاهما — معانيه وهى متعلقة بعلم الله ـ تعالى ـ الأزلى، فهى من علمه ـ تعالى ـ وعلمه قديم، لأن صفات الله ـ تعالى ـ قديمة.

وثانيتهما — ما يتعلق بألفاظه وحروفه التى أوحى بها إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن طريق الروح الأمين «جبريل»، وقد

(c) ketabton.com: The Digital Library

قرأها للنبي ، وأقرأها النبي للصحابة ، وهؤلاء بدورهم أقرؤها للتابعين ، وتواترت القراءة والاقراء بها ، فهـذه الألفاظ والحروف مخلوقة لله ـ تعالى ـ وكونها كذلك لاينافى أن القرآن من عند الله وأنه معجزة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي تحدى به المشركين فى أن يأتوا بمثله أو بأقصر سورة من مثله فعجزوا .

هذه الآراء من الإمام « أحمد » قد أعجب بها « عبد الله الأنصارى » ولهذا نراه فى كتبه ، وآثاره ، وتدريسه ، وتلقينه قد أيدها وتمسك بها .

ويثبت مما ذكرت عن الإمام « أحمد بن حنبل » ـ رحمه الله تعالى ـ أنه إمام صالح ، متمسك بالكتاب والسنة ، ويحاول أن يتبع العقل للنقل ، ويأخذ بالإطاعة والتسليم للكتاب والسنة أساسا ومنهاجا فى كثير من المسائل الاعتقادية ، فهـذا الأساس والمنهاج هو الذى اختاره « عبد الله الأنصارى » وجادل به من خالفه من أهل الأهواء والبدع ، وسنشرح بالتفصيل فيما يأتى آراءه ، ومنهجه ، وكفاحه ضد أهل الأهواء والبدع .

آراء « عبد الله الأنصارى » التى تتعلق بالعقيدة والكلام

قد عرفنا فيما سبق أن « عبدالله الأنصارى » يتبع ماجاء فى الكتاب والسنة على منهج الإمام « أحمد بن حنبل » ، ولا يعتمد على العقل ، ولا على الاستدلال الفلسفى والمنطقى ، بل هو يبنى عقيدته على ماجاء فى القرآن الكريم والحديث المبين ، ويرجح الآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين على القياس ، ويميل إلى أقوال أئمة الدين فى كثير من المسائل الاختلافية ، ولا يؤول المتشابه بالتأويلات العقلية والكلامية ، ولا يعطى

(c) ketabton.com: The Digital Library

الجواز لأحد أن يخوض فى هذه المعضلات مخالفا عما جاء به السلف الصالح ، فلأجل هذا خاصم صراحة كل من كان مخالفا لهذا المنهج .

عقيدة « عبد الله الأنصارى » بالله وصفاته

أسس « شيخ الإسلام » ـ وفقا لمنهجه ـ عقيدته بالله وصفاته طبق ما جاء فى الكتاب والسنة ، كما أنه قد أورد فى آخر كتابه « منازل السائرين » « باب التوحيد » وذكر تحته : « قال الله ـ عز وجل ـ

شهد الله أنه لا إله إلا هو » والتوحيد تنزيه الله ـ تعالى ـ عن الحدث وإنما نطق العلماء بما نطقوا به وأشار المحققون بما أشاروا إليه فى هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد ، والتوحيد على ثلاثة أوجه : ـ

الأول — توحيد العامة الذى يصح بالشواهد .

والثانى — توحيد الخاصة وهو الذى يثبت بالحقائق .

والثالث — توحيد قائم بالقدم وهو توحيد خاصة الخاصة (١) . . . . الخ » .

أقول لتوضيح ما أراده « عبد الله الأنصارى » من بيانه فى حق « التوحيد » هو أنه أشار أولا بذكر قول الله ـ عز وجل ـ .

« شهد الله أنه لا إله إلا هو » إلى أن مبدأ التوحيد وأساسه هو قوله ـ تعالى ـ « لا إله إلا هو ، لاشريك له ، الأحد ، الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » .

فإذن التوحيد الذى هو فعل العبد عبارة عن تنزيه الله ـ تعالى ـ

---

(١) من كتاب منازل السائرين إلى الحق عز شأنه ـ ص (٢٣ ـ ٣٤) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

عن كل ما يعرض للحوادث ، وإفراده بالعبادة ، وتنزيهه عن الشرك ، لأن كل ذلك يقتضى الحدوث ويخالف التوحيد ، فيلزم أن ينزه العبد الله ـ تعالى ـ عنه ، ثم أشار إلى أن الوحدانية التى كان بها الله ـ تعالى ـ غير ما ينسبه العباد إليه ، وهـذا لأن كنه الله ـ تعالى ـ لايستطيع أن يدركه أحد من العباد إذ أن العبد فى أى درجة يصل إليها يستدل على الله بمعلولاته ، وآثاره ، وموجوداته ، ومخلوقاته ، حتى أن من يدعى أنه وصل إلى معرفة الله ـ تعالى ـ لايمكن أن يصل إلى كنه الله ـ تعالى ـ ، بل لعله وصل إلى مرتبة أعلى فى معرفته تعالى .

وعلى ذلك فالناس فى توحيد الله ـ تعـالى ـ على ثلاثة أقسام : —

١ — عامة الناس وهم الذين يصدقون بما جاء فى الكتاب والسنة فى حق توحيد الله ـ تعالى ـ من غير شك ولا ارتياب ، وهذا التوحيد : هو التوحيد فى مرتبة علم اليقين الذى أمر الله ـ تعالى ـ به كل من له عقل من البشر ، وجاء به الأنبياء والرسل ، وبه تترتب الأحكام من الشرائع والأديان السماوية ، وهـذا التصديق والإيمان عند « عبد الله الأنصارى » يزيد وينقص .

٢ — خاصة الناس فتوحيدهم الانقياد والاطمئنان القوى بالنسبة إلى عامة الناس بواحدنيته ـ تعالى ـ ، وهو يحصل بعد التمسك والمتابعة بالدين القيم عن طريق مكاشفة بعض الحقائق من آثار الله ـ تعـالى ـ وأنواره وتأييداته ، ويصل العبد فى هذه المرتبة إلى درجة عين اليقين بأن كل مافى الكون من الأسباب والعلل الظاهرية يستفيد تأثيرها من وحدانيته ـ تعالى ـ ، وقدرته ، وإرادته ، وعلمه ، وحكمته .

٣ — خاصة الخاصة وتوحيدهم ينبع من حق اليقين ، وهو التوحيد

(c) ketabton.com: The Digital Library

القـديم الذى اتصف به الله ـ تعالى ـ فى الواقع ويحصل التعرف به بعد كثرة العبادة والرياضة ، وقوة ارتباط قلب العبـد ، وشدة تعلق حبه به ـ تعالى ـ بحيث يـكون العبد فى هذه المرتبة يحس من حب الله ـ تعالى ـ وانقياده له إحساسا وشعورا ، ويتذوق ذوقا ولذة لا يستطيع أن يعبر عن كيفية ما أحس وما ذاق ، فهو يرى من البراهين ، ويلوح على سره اللوائح التى يعجز عن بثها .

رأى « عبد الله الأنصارى »
فيما يصح أن ينسب إلى الله ـ تعالى ـ ويطلق عليه

قد ثبت أن رأى « عبد الله الأنصارى » فيما يصح أن ينسب إلى الله ـ تعالى ـ ويطلق عليه مثل رأى الإمام « أحمد بن حنبل » ، فهو يتبع ما أفاده الكتاب والسنة فى هـذا الأمر ، ولا يؤول النصوص الواردة فى هـذا الشأن بالرأى والعقـل خارجا عن منطوقهـا ، ومنصوصها ، ويحسب أن هذا النوع من التأويل انحراف عن الصراط المستقيم الذى يوقع الناس فى الزيغ والبدعة ؛ ولهذا أورد « عبد الله الأنصارى » فى رسالته الأربعين « فى التوحيد » الأحاديث التى يتضح فيها ما يصح أن ينسب إلى الله ـ عز وجل ـ ويطلق عليه .

(c) ketabton.com: The Digital Library

الأحاديث التي جاءت في رسالته

المسماة بـ «الأربعين في دلائل التوحيد»(١)

في حق ما يصح أن ينسب إلى الله - تعالى -، ويطلق عليه

ومما يلزم أن أقول أن «عبد الله الأنصاري» أورد في أربعينه الأحاديث في حق ما يصح أن ينسب إليه - تعالى - وكل هذه الأحاديث بإسناد تام، لكنني لأجل الإختصار أكتفي بذكر متونها مع ذكر اسم من جاء في آخر الإسناد: —

باب «إيضاح البيان أن الله حي»:

«عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

إن لله تسعة وتسعين اسما (مائة إلا واحدا) إنه وتر يحب الوتر من أحصاها دخل الجنة وعد الأسماء فيها الحي القيوم.

باب «في بيان الدليل أنه عز وجل لاينام»:

«عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال:

قام فينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأربع: أن الله - تعالى - لاينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه. يرفع إلى الله عمل

---

(١) أخذت صورة هـــذه الرسالة من مخطوط شريط رقم (٤٣٠) بالجامعة العربية، أصل المخطوط في (١٣) صفحة ثم لما كانت الكلمات في الصورة غير واضحة أخذت مكبر الحروف وكتبت منها ما أردت ذكره في هذه الرسالة بكمال الدقة.

(c) ketabton.com: The Digital Library

الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه » .

باب « بيان أن الله - تبارك وتعالى وتقدس - شيء » :

« عن عروة عن أمه اسماء بنت أبي بكر - رضى الله عنها - أنها سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول على المنبر « ماشيء أغير من الله - عز وجل - » .

باب « بيان أن الله - عز وجل - شخص »

« عن المغيرة - رضى الله عنه - قال قال سعد بن عبادة :

لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غيرة مني فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال :

أتعجبون من غيرة سعد فوالله لأنا أغير منه ، والله أغير مني ، ومن أجل غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا شخص أغير من الله - عز وجل - ، ولا شخص أحب إليـــه العذر من الله - عز وجل - ، ومن أجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ، ولا شخص أحب إليه الموحد من الله عز وجل - » .

باب « بيان إثبات النفس لله - عز وجل - »

« عن ابن عبـاس - رضى الله عنه - أن النبي - صلى الله عليـه وسلم - قال :

سبحان الله وبحمده عـدد خلقـه ومداد كلماته ورضى نفسه - سبحانه عز وجل - » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

باب «الدليل على أنه ـ تعالى ـ فى السماء»

«عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ـ ومعه جارية أعجمية سوداء فقال على رقبة فهل تجزى هذه عنى، فقال: أين الله؟ فأشارت بيدها إلى السماء، فقال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: اعتقها فإنها مؤمنة».

باب «الدليل على أنه ـ عز وجل على العرش»

«عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ «لما قضى الله ـ عز وجل ـ الخلق كتب كتابا فهو عنده على عرشه أن رحمتى غلبت غضبى».

باب «ذكر حجاب الله ـ عز وجل»:

«عن أبى موسى ـ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال: حجابه ـ تعالى ـ النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شىء أدركه بصره».

باب «إثبات فوق ودون لله ـ عز وجل ـ»

«عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال فى دعائه: «أنت الظاهر فليس فوقك شىء، وأنت الباطن فليس دونك شىء».

باب «إثبات الجهات لله ـ عز وجل ـ»

«أخبرنى عمرو بن أوس «إنه سمع» عبد الله بن عمر» ـ رضى الله

(c) ketabton.com: The Digital Library

عنه ـ يقول : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن ـ عز وجل ـ وكلتا يديه يمين » .

باب « إثبات الوجه لله ـ عز وجل ـ »

« قال عبد الله » ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قال بسم الله ، وقال مرة من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وتبارك الله ، تلقاهن ملك فضم عليهن جناحه ، وقال مرة تلقاهن فكتبهن ، ثم ضمهن إلى جناحه حتى يجيء وجه رب العالمين ـ تبارك وتعالى ـ ».

باب « إثبات الصورة له ـ عز وجل ـ »

« حدث أبو هريرة » ـ رضى الله عنه ـ قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « خلق الله آدم ـ عليه السلام ـ على صورته طوله ستون ذراعا » .

باب « إثبات العينين له ـ تعالى وتقدس ـ »

« عن قتادة قال : سمعت أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ يقول : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ما من نبى إلا وقد حذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم ـ عز وجل ـ ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك ، ف ، ر » .

« باب « إثبات السمع والبصر لله ـ عز وجل ـ »

سمع عن « أبى هريرة » ـ رضى الله عنه ـ يقرأ هذه الآية « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . . . إلى قوله إن الله كان سميعا

(c) ketabton.com: The Digital Library

بصيرا »، ووضع إبهامه على أذنه والتى تليه على عينيه، وقال: هكذا سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقرؤها ويضع أصبعيه عليهما.

باب « إثبات أنه — تعالى — خلق آدم — عليه السلام — بيديه »

عن أبى سعيد — رضى الله عنه — عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال: احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام فقال له موسى: أنت الذى خلقك الله بيده وأسكنك جنته ».

باب « خلق الله — عز وجل — الفردوس »

« عن أنس بن مالك — رضى الله عنه — أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال: إن الله — عز وجل — خلق الفردوس وحظرها على كل مشرك ومد من خمر مسكر.

باب « إثبات الخط لله — عز وجل — »

سمع عن أبى هريرة — رضى الله عنه — يحدث عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال احتج موسى وآدم عليهما الصلاة والسلام — فقال موسى أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال فقال آدم ياموسى اصطفاك الله — عز وجل — بكلامه وخط لك التوراة بيده تلومنى على أمر قد قدره الله على قبل أن يخلقنى بأربعين سنه، قال: فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثا.

باب « فى أنه تقع صدقة المؤمن فى يد الله — عز وجل — »

« عن عبد الله بن أبى قتادة المحاربى قال: سمعت عبد الله بن مسعود

(c) ketabton.com: The Digital Library

ـ رضى الله عنه ـ يقول : إن الصدقة تقع فى يد الله ـ عز وجل ـ قبل أن تقع فى يد السائل » .

باب « إثبات الأصابع لله ـ عز وجل ـ »

عن الحسن ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : دعوة كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكثر أن يدعو بها « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ : يارسول الله دعوة أراك تكثر أن تدعو بها ، قال : ما من آدمى إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن ـ عز وجل ـ فإذا شاء أن يقيمه أقامه ، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه » .

باب « إثبات الضحك لله ـ عز وجل ـ »

عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ قال ضحك الله ـ تعالى ـ من رجلين قتل أحدهما صاحبه ثم دخلا الجنة (قتل مشرك مسلما ثم أسلم ثم مات » .

باب « إثبات القدم لله ـ عز وجل ـ »

عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يلقى فى النار فتقول هل من مزيد حتى يضع رب العالمين فيها قدمه ، فتقول قط » .

باب « الدليل على أن القدم هو الرجل »

عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذا الحديث السابق الذكر وقال فيه حتى يضع الله ـ عز وجل ـ رجله فيها فتقول قط قط .

(c) ketabton.com: The Digital Library

باب «الهرولة لله ـ عز وجل ـ»

عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ قال: ـ قال الله عز وجل ـ أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا دعانى، إن تقرب منى شبرا تقربت منه زراعا، وإن تقرب منى زراعا تقربت منه باعا، وان جائنى يمشى جئته مهرولة».

باب «إثبات نزوله إلى سماء الدنيا»

حدث رفاعة بن عرابة ـ رضى الله عنه ـ قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «إذا مضى شطر الليل أو قال ثلثاه ينزل الله ـ عز وجل ـ إلى سماء الدنيا».

باب «رؤية النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربه ـ عز وجل ـ ليلة المعراج بعينيه رؤية يقظة»

عن عكرمة قال قال عباس ـ رضى الله عنه ـ : «وما جعلنا الرؤية التى أريناك إلا فتنة للناس»، قال هى رؤيا عين رآه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة أسرى به، وزاد عمر بن جعفر ليس رؤيا منام».

باب «رؤية المؤمنين ربهم ـ عز وجل ـ يوم القيامة عيانا»

عن جرير ـ رضى الله عنه ـ قال كنا مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سفر فنظر إلى القمر ليلة البدر «فقال: إنكم سترون ربكم ـ عز وجل عيانا كما ترون هذا».

(c) ketabton.com: The Digital Library

باب رؤيتهم إياه ـ عز وجل ـ فى الجنة »

عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قوله ـ عز وجل ـ : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، قال الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله ـ عز وجل ـ » .

باب « إثبات الكلام لله ـ عز وجل ـ » :

حدث محمد بن اسحق عن أبيه أن أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ قال عند وفاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقدنا الذى يوحى من عند الله ـ عز وجل ـ الكلام » .

باب « الدليل على أن كلام الله ـ عز وجل غير مخلوق »

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم ـ قال : من قال حيث تغيب الشمس أعوذ بكلمات الله التامات (١) من شر ماخلق لم يضر من ليلته شيء .

باب « بيان أن قلب المؤمن منشرح بنور الله »

عن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن الله تبارك وتعالى خلق خلقه فى ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطاه ضل .

هذا أهم ما أورده « عبدالله الأنصارى » من الأحاديث النبوية فى حق

---

(١) المراد بالكلمات التامة أن لاتكون مخلوقة ، إذ أن الخلق والحدوث يخالف من أن تكون تامات .

(c) ketabton.com: The Digital Library

مايصح أن ينسب إلى الله — تعالى — ويطلق عليه . أقول : لعل شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى . . قد ثبت عنده صحة هذه الأحاديث لكن مع هذا لايريد بها تأييد عقيدة المجسمة بل .

يثبت من هذا أنه لايجوز عنده أن يؤول المتشابه من الآيات بالرأى ، ولا أن يؤول النصوص الواردة فى أسمائه وصفاته بالتأويلات العقلية ؛ لأنه يعد هذا العمل خروجا عن طريق السنة والدين ، فلأجل ذلك شدد النكير على المؤولين والمتكلمين فى كتابه المسمى بـ « ذم الكلام وأهله » :وها أناذ اسأورد فيما يأتى أهم مطالب كتاب ذم الكلام وأهله

ومما يلزم أن أذكر أن « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » أورد فى كتابه « ذم الكلام وأهله » الأحاديث ، والآثار ، والروايات بالإسناد التام ، لكننى لأجل الاختصار سأذكر أهم مطالبه فى هذا الصدد من آخر السند فقط ، فعليكم بالدقه فيما يأتى : —

أخرج « شيخ الإسلام » حديث عائشة — رضى الله — عنها أنها قالت : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » أخرجه الشيخان قال « أبو مروان العثمانى » (١) يعنى البدع .

وقال « أبو عبيدة (٢) » جمع النبى — صلى الله عليه وسلم — جميع أمر الآخرة فى كلمة : من أحدث فى أمرنا ماليس منه فهو رد ، وجميع أمر الدنيا فى كلمة : إنما الأعمال بالنيات تدخلان فى كل باب .

---

(١) أبو مروان بن العثمانى : محمد بن عثمان بن خالد الأموى مات سنة (١٤١ هـ) .

(٢) أبو عبيد : مولى النبى — صلى الله عليه وسلم — .

(c) ketabton.com: The Digital Library

باب « لبيان أن الأمم السالفة إنما استقاموا على الطريقة ما اعتصموا بالتسليم والاتباع وأنهم لما تكلفوا وخاصموا اختلفوا وهلكوا » :

من حديث « أبي هريرة » مرفوعا : « إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم .

ومن طريق « عمرو » بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على أصحابه ذات يوم وهم يتراجعون فى القدر ، فخرج مغضباً ، حتى وقف عليهم ، فقال : يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم ، وضربهم الكتاب بعضه ببعض ، وأن القرآن لم ينزل لنضرب بعضه ببعض ، ولكن نزل القرآن فصدق بعضه بعضاً ما عرفتم منه فأعملوا به ، وما تشابه فآمنوا به .

عن « أبي هريرة » قال : خرج علينا رسول الله — صلى عليه وسلم — ونحن نتنازع فى القدر ، فغضب حتى احمر وجهه ، ثم قال : أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر عزمت عليكم أن لا تنازعوا » .

عن « أبي الدرداء »(١) ، و « أبي أمامة » ، و « أنس بن مالك » ، و « واثلة بن الأسقع » قالوا : خرج إلينا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ونحن نتنازع فى شيء من الدين ، فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله ، وقال : يا أمة محمد لا تهيجوا على أنفسكم وضح النهار ، ثم قال : أبهذا أمرتكم أو ليس عن هذا نهيتكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا

---

(١) أبو الدرداء : عويمر بن مالك بن قيس بن أمية صحابي — توفى سنة (٣٥ هـ) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ثم قال : ذروا المراء لقلة خيره ، ذروا المراء فإن نفعه قليل ويهيج العداوة بين الإخوان ، ذروا المراء فإن المراء لا تؤمن فتنة ، ذروا المراء فإن المراء يورث الشك ويحبط العمل ، ذروا المراء فإن المؤمن لا يمارى ، فكفى بك إثما أن لا تزال مماريا ، ذروا المراء فإن الممارى لا أشفع له يوم القيامة ، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات فى الجنة : فى وسطها ورياضها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ، ذروا المراء فإنه أول مانهانى الله عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ، ذروا المراء فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد ، ولكن رضى بالتحريش وهو المراء فى الدين ، ذروا المراء فإن بنى إسرائيل افترقوا على أحدى وسبعين فرقة الخ كلهم على الضلال إلا السواد الأعظم قالوا : يا رسول الله ومن السواد الأعظم ؟ قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابى ، ثم قال : إن الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء ، قالوا : يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس ، ولا يمارون فى دين الله .

عن زيد بن رفيع قال : بعث الله نوحا ، وشرع له الدين فكان الناس فى شريعة نوح فما أطفأها إلا الزندقة . ثم بعث الله موسى وشرع له الدين فكان الناس فى شريعة موسى فما أطفأها إلا الزندقة ، ثم بعث الله عيسى وشرع له الدين ، فما أطفأها إلا الزندقة ، قال زيد ابن رفيع : ولا يخاف على هذا الدين إلا الزندقة » .

عن « منصور بن المعتمر »(١) قال ما هلك أهل دين قط حتى يخلف فيهم الزنادقة .

---

(١) منصور بن المعتمر بن عبد الله أبو عتاب السلمى الكوفى من كبار التابعين توفى سنة (١٣٢ هـ) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

عن « عمر بن الخطاب » ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله » .

باب « شدة ماكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخاف على هذه الأمة من الأئمة المضلين والمجادلين فى الدين » :

عن « أبى جعفر » ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إنما يهلكون بعد البينات بالمحدثات المخالفات ، وتزيين الضالات المضلات، وبالأهواء المغريات ، وتحريف المحكمات » .

عن « أبى عمر » قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أشد ما أتخوف على أمتى ثلاث : زلة العالم ، وجدال منافق بالقرآن ، ودنيا تقطع أعناقكم فأخشوها على أنفسكم » .

عن « معاذ بن جبل » سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يقول : « إنى أخاف عليكم ثلاثاً وهى كائنة : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، ودنيا تعم عليكم » .

عن « عمر بن الخطاب » ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : « يهدم الإسلام ثلاث : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون » .

عن « عثمان بن أبى شيبة » أنه قال : فساق أصحاب الحديث خير من عباد غيرهم » .

باب « كراهية تشقيق الخطب وتدقيق الكلام والتكلم بالأغاليط » :

عن « أبى ذر » رضى الله ـ تعالى ـ عنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله

(c) ketabton.com: The Digital Library

عليه وسلم ـ : « إنكم اليوم فى زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه ، ويأتى من بعد زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه » .

عن « مجاهد » ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن الله لم يبعث نبياً إلا مبلغا ، وإن تشقيق الكلام من الشيطان » .

عن « معاوية » — رضى الله تعالى عنه — قال : « لعن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الذين يشققون الكلام تشقيق الشعر » .

عن « فاطمة الزهراء » — رضى الله تعالى عنها — قالت : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : شرار أمتى الذين يتشدقون فى الكلام » .

عن « سعد بن أبى وقاص » — رضى الله عنه — قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : فى هذه الأمة أقوام يتخللون الكلام كما تخلل الناقرة الخلا بألسنتها » .

عن « أبى هريرة » — رضى الله تعالى عنه رفعه وقال : ألا أخبركم بشرار هذه الأمة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون » .

باب « ذم الجدال والتغليظ فيه وذكر شؤمه » :

أخرج حديث « عائشة » مرفوعا : أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم « أخرجه » البخارى ، « وحدث أنس وكعب وابن عمر وجابر — رضى الله تعالى عنهم — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : من طلب العلم ليباهى به العلماء ، أو يمارى به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

عن « ابن مسعود » — رضى الله عنه — قال : لا تعلموا العلم لثلاثة : لتماروا به العلماء أو تجادلوا به السفهاء ، أو تصرفوا به وجوه الناس إليكم » .

باب « ذم اتباع متشابه القرآن والجدال به » :

عن « عائشة » رضى الله — تعالى — عنها قالت : تلا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هذه الآية : « هو الذى أنزل الكتاب » فقال : إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سمى الله ، فأحذروهم » .

عن « ابن عباس » — رضى الله عنه — فى قوله — تعالى — : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ » ، قال : هم أصحاب الخصومات والمراء فى دين الله » .

عن « أبى » قال : ما استبان لك فاعمل به وانتفع به ، وما شبه عليك فآمن به وكله إلى عالمه .

عن « جبير بن نعير » — رضى الله عنه — عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « لا تجادلوا بالقرآن ولا تكذبوا كتاب الله بعضه ببعض » فو الله أن المؤمن ليجادل به فيغلب » .

عن « إياس بن عامر » أن « على بن أبى طالب » — كرم الله وجهه — قال : إنك إن بقيت فسترى القرآن على ثلاثة أصناف : صنف لله ، وصنف للدنيا ، وصنف للجدال .

عن « عمر بن الخطاب » — رضى الله عنه — قال : إنه سيأتى قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله .

(c) ketabton.com: The Digital Library

عن « مسروق » قال : « ما أحد من أصحاب الأهواء إلا فى القرآن ما يرد عليهم ولكنا لانهتدى له .

باب « الوقوف عند السنة ، وذم الرأى والبدعة والتعمق[١] فى الدين » :

عن « أبى قلابة » قال : « إذا حدثت الرجل بالسنة » فقال : « دع هذا وهات كتاب الله » ، فاعلم أنه ضال » .

عن « قتادة » فى قوله : « من قبل أن يقضى إليك وحيه » قال : يبين لك بيانه » .

عن « حسان بن عطية » قال : « كان جبريل — عليه السلام — ينزل بالسنة ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن .

عن « إسماعيل بن عبيد الله » قال : « ينبغى لنا أن نتحفظ ماجاء عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فإنه بمنزلة القرآن .

عن « مجاهد » فى قوله — تعالى — « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول » قال : إلى كتاب الله وسنة رسوله » .

عن « بن مسعود » — رضى الله عنه — قال : « يأيها الناس إن الله بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه الفرقان ، وفرض عليه الفرائض ، وأمره أن يعلم أمته ، فبلغ رسالته ، ونصح لأمته ، وعلمهم مالم يكونوا يعلمون ، وبين لهم ما يجهلون فاتبعوه ، ولا تبتدعوا فقد كفيتم « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » .

---

(١) والمراد من التعمق التعمق الخارج عن حدود الشريعة .

(c) ketabton.com: The Digital Library

عن « سعيد بن المسيب »[١] قال : قام « عمر بن الخطاب » فى الناس فقال : « أيها الناس ألا إن أصحاب الرأى أعداء السنة أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها وتضلت منهم أن يعوها فعاندوا السنن برأيهم ، فضلوا وأضلوا كثيراً ، والذى نفس عمر بيده ما قبض الله نبيه ولا رفع الوحى عنهم ، حتى أغناهم عن الرأى ، ولو كان الدين يؤخذ بالرأى لكان أسفل الخف أحق بالمسح من ظاهره ، فإياكم وإياهم ، ثم اياكم وأياهم » .

عن « ابن عباس » — رضى الله عنه — قال : « إياكم والرأى فإن الله رد على الملائكة الرأى ، قال : إنى أعلم مالا تعلمون ، وقال لنبيه — صلى الله عليه وسلم — « لتحكم بين الناس بما أراك الله » ولم يقل بما رأيت .

عن « ابن عمر » قال : « قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة » .

عن « جابر » قال : « قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » .

عن « ابن سيرين » قال : « أول من قاس « إبليس » وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس » .

عن « الحسن » أنه تلا : « خلقتنى من نار وخلقته من طين » قال : قاس إبليس وهو أول من قاس » .

---

(١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب بن عمرو بن عابد بن عمران بن مخزوم القرشى مات بعد التسعين من الهجرة — وقد ناهز الثمانين .

(c) ketabton.com: The Digital Library

عن « أحمد بن حنبل » قال : سألت « الشافعى » عن القياس فقال ، عند الضرورات .

عن « أنس » ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ـ قال : من رغب سنتى فليس منى » .

عن « أبى هريرة » ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : من تشبه بقوم فهو منهم » .

باب « كراهية التنطع فى الدين والتكلف فيه والبحث عن الحقائق(١) وإيجاب التسليم » :

عن « قتادة »(٢) فى قوله ـ تعالى ـ : « وأمرنا لنسلم لرب العالمين » قال : فى خصومة علمها الله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه يخاصمون بها أهل الضلال .

عن « أنس » ـ رضى الله عنه ـ قال :قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن الله قال : » إن أمتك لا يزالون يتساءلون ما كذا ماكذا حتى يقولوا الله خلق كل شىء فمن خلق الله ؟ .

عن « أبى هريرة » ـ رضى الله عنه ـ قال : « قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا يزال الناس يتساءلون حتى يقول أحدهم هذا

---

(١) يعنى البحث عن الحقائق خارج حدود الكتاب والسنة أوعطف على كراهية التنطع .

(٢) قتادة ـ ابن النعمان بن زيد بن عامر الأنصارى الظفرى مات سنة ثلاث وعشرين ه .

(c) ketabton.com: The Digital Library

الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فإن سئلتم فقولوا الله قبل كل شيء ، وهو كائن بعد كل شيء ، وهو خالق كل شيء .

عن « أنس » ـ رضى الله عنه ـ أن رجلا سأل عمر بن الخطاب عن قوله ـ تعالى ـ « وأبا » ما الأب ؟ فقال نهينا عن التعمق والتكلف » .

عن « بن مسعود » قال : ما رأيت أحدا كان أشد على المتنطعين من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا من أبي بكر وعمر » .

عن رجل من الصحابة قال . نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ عن الأغلوطات ، قال الأوزاعى : يعنى شرار المسائل » .

عن « ابن مسعود » قال : إياكم وصعاب القول .

عن « الحسن » قال : « شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يعمون بها عباد الله » .

عن « معاذ بن جبل » قال : إياك والبدع والتبدع والتنطع ، وعليك بالأمر العتيق » .

عن « كثير بن عبد الله » عن أبيه عن جده عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قال « إنكم ما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله وإلى محمد » .

باب « مخافة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والسلف الصالح على من اشتغل بأقاويل أهل الكتاب ، وعلى من أكب على كتاب سوى كتاب الله ـ تعالى ـ علما منه بما هو كائن منهم من الكتب المضلة بعده » :

عن « عمران بن حصين »(١) أنه قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) عمران بن حصين بن عبد الله بن خلف الخزاعى مات سنة (٥٢هـ) بالبصرة .

(c) ketabton.com: The Digital Library

إن الحياء لا يأتى إلا بخير ، فقال بشير بن كعب : أنا نجد فى بعض الكتب إن منه سكينة ووقارا ومنه ضعفا فغضب عمران حتى احمرت عيناه ، وقال : أحدثك عن رسول الله وتحدثنى عن كتبك الخبيثة .

عن « حفصة » — رضى الله عنها — أنها جاءت إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — بكتاب من قصص يوسف فى كتف فجعلت تقرأ عليه والنبى — صلى الله عليه وسلم — يتلون وجهه ، فقال : والذى نفسى بيده لو أتاكم يوسف وأنا معكم فاتبعتموه وتركتمونى ضللتم » .

حدث « العرباض بن سارية »(١) قال « وعظنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الحديث وفيه فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » .

باب « ذكر أعلام المصطفى — صلى الله عليه وسلم — أمته كون المتكلمين فيهم » :

عن « أبى الدرداء » و « أبى ذر » قالا : لقد تركنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وما يقلب طير فى السماء جناحية إلا ذكر لنا منه علما » .

عن « أبى هريرة » — رضى الله تعالى عنه — قال : « قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لا تقوم الساعة حتى تكون خصوماتهم فى ربهم » .

---

(١) العرباض بن سارية السلمى أبو نجيح صحابى من أهل الصفة نزل « حمص » ومات بعد السبعين من الهجرة .

(c) ketabton.com: The Digital Library

عن المقدام بن معد يكرب ، قال : « قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بالذى يفزعهم ويشق عليهم » .

عن « على بن أبي طالب » قال : « قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — » إن من البيان سحرا ، وإن من الشعر حكما ، وإن من القول عيا وإن من طلب العلم جهلا » .

عن « الحكم بن عمير الثمالى » قال : « سمعت النبى — صلى الله عليه وسلم — يقول : « إن هذا القرآن صعب مستصعب لمن كرهه ميسر لمن تبعه ، وإن حديثى صعب مستصعب لمن كرهه ميسر لمن تبعه ، من سمع حديثى فحفظه وعمل به جاء يوم القيامة مع القرآن ، ومن تهاون بحديثى فقد تهاون بالقرآن ، ومن تهاون بالقرآن خسر الدنيا والآخرة ، أمر أمتى أن خذوا بقولى وأطيعوا أمرى واتبعوا سنتى ، لأن الله يقول : « وما أتاكم الرسول فخذوه » .

عن « ابن عمر » قال : قال « رسول الله صلى الله عليه وسلم — : « إياكم والركون إلى أصحاب الأهواء فإنهم بطروا النعمة ، وأظهروا البدعة ، وخالفوا السنة ، ونطقوا بالشبهة وتابعوا الشيطان » .

باب « فى ذكر أشياء من هذا الباب ظهرت على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :

عن « ابن عمر » رضى الله عنه ـ قال : « رأيت عبد الله بن أبى(١) يشتد قدام النبى — صلى الله عليه وسلم — والحجارة تنكبه وهو يقول » :

---

(١) ابن سلول رأس المنافقين فى المدينة — مات قبل وفاة النبى — صلى الله عليه وسلم — .

(c) ketabton.com: The Digital Library

يا محمد إنما كنا نخوض ونلعب ، والنبي — صلى الله عليه وسلم — يقول : « أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون » .

عن أنس رضى الله عنه ـ قال : أرسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرة رجلا من أصحابه إلى رأس من رؤوس المشركين يدعوه إلى الله ، فقال : له المشرك هذا الإله الذى تدعوا إليه ما هو؟ من ذهب هو أو فضة ، فأنزل الله صاعقة من السماء فأهلكته » .

عن « مجاهد »(١) — رضى الله عنه — قال : « جاء يهودى إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — فقال : يا محمد من أى شيء ربك ؟ أمن لؤلؤ هو ؟ فأرسل الله عليه صاعقة فقتلته ، ونزلت : « وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال » .

عن « أبى هريرة » — رضى الله عنه — أنه قال : « جاءوا إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — فسألوه عن شيء من أمر الرب فلعنهم » .

عن « ابن عمر » — رضى الله عنه — قال لنا عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فجاء رجل أقبح الناس ثيابا وأنتن الناس ريحا فتخطى رقاب الناس حتى جلس بين يدى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : من خلقك ؟ قال : الله ، فمن خلق السماء ؟ قال : الله ، فمن خلق الأرض ؟ قال . الله ، فمن خلق الله ؟ فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سبحان الله وأمسك بجبهته ، وقام الرجل فذهب ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على بالرجل فطلبناه فكأن لم يكن ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا إبليس جاء يريد أن يشككم فى دينكم .

---

(١) مجاهد بن جبير أبو الحجاج المخزومى ـ مات سنة واحد أو اثنين أو ثلاث و أربع ومائة هـ.

(c) ketabton.com: The Digital Library

باب « إنكار أئمة الإسلام ما أحدثه المتكلمون فى الدين من أصحاب الكلام والشبه والمجادلة على الطبقات » :

« الطبقة الأولى من صحابة رسول الله » — صلى الله عليه وسلم — وهم الذين قال الله — تعالى — فى حقهم : « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا » .

عن « على بن أبى طالب » — رضى الله عنه — قال : « يخرج فى آخر الزمان أقوام يتكلمون بكلام لا يعرفه أهل الإسلام ويدعون الناس إلى كلامهم ، فمن لقيهم فليقاتلهم ، فإن قتلهم أجر عند الله » .

عن « ابن عباس » - رضى الله عنه - فى قوله - تعالى : « وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا » قال : « هم أصحاب الخصومات والمراء فى دين الله » .

عن « ابن عباس » - رضى الله عنه - قال : « إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة خرج الشياطين من البحر ، كان سليمان حبسهم فى أشعار الناس وأبشارهم يحدثون الناس ليفتنوهم فاحذروهم » .

عن « طاووس » قال : إذا مضت سنة ثلاث وثلاثين ومائة ظهرت شياطين جزائر البحور فتهيأوا بهيئة العلماء فلا تأخذوا العلم إلا ممن تعرفون .

عن « عكرمة » أن « نجدة »(١) قال : لابن عباس كيف معرفتك بربك لأن من قبلنا اختلفوا علينا ، فقال : إن من ينصب دينه للقياس لا يزال الدهر فى التباس مائلا عن المنهاج طاعنا فى الإعوجاج ، اعرفه بما عرفه به نفسه من غير روية ، وأصفه بما وصف نفسه » .

(١) نجدة : بن عامر الحرورى الحنفى رئيس الفرقة المسماة بالنجدية - قتل سنة (٦٨ هـ) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

عن « عائشة » ـ رضى الله عنها ـ قالت : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا لم يعلم الشىء لم يقل برأيه ولم يتكلمه » .

عن « ابن مسعود « أن رجلا سأله عن شىء فقال : ما سألتمونا عن شىء من كتاب الله نعلمه أخبرناكم به ، أو سنة من نبى الله — صلى الله عليه وسلم — أخبرناكم ، ولا طاقة لنا بما أحدثتموه » .

عن « ابن عمر » قال : « إن القدرية حملوا ضعف رأيهم على مقدرة الله ، وقالوا لم ؟ ، ولا ينبغى أن يقال لله لم ؟ لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » .

الطبقة الثانية : وهم المتقدمون من فقهاء التابعين :

عن « الحسن » قال : « لا تجالس أصحاب الأهواء وإن ظننت أن عندك الجواب » .

عن « هشام » قال : « كان الحسن ومحمد يقولان ، لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تسمعوا منهم ولا تجادلوهم » .

من طريق « عبد الرازق » أخبرنا معمر قال : « كان ابن طاووس جالساً فجاء رجل من المعتزلة يتكلم ، فأدخل ابن طاووس أصبعه فى أذنيه ، وقال لابنه أى بنى أدخل أصبعك فى أذنك واسدد لا تسمع من كلامه شيئاً » .

عن « ابن الحنيفة » قال : « لا تجالسوا أصحاب الخصومات فإنهم يخوضون فى آيات الله » .

عن « عطاء بن رباح » فى قوله — تعالى — « إن الذين فارقوا دينهم » قال : هم أصحاب الخصومات وأهل البدع » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

عن « مجاهد » فى قوله – تعالى – : « ولا تتبعوا السبل » قال : البدع والشبهات » .

عن « عطاء » قال : « بلغنى أن فيما أنزل الله على موسى : « لا تجالسوا أهل الأهواء فيحدثوا فى قلبكم مالم يكن » .

عن « الحسن » : أهل البدع بمنزلة اليهود والنصارى » .

عن « مصعب بن سعد » قال : « لا تجالس صاحب بدعة ، إما أن يمرض قلبك فتتابعه ، وإما أن يؤذيك قبل أن تفارقه » .

الطبقة الثالثه :

عن « عمر بن عبد العزيز » أنه كتب إلى ابنه عبد الملك « ليكن علمك علم الله الذى أنزله على نبيه ، ودل فيه على محابه ومكارهه ، وعرف الناس فيه أمره ، ودعاهم إلى كتابه ، وهداهم إلى كرامته ، ووقاهم به بأسه ، وأوجب لهم به رضوانه ، وأنزلهم به أفضل منازل خلقه ، هو العلم الذى لم يجهل من علمه ولم يعلم من جهله ، فآثره على ما سواه وانته عن زواجره ، فإن ذلك يحق على من علمه ، واتبع طاعة الله فيما أوصى به ، هو نور الله الذى أنزل وهدى به أولياءه ، ومن لم يكن له حظ فيه لم ينتفع بشىء منه وكان فى ظلمة ما بقى فى دنياه » .

عن « أبى قلابة » قال : « لا تجالس أصحاب الأهواء فإنى لا آمن عليك أن يغمسوك فى ضلالتهم ويلبسوا عليك ما كنت تعرف » .

عن « إبراهيم النخعى » فى قوله ـ تعالى ـ « أفتمارونه » قال : « أفتجادلون وفى قوله – تعالى – « فأغرينا بينهما العداوة والبغضاء » ، قال : « أغرى بينهم الجدال والخصومات فى الدين » ، « وفى قوله – تعالى – « فليغيرون خلق الله » قال : « دين الله » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

عن « يحيي بن أبي كثير » قال : قال : « سليمان بن داود(١) لابنه : إياك والمراء فإنه ليس فيه منفعة وهو مورث العداوة بين الإخوان » .

الطبقة الرابعة :

عن « مالك » قال : « إياكم والبدع قيل : يا أبا عبد الله وما البدع ؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون فى أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان » .

عن « مالك » قال : « من طلب الدين بالكلام تزندق » .

عن « عبد الرحمن بن مهدى »(٢) قال : « دخلت على مالك وعنده رجل يسأله عن القرآن ، فقال : « لعلك من أصحاب عمر بن عبيد لعن الله عمرا فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام ، ولو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا فى الأحكام والشرائع ، ولكنه باطل يدل على باطل » .

عن « مالك » قال : « ما قلت الآثار فى قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء ولا قلت العلماء إلا ظهرت فى الناس الجفاء » .

عن « جعفر بن محمد »(٣) قال : « إذا بلغ الكلام إلى الله فامسكوا »

---

(١) سليمان بن داود أبو الربيع العتكى الزهرانى — توفى سنة (٢٣٤ هـ) (٨٤٨ م) .

(٢) « عبد الرحمن بن مهدى » بن حسان الحنبلى أبو سعيد النصرى مات سنة (١١٨ هـ) .

(٣) جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب أبو عبد الله المعروف بالصادق مات سنة (٢٤٨ هـ)

(c) ketabton.com: The Digital Library

وأخرج عنه أنه قال : تكلموا فيما دون العرش ولا تكلموا فيما فوق العرش ، فإن قوماً تكلموا فى الله فتاهوا » .

عن « سفيان الثورى » أن رجلا قال له أوصنى ، فقال : إياك والأهواء إياك والخصومة » .

عن « عبد الله بن داؤد الخريبى(١) قال : « سألت سفيان الثورى عن الكلام فقال : دع الباطل أين أنت عن الحق ، اتبع السنة ودع الباطل » .

عن « أبى إسحق الفزارى » قال : « قال الأوزاعى : اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل فيما قالوا ، وكف عما كفوا ، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما يسعهم ، ولو كان خيرا ما خصصتم به دون أسلافكم » .

عن « الأوزاعى » قال : « بلغنى أن الله إذا أراد بقوم شرا فتح عليهم الجدال ومنعهم العمل » .

عن « عائشة » و « معاذ بن جبل » و « أبى سعيد الخدرى » — رضى الله تعالى عنهم — قالوا : « قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام » .

عن « الفضيل بن عياض » قال : « من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه » .

عن « أبى عمر » قال : « قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من أعرض بوجهه عن صاحب بدعة بغضاً له ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ، ومن انتهر صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الأكبر ، ومن أعان على

---

(٢) عبد الله بن داؤد الخريجى أبو عبد الرحمن — مات سنة (٢٣٣ هـ) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

صاحب بدعة رفعه الله فى الجنة مائة درجة ، ومن سلم على صاحب بدعة ، أو لقيه بالبشر ، أو استقبله بما يسره فقد استخف بما أنزل الله على محمد - صلى الله عليه وسلم - » .

عن « شعبة » قال : « كان سفيان الثورى يبغض أهل الأهواء وينهى عن مجالستهم أشد النهى ، وكان يقول عليكم بالأثر ، وإياكم والكلام فى ذات الله تعالى - » .

عن « أحمد بن مهدى(١) قال : « سألت أبا جعفر النفيلى »(٢) عن الخوض فى الكلام ، فقال : سئل « الأوزاعى » عنه فقال : اجتنب علماً إذا بلغت فيه المنتهى نسبوك للزندقة ، عليك بالاقتداء والتقليد » .

عن « خصيب الجزرى » قال : مكتوب فى التوراة « لا تجالس أهل الأهواء فيدخل فى قلبك شيء من ذلك فيدخلك النار » .

الطبقة الخامسة :

عن « نوح الجامع »(٣) قال : قلت لأبى حنيفة - رحمة الله عليه - ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام فى الأعراض والأجسام ، فقال : مقالات الفلاسفة عليك بالأثر وطريقة السلف ، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة » .

---

(١) أحمد بن مهدى : أبو جعفر أحمد بن مهدى بن رستم الأصبهانى - توفى سنة (٢٧٢ ﻫ) .

(٢) أبو جعفر النفيلى عبد الله بن محمد بن على بن فضيل - مات سنة(١٣٤ﻫ) .

(٣) نوح الجامع بن أبى مريم أبو عصمة المروزى القرشى مشهور بكنيته ، ويعرف بالجامع لجمعه للعلوم - مات سنة (١٧٣ ﻫ)

(c) ketabton.com: The Digital Library

عن « أبي يوسف القاضي » قال : « من طلب الدين بالكلام تزندق » .

وعنه أنه قال : « العلم بالخصومة والكلام جهل ، والجهل بالخصومة والكلام علم » .

عن « ابن المبارك »(١) قال : الكذب للروافض والخصومة للمعتزلة ، والدين لأهل الحديث » .

عن « محمد بن الحسن » صاحب أبي حنيفة قال : « قال أبو حنيفة : لعن الله عمرو بن عبيد فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يعنيهم من الكلام ، قال : وكان أبو حنيفة يحثنا على الفقه وينهانا عن الكلام » :

الطبقة السادسة :

من طريق « يونس بن عبد الأعلى » قال : قال « الشافعي » : لا يقال للأصل لم ؟ ولا كيف ؟ إنما هو التسليم له » .

عن « أبي القاسم عثمان بن سعيد الأنماطي » قال : « سمعت المزني(٢) يقول : كنت أنظر في الكلام قبل أن يقدم الشافعي ، فلما قدم الشافعي أتيته فسألته عن مسألة في الكلام ، فقال لي : تدري أين أنت ؟ قلت : نعم أنا في المسجد الجامع بالفسطاط ، فقال له : أنت في « تاران » قال « أبو القاسم » : وتاران موضع في بحر القلزم لا تكاد تسلم منه سفينة ، ثم ألقى على مسألة من الفقه فأجبت فيه

(١) « ابن المبارك » : عبد الله المروزي — مات سنة (١٨١ هـ) .
(٢) إسماعيل بن يحيى المزني ـ مات عام (٢٦٤ هـ) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

فأدخل شيئاً أفسد جوابى ، فأجبت بغير ذلك ، فأدخل شيئاً أفسد جوابى ، فجعلت كلما أجبت بشيء أفسده ، ثم قال لى هذا الفقه الذى فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس يدخله مثل هذا ، فكيف الكلام فى رب العالمين ؟ الذى الزلل فيه كفر ، فتركت الكلام وأقبلت على الفقه » .

من طريق « عبد الله بن حنبل »(١) قال : « سمعت » محمد بن داود »(٢) قال : لم يحفظ فى دهر الشافعى كله أنه تكلم فى شيء من الأهواء ولا نسبه إليه ولا أعرف به مع بغضه لأهل الكلام والبدع .

عن « المزنى » أن رجلا سأله عن شيء من الكلام ، فقال : « أنى أكره هذا بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعى ، فلقد سمعت الشافعى يقول : سئل « مالك » عن الكلام والتوحيد ، فقال « مالك » محال أن نظن بالنبى — صلى الله عليه وسلم — أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد ، والتوحيد ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم — : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » فما عصم به الدم والمال حقيقة التوحيد » .

من طريق « الحسين بن إسماعيل المحاملى »(٣) قال : قال « المزنى » : سألت الشافعى عن مسألة من الكلام ، فقال : سلنى عن شيء إذا أخطأت فيه قلت أخطأت ، ولا تسألنى عن شيء إذا أخطأت قلت كفرت » .

---

(١) عبد الله بن أحمد بن حنبل : الشيبانى مات سنة (٢٩٦ هـ) .

(٢) محمد بن داود بن الجراح : أبو عبد الله ـ مات سنة (٢٩٠ هـ) .

(٣) الحسين بن إسماعيل المحاملى الضبي البغدادى ابن عبد الله ـ توفى سنة (٣٣٠ هـ) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

عن « محمد بن عبد الله بن الحكم »(١) قال : « قال لى « الشافعى » : يا محمد إن سألك رجل عن شيء من الكلام فلا تجبه فإنه إن سألك عن دية ، فقلت درهما أو دانقاً يقول لك : أخطأت ، وإن سألك عن شيء من الكلام ، فزللت يقول لك كفرت » .

عن « الربيع بن سليمان »(٢) قال : « سمعت » الشافعى « يقول : المراء فى الدين يقسى القلب ، ويورث الضغائن » ، وأيضاً عن « الربيع » قال : لى « الشافعى » يا ربيع أقبل منى ثلاثة أشياء : لا تخوض فى أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فإن خصمك النبى — صلى الله عليه وسلم — يوم القيامة ، ولا تشتغل بالكلام ، فإنى قد اطلعت من أهل الكلام على التعطيل ، ولا تشغل بالنجوم ، فإنه يجر إلى التعطيل » .

عن « محمد بن عبد العزيز الأشعرى » صاحب الشافعى قال ، قال « الشافعى » رحمه الله تعالى — « مذهبي فى أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط وتشريدهم من البلاد » .

عن « أبى ثور » و « الكرابيسى » و « الزعفرانى » قالوا : « سمعنا الشافعى يقول : حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجرائد ، ويحملوا على الإبل ، ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ، وينادى عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام » .

---

(١) ابن أعين المصرى مات سنة (٢٨٦ هـ) .
(٢) الربيع بن سليمان بن عبد الله الجبار المرادى أبو محمد البصرى مات سنة (٢٧٠ هـ) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

عن « محمد بن عبد الله بن عبد الحكم » سمعت الشافعى يقول : « لو علم الناس مافى الكلام لفروا منه كما يفرون من الأسد » .

عن « الزعفرانى » قال : « كان الشافعى يعتم بعمامة كبيرة كأنه أعرابى وبيده هراوة ، وكان أذرب الناس لسانا ، وكان إذا خيض فى مجلسه بالكلام نهى عنه ، وقال لسنا بأصحاب كلام » .

قال « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » : وقد استقصيت ذكر شدة كراهية « أحمد بن حنبل » للكلام والرأى ، وانكاره على أهلهما فى كتاب مناقبه » .

وأخرج عن « أبى عبد القاسم بن سلام »(١) أن رجلا قال له : ما تقول فى رأى أهل الكلام ؟ فقال : لقد دلك ربك على سبيل الرشد وطريق الحق ، وقال : « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله » الآية ، أما لك فيما دلك عليه ربك من كلامه وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — ما يغنيك عن الرجوع إلى رأيك وعقلك ؟ وقد نهاك الله عن الكلام فى ذاته وصفاته إلا حسب ما أطلقه لك » .

الطبقة السابعة :

عن « عثمان بن سعيد الدارمى » قال : « لا تكيف هذه الصفات ، ولا تكذب بها ، ولا تفسرها ، وعنه أنه قال : « ما خاض فى هذا الباب أحد ممن كانوا يذكرون إلا سقط . وأيضا قال : على تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا لا ينكرها منهم أحد ولا يمتنع من روايتها حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادى مات سنة (٢٢٤ هـ) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

رسول الله — برد فقالوا : كيف ؟ قلنا : لم نـكلف كيفيته فى ديننا ولا نعقله ، وليس كمثله شىء من خلقه فيشبه فعلا أو صفة بفعالهم وصفاتهم » .

عن « أبى عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجى »(١) أنه سئل عن الإيمان فقال : الواجب على جميع أهل العلم والإسلام أن يلزموا القصد للاتباع ، وأن يجعلوا الأصول التى نزل بها القرآن وأتت بها السنن من الرسول — صلى الله عليه وسلم — غايات للعقول ، ولا تجعلوا العقول غايات للأصول فإن الله ـ جل وعز ـ ورسوله صلى الله عليه وسلم — قد يفرق بين المشتبهين ، ويباين بين المجتمعين فى المعقول تعبدا وبلوى ومحنة ، ومتى ورد على المرء وارد من وجوه العلم لا يبلغه عقله أو تنفر منه نفسه وينأى عنه فهمه وتبعد عنه معرفته وقف عنده واعترف بالتقصير عن إدراك علمه وبالحسور عن كنه معرفته ، ويعلم أن الله ـ عز وجل ـ ورسوله صلى الله عليه وسلم ـ لو كشف عن علة ذلك الحادث وأبان وأوضح عن سببه وعن المراد من مخرجه لأدركته عقولنا ، ولو كان كل ما أتى به الحـكم من الله عز وجل .

والأمر بتعبده أتانا مـكشوفا بيانه موضحة علته لم تـكن للعباد بلوى ، ولا محنة وإنما المحن الغلاظ والبلوى الشديد للأمور والفروض التى لا تنكشف عللها ليسلم العباد بهـا تسليما ، ويقفوا عندها إيمانا ، ولولا ما وصفناه كان الذى سبق إليه فـكر العقول منا أن واجبا فى كل ما سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربه ـ عز وجل ـ أن يجيبه وأن ينزل عليه فيه شفاء ليزداد الناس به علما وللمـكوته فهما .

---

(١) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجى — توفى سنة (٢٩٠ هـ) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ولسنا نرى الأمر كذلك ، فقد سألوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وسأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربه ـ عز وجل ـ عن الروح ، فلما أجابه قال الله ـ تعالى ـ : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »(١)

وعلى ذلك خالف ربنا ما أنزل من شرائعه وأعلام دينه ومعالم فروضه وعباداته فى الأمم الخالية ، فأحل لطائفة ما حرمه على أمة ، وحرم على أمة ما أطلقه لغيرها من أمة ، وخالف بينهما فى أحكامها كالتوراة ، والانجيل ، والزبور ، والفرقان ، وصحف من مضى من الرسل ، ليسلم الموفق منهم لأمره ونهيه ، وينكص المخذول منهم على عقبيه نفارا من التفريق بين المجتمعين وعن الجمع بين المتفرقين ، وعلموا أن السلامة فيما أنزل عليهم فى الاتباع والتقليد لما أمروا به ، والاعراض عن طلب التكيف فيما أجمل لهم ، وعن الغلو والايغال فى التماس نهاياتها للوقوع على أقصى مداخلها ، وإذ كان الأمر كذلك لا يبلغ أبدا ، فان دون كل بيان بيانا وفوق كل متعلق غامض متعلق أغمض منه .

وإذا كان الأمر كذلك ، فالواجب الوقوف عند المستبهم منه ، ومن أجل ذلك أثنى الله ـ عز وجل ـ على الراسخين فى العلم بأنهم إذا أفضى ببعضهم الأمر إلى ما جهلوه آمنوا به ووكلوه إلى الله ـ عز وجل ـ ومن أجل ذلك ذم الله الغالين فى طلب ما زوى عنهم علمه وطوى عنهم خبره ، فقال : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون

---

(١) ١٧ - الاسراء (٩٠)

(c) ketabton.com: The Digital Library

ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب » ، ومن أجل بعض ما ذكرنا اشتدت الخلفاء المهديون على ذوى الجدل والكلام فى الدين ، وعلى ذوى المنازعات والخصومات فى الإسلام والإيمان ، ومتى نجم منهم ناجم فى دهر أطفأوه ، وأخمدوا ذكره ، وأنعموا عقوبته ، فمنهم من سيره إلى طرف ومنهم من ألزمه قعر محبس إشفاقاً على الدين من فتنته وحذاراً على المسلمين من خدعات شبهته ، كما فعله الإمام الموفق « عمر بن الخطاب » ـ رضى الله عنه ـ حين سأله « صبيغ » عن الذاريات ذرواً « وأشباهه ، فسيره إلى الشام وزجر الناس عن مجالسته ، وفعله أيضاً « على بن أبى طالب » ـ كرم الله وجهه ـ بعبد الله بن سبأ ، فسيره إلى المدائن » .

عن « أبى الجوزجانى » أنه سئل كيف الطريق إلى الله ؟ قال : « أصح الطريق وأعمرها وأبعدها من الشبه اتباع الكتاب والسنة قولا ، وفعلا ، وعزماً ، وعقداً ، ونية ؛ لأن الله — تعالى — قال : « وإن تطيعوه تهتدوا » فسأله : كيف الطريق إلى اتباع السنة ؟ قال : مجانبة البدع ، واتباع ما اجتمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام وأهله ، والتباعد من مجالس الكلام وأهله ، ولزوم طريقة الاقتداء والاتباع . بذلك أمر النبى - صلى الله عليه وسلم — بقوله : « ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً » .

عن « ابن أبى حاتم » قال : « كان أبى وأبو زرعة يقولان : من طلب الدين بالكلام ضل » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

عن « أبى العباس بن سريج » أنه سئل ما التوحيد؟ قال : « توحيد أهل العلم ، وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وتوحيد أهل الباطل الخوض فى الأعراض والأجسام ، وإنما بعث النبى — صلى الله عليه وسلم — بإنكار ذلك » .

عن « أحمد بن محمد بن أبى سعد » أنه قال : « من جلس للمناظرة على الغلبة فأوله جدال وصياح ، وأوسطه حب العلو على الخلق ، وآخره حقد وغضب . ومن جلس للمناصحة . فأول كلامه موعظة ، وأوسطه دلالة ، وآخره بركة » .

عن « أبى عمرو بن مطر » قال : « سئل ابن خزيمة » عن الكلام فى الأسماء والصفات فقال بدعة ابتدعوها ، ولم يكن أئمة المسلمين وأرباب المذاهب وأئمة الدين مثل مالك ، وسفيان ، والأوزاعى ، والشافعى ، وأحمد وإسحق ، ويحيى بن يحيى ، وابن المبارك ، ومحمد بن يحيى ، وأبى حنيفة ، ومحمد بن الحسن(1) ، وأبى يوسف(2) يتكلمون فى ذلك ، بل وينهون عن الخوض فيه ، ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة ، فإياك والخوض فيه والنظر فى كتبهم بحال .

عن « أبى بكر بن بسطام » قال . سألت « أبا بكر بن سيار » عن الخوض فى الكلام فنهانى عنه أشد النهى ، وقال عليك بالكتاب والسنة وما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين ، وتابعى التابعين ، فإنى رأيت المسلمين فى أقطار الأرض ينهون عن ذلك وينكرونه ، ويأمرون بالكتاب والسنة » .

---

(١) محمد بن الحسن الشيبانى — توفى سنة (١٨٩ هـ) .

(٢) أبو يوسف — توفى سنة (١٨٩ هـ) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

الطبقة الثامنة :

عن « أبى أشعث » قال : « قال رجــل لبشر بن أحمد أبى سهل الاسفرايني : إنما أتعلم الكلام لأعرف به الدين ، فغضب وقال : أو كان السلف من علمائنا كفاراً ؟ » .

عن « إبراهيم الخواص » قال : « ما كانت زندقة ، ولا كفر ، ولا بدعة ولا جرأة فى الدين إلا من قبل الكلام ، والجدال ، والمراء » .

الطبقة التاسعة :

قال : سمعت « محمد بن عمر » الفقيه أبا الفوارس يقــول : سمعت « سهل بن محمد الصعلوك » يقول : « أقل ما فى الكلام من الخسار سقوط هيبة الله من القلب » .

سمعت « منصور بن العباس » يقول : « ما أحصى ما سمعت « أبا الطيب » يقول : « أنهاكم عن الكلام وتعودون إليه والله الموعد » .

سمعت « يحيى بن عمار السهى » يقول : « العلوم خمسة : علم هو حياة الدين وهو علم التوحيد ، وعلم هو قوت الدين وهو العظة والذكر ، وعلم هو دواء الدين وهو الفقه ، وعلم هو داء الدين وهو أخبار فتن السلف ، وعلم هو هلاك الدين وهو علم الكلام » .

قال « شيخ الإسلام » رأيت « يحيى بن عمار » ما لا أحصى على منبر ينكر على أهل الكلام ، وكذلك رأيت « عمر بن إبراهيم » ومشايخنا يروون عن « الحسن بن أسامة المكى » قال : سمعت أبى يقول : لعن الله أبا ذريعى عبد بن أحمد الهروى ، فإنه أول من حمل الكلام إلى الحرم

(c) ketabton.com: The Digital Library

وأول من بثه فى المغاربة(١) » .

هذا هو أهم ما ذكره « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » فى كتابه « ذم الكلام وأهله » يتبين لنا منه أنه لا يجوز عنده أن يتكلم أحد فى ذات الله — تعالى — وصفاته ، أو المتشابه من الكتاب ، أو فى القضاء والقدر والروح والإيمان بما غاب عنا كلاماً يكون خارجاً عن حدود الكتاب والسنة ، فالقول الفاصل والحل الصحيح عنده فى هذه المسائل العويصة التسليم والانقياد إلى ما جاء فى الكتاب والسنة ، والحذر عن المباحثات التى تتسبب فى الريب ، والشك ، والزيغ .

فإذن البحث فى ذات الله — تعالى — وصفاته ، والبحث فى القضاء والقدر خارج حدود الكتاب والسنة حرام مطلقاً عنده ، ولا يرضى بالتأويلات العقلية التى جاءت من علماء الكلام فى المتشابهات القرآنية ولا يسمح لأحد أن يبحث فى المغيبات مثل الجنة ، والنار ، والملائكة خارج النصوص الواردة ، كما روى عن « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » فى كتابه « طبقات الصوفية » أنه قسم العلوم إلى ما يأتى :

١ — علم التوحيد .
٢ — علم الفقه والدين .
٣ — علم الوعظ .
٤ — علم التعبير .
٥ — علم الطب .
٦ — علم النجوم .
٧ — علم الكلام .
٨ — علم المعاش .
٩ — علم الحكمة .

(١) أخذت هذه النصوص من كتاب « ذم الكلام وأهله » الذى كان مخطوطاً فى الشريط رقم (٩٧) بالجامعة العربية وهى مطابقة للنصوص التى وردت فى كتاب « صون المنطق والكلام » ص (٣٣ — ٨٢) لـ « جلال الدين السيوطى » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

١٠ — علم الحقيقة . ثم علق عليها فقال : علم التوحيد حياة ، وعلم الفقه دواء ، وعلم الوعظ غذاء ، وعلم التعبير ظن ، وعلم الطب حيلة ، وعلم النجوم تجربة ، وعلم الكلام هلاك ، وعلم المعاش شغل عامة الخلق ، وعلم الحكمة مرآة ، وعلم الحقيقة حصول بالوجود الحقيق ، ثم أثبت كل هذه العلوم بالآيات ، وقال فى حق علم الكلام : قال الله ـ عز وجل ـ : « كذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً(١) » .

وقد أشار بذلك إلى أن مباحث علم الكلام تسببت فى ترك العمل بنصوص الكتاب والسنة فيخرج الناس عن الدائرة المحدودة للشرع ، ويعملون بما جاء فى الفلسفة فقط ، ويغترون بأنهم يستطيعون أن يصلوا بفكرهم إلى كل الحقائق .

قال « شيخ الإسلام » : قال « الإمام الشافعى » : « العلم بالكلام جهل والجهل بالكلام علم » ، ثم أجاز « عبد الله الأنصارى » البحث عن علم النجوم بقدر ما فيه مصالح الدين والمعاش ، ونهى عن مباحث علم النجوم التى ترتبط بالأوهام والخرافات(٢) .

---

(١) قرآن كريم من سورة الأنعام — ١١٢ — ج ٨ .

(٢) من كتاب طبقات الصوفية بالفارسية لـ « عبد الله الأنصارى » المطبوع فى كابل (١٣٤١ هـ ش) ص (١٦ — ١٨) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

التعليق الخاص على الاختلافات والمناقشات

التي تتعلق بالعقائد الإسلامية وعلم الكلام وعلى الآراء لـ « عبد الله الأنصارى » فى هذا الشأن

قسم « ابن تيمية » طرق العلماء فى فهم العقائد الإسلامية إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : الفلاسفة ، وهؤلاء يقولون : « القرآن جاء بالطريقة الخطابية والمقدمات الإقناعية التى تقنع الجمهور ، ويدعون أنهم هم أهل البرهان واليقين ، والعقائد طريقها البرهان واليقين » .

والقسم الثانى : المتكلمون « أى المعتزلة » ، وهؤلاء يقدمون القضايا العقلية قبل النظر فى الآيات القرآنية ، فهم يأخذون بالنوعين من الاستدلال . ولكن يقدمون النظر العقلى على الدليل القرآنى ، فيؤولون القرآن على مقتضى العقل ، وإن كانوا لايخرجون عن عقائد القرآن .

والقسم الثالث : طائفة من العلماء تنظر إلى ما فى القرآن من عقائد فتؤمن به ، وبما فيه من أدلة « فتأخذه لا على أنه أدلة هادية مرشدة موجهة للعقل ؛ ليلتمس المقدمات من بينها ، بل على أنها آيات اخبارية يجب الإيمان بما اشتملت عليه من غير أن يتخذ مضمونها مقدمة للاستنباط العقلى .

والقسم الرابع : يؤمن بالقرآن - عقائده وأدلته - ولكنه يستعين بالأدلة العقلية بجوار الأدلة القرآنية[1] .

---

(١) أصل النص من رسالة « معارج الوصول » لـ « ابن تيمية » وورد فى كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية ص (٢٢٦ - ٢٢٧) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

وبعد هذا التقسيم قرر «ابن تيمية» أن منهاج السلف ليس واحدا من هذه الأربعة، بل هو غيرها، لأن العقائد لاتؤخذ إلا من النصوص، ولا تؤخذ أدلتها أيضاً إلا من النصوص، فهؤلاء لايؤمنون بالعقل لأنه، يضل، ولكن يؤمنون بالنص وبالأدلة التى يومىء إليها النص، لأنه وحى أوحى به إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - ويقررون أن تلك الأساليب العقلية مستحدثة فى الإسلام، ولم تكن معروف قطعا عند الصحابة والتابعين، فإذا قلنا أنها ضرورية لفهم العقائد فيؤدى ذلك أن هؤلاء السلف ما كانوا يفهمون العقائد على وجهها، ولا يدركون على الوجه الأكمل أدلتها».

لاشك أن السلف كما كتب «ابن تيمية» ومثلما قرأنا سابقا فى نصوص كتاب «ذم الكلام» مخالفون عن الاشتغال فى المسائل العويصة الكلامية، لكن مع هذا جاء كثير من علماء الإسلام فشددوا النكير على هذا الرأى.

كتب «سعد الدين التفتازانى»(١) فى كتابه «شرح العقائد النسفية» مايأتى: «اعلم أن الأحكام الشرعية منها مايتعلق بكيفية العمل، وتسمى فرعية وعملية، ومنها ما يتعلق بالاعتقاد، وتسمى أصلية واعتقادية، والعلم المتعلق بالأولى يسمى علم الشرائع والأحكام، لما أنها لاتستفاد إلا من جهة الشرع ولا يسبق الفهم عند اطلاق الأحكام إلا إليها، وبالثانية علم التوحيد، والصفات لما أن ذلك أشهر مباحثه وأشرف

---

(١) سعد الدين التفتازانى. هو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى — وقد ولد فى صفر سنة (٧٢٢ هـ — ١٣٢٢ م) فى تفتازان من قرى «خراسان» تلقى العلم على «الايجى» و «قطب الدين الرازى» وتوفى فى سمرقند «فيمابين سنتى (٧٩١ و ٧٩٧ هـ وسنتى ١٣٨٩ و ١٣٩٥ م).

(c) ketabton.com: The Digital Library

مقاصده . وقد كان الأوائل من الصحابة والتابعين - رضوان الله عليهم أجمعين - لصفاء عقائدهم ببركة صحبة النبي - عليه السلام - وقرب العهد بزمانه ، ولقلة الوقائع والاختلافات وتمكنهم من المراجعة إلى الثقات مستغنين عن تدوين العلمين وترتيبهما أبوابا وفصولا وتقرير مباحثهما فروعا وأصولا إلى أن حدثت الفتن بين المسلمين ، وغلب البغي على أئمة الدين ، وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء ، وكثرت الفتاوى والواقعات والرجوع إلى العلماء فى المهمات ، فاشتغلوا بالنظر والاستدلال والاجتهاد والاستنباط ، وتمهيد القواعد والأصول ، وترتيب الأبواب والفصول ، وتكثير المسائل بأدلتها ، وإيراد الشبه بأجوبتها ، وتعيين الأوضاع والاصطلاحات ، وتبين المذاهب والاختلافات ، وسموا ما يفيد معرفة الأحكام العلمية عن أدلتها التفصيلية بالفقه ، ومعرفة العقائد عن أدلتها بالكلام . . .

وهذا هو كلام القدماء ، ثم لما نقلت الفلسفة إلى العربية ، وخاض فيها الإسلاميون حاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة فخلطوا بالكلام كثيرا من الفلسفة ليتحققوا مقاصدها فيتمكنوا من إبطالها ، وهلم جرا ، إلى أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيات والإلهيات ، وخاضوا فى الرياضيات حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات ، وهذا هو كلام المتأخرين .

وبالجملة هو أشرف العلوم لكونه أساس الأحكام الشرعية ، ورئيس العلوم الدينية ، وكون معلوماته العقائد الإسلامية ، وغايته الفوز بالسعادة الدينية والدنيوية ، وبراهينه الحجج القطعية المؤيدة أكثرها بالأدلة السمعية ، وما نقل عن بعض السلف من الطعن فيه والمنع عنه فإنما هو للمتعصب فى الدين والقاصر عن تحصيل اليقين ، والقاصد إفساد عقائد

(c) ketabton.com: The Digital Library

المسلمين والخائض فيما لا يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين ، وإلا فكيف يتصور المنع عما هو أصل الواجبات وأساس المشروعات ؟ (١) .

يثبت مما كتب « سعد الدين التفتازانى » ضرورة الاشتغال بعلم الكلام ، ويؤيد ضرورة الاشتغال بعلم الكلام ما ذكره « الغزالى » من المباحثة التى دارت بين « أحمد بن حنبل » ، و « الحارث المحاسبى » (٢) وهى مايأتى : أنكر « أحمد بن حنبل » « على » الحارث المحاسبى تصنيفه فى الرد على المعتزلة ، فقال الحارث : « الرد على البدعة فرض » ، فقال أحمد : « نعم ، ولكن حكيت شبهتهم أولا ، ثم أجبت عنها ، فبم تأمن أن يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب أو ينظر إلى الجواب ولا يفهم كنهه ؟ ، ثم علق « الغزالى » على رأى « أحمد » فقال : « وما ذكره « أحمد » حق ، ولكن فى شبهة لم تنتشر ولم تشتهر ، فأما إذا انتشرت فالجواب عنها واجب ، ولا يمكن الجواب عنها إلا بعد الحكاية » (٣) .

---

(١) من كتاب « شرح العقائد النسفية » ص (٧ — ١٤) .

(٢) قال « القشيرى » فى حق « الحارث المحاسبى » : « عديم النظير فى زمانه علما وورعا ومعاملة وحالا ، بصرى الأصل مات بـ « بغداد » سنة (ثلاث وأربعين ومائتين) ، وقال « أبو عبدالله بن خفيف » : « اقتدوا بخمسة من شيوخنا والباقون سلموا لهم حالهم . « الحارث بن أسد المحاسبى » و « الجنيد بن محمد » ، و « أبى محمد رويم » ، و « أبى العباس بن عطاء » ، و « عمر بن عثمان المكى » ، لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق ، ومما روى عنه قوله : « من صحح باطنه بالمراقبة والاخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة » ، وقد ألف كتبا كثيرة ، ويوجد بعضها مخطوطات فى « دار الكتب المصرية » ، وفى مكتبة « الجامعة العربية » ، وأنفس مايعرف من كتبه « كتاب الرعاية لحقوق الله » ، وقد طبعته الآنسة « مرجريت سميث » ، وقد طبع له كتاب « التوهم » بالقاهرة .

(٣) من كتاب « المنقذ من الضلال لحجة الاسلام الغزالى » ص (٥٠ - ٥١) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

قال « الغزالى »(١) فى حق مقصود علم الكلام ما يأتى : « وإنما مقصوده : حفظ عقيدة أهل السنة « وحراستها عن تشويش أهل البدعة ، فقد ألقى الله - تعالى - إلى عباده على لسان رسوله عقيدة هى الحق على مافيه صلاح دينهم ودنياهم ، كما نطق بمعرفته القرآن الكريم والأخبار ، ثم ألقى الشيطان فى وساوس المبتدعة أموراً مخالفة للسنة ، فلهجوا بها ، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها ، فأنشأ الله - تعالى - طائفة المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة ، فمنه نشأ الكلام وأهله ، فلقد قامت طائفة منهم بما ندبهم الله - تعالى - إليه فأحسنوا الذب عن السنه والنضال عن العقيدة بالقبول من النبوة والتغيير فى وجه ما أحدث من البدعة » (٢)

يتبين لنا منه أن « الغزالى » لم يكن مخالفا لعلم الكلام حتى أنه مع شدته فى الرد على الفلاسفة ومعاداة الفلسفة لم يبلغ فى ذلك مبلغ من أن يرد الفلسفة جملة ويحرم الاشتغال بها من غير تفصيل ، وهو يذكر فى كتابه « تهافت الفلاسفة » : « أن الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق ثلاثة أقسام : قسم يرجع النزاع فيه إلى اللفظ ، وقسم لايصدم مذهبهم فيه أصلا من أصول الدين ، والقسم الثالث ما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين كالقول فى حدوث العالم ، وصفات الصانع ، وبيان حشر الأجساد والأبدان ، ثم قال « فهذا الغش ونظائره هو الذى ينبغى

---

(١) ولد أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى سنة (٤٥٠ هـ) فى « طوس » - إحدى مدن « خراسان » ، وتوفى فى « طوس » فى الرابع عشر من جمادى الثانية - سنة (٥٠٥ هـ) .

(٢) من كتاب « المنقذ من الضلال » ص (١٩ — ٢٣) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ماعداه»(١).

وقد حكى «الغزالي» عن نفسه وقال: «ولم أزل فى عنفوان شبابى — منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن، وقد أناف السن على الخمسين — أقتحم لجة هذا البحر العميق، وأخوض غمرته خوض الجسور لاخوض الجبان الحذور، وأتوغل فى كل فرقة، واستكشف أسرار مذهب كل طائفة؛ لأميز بين محق ومبطل، ومتسنن ومبتدع، لا أغادر باطنيا إلا وأحب أن أطلع على بطانته، ولا ظاهريا إلا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته، ولا فلسفيا إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته، ولا متكلما إلا وأجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته، ولا صوفيا إلا وأحرص على العثور على سر صفوته، ولا متعبدا إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته، ولا زنديقا معطلا إلا وأتحسس وراءه للتنبيه لأسباب جرأته فى تعطيله وزندقته.

وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبى وديدنى — من أول أمرى وريعان عمرى — غريزة وفطرة من الله وضعتا فى جبلتى، لا باختيارى وحيلتى حتى انحلت عنى رابطة التقليد، وانكسرت على العقائد الموروثة — على قرب عهد من الصبا»(٢).

ومما يناسب أن أذكره وألفت نظر القارئين الكرام هو أنى منذ ست وعشرين سنة أقرأ كتب المنطق والفلسفة والكلام والتصوف، وبجانبها كتب التفسير والأحاديث والفقه والأصول، وأنظر فيما جاء فى هذه الكتب، وقد بحثت كثيرا فى المسائل العويصة مع الأساتذة

---

(١) من كتاب «تهافت الفلاسفة» ص (٧٧ - ٧٩) طبع دار المعارف بمصر.

(٢) من كتاب «المنقذ من الضلال» ص (١٢ - ١٣) طبع مكتبة الأنجلو المصرية.

(c) ketabton.com: The Digital Library

العظماء إلى درجة أنى كلما اقرأ كتاب «الاشارات» و «التنبيهات» لـ «ابن سينا» والشروح المكتوبة عليه ، وكتاب «شرح المواقف» وشروحه أجد لذة من قراءتها ومن الدقة فيها ، فهذا الحب واللذة هيجنى إلى أنى كنت أدرس كتاب شرح المواقف ، وشرح شرح المواقف ، والكتب الكثيرة الأخرى مثل شرح «العقائد النسفية» ، و «الخيالى» مرارا وألفت كتابا فى العقائد موضوعه . «إثبات الله وصفاته بالدلائل العقلية ، ومسألة القضاء والقدر ، والحاجة إلى الأديان السماوية بالدلائل العقلية والضرورية ، والحاجة إلى إرسال الرسل بالأداة المنطقية ، وأقر بانى كثيرا ما شغفنى حب هذه العلوم ولكن حينما قرأت كتب الغزالى خصوصا كتابه «تهافت الفلاسفة» حصل عندى الشك فيما يتعلق بالفلاسفة والمنطق كثيرا وبعلم الكلام فى بعض المباحث .

ثم حينما قرأت «تهافت التهافت» لـ «ابن رشد» أدهشنى ، فهذا الشك والدهشة دفعانى إلى أن أقرأ هذين الكتابين مرارا بكمال الدقة حتى وصلت بفضل من الله ـ تعالى ـ إلى النتيجة وهى : «أن الباعث على أن يكتب» «الغزالى» كتاب «تهافت الفلاسفة» حماية دين الإسلام من تلاعب بعض الفلاسفة بالآراء السماوية والإسلامية ، فهو بتأيد من الله ـ تعالى ـ استطاع أن يكسر شأن الفلاسفة الذين اتبعهم أكثر الناس.

كما قال «الغزالى» فى كتابه «تهافت الفلاسفة» : إنما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة كسقراط (١) ، و «بقراط» (٢) ، و «أفلاطون (٣)» .

---

(١) فيلسوف يونانى ولد عام (٤٧٠ ق ـ م ٠) .

(٢) هو يعد أبو الطب القديم ولد عام (٤٦٠ ق ـ م ٠) .

(٣) فيلسوف يونانى ولد بأثينا فيما يرجع بين سنتى (٤٢٩ ، ٤٢٧ ق ـ م ٠).

(c) ketabton.com: The Digital Library

و « أرسطو طاليس » (١) ، وأمثالهم (٢) من غير التدقيق فيما قالوا ، وقد ثبت عندى أن « الغزالى » قد قدم للإسلام والمسلمين خدمة عظيمة ، وان آراءه ودلائله فى الرد على الفلاسفة آراء تصدر من فكره الصافى ومعلوماته الواسعة ودقته العميقة فى البحث عن الحقائق ، وابن رشد وإن كان لا ينبغى لى أن أنكر من علمه وفضله شيئا لكنه لا شك أنه انحرف فى بعض ما كتب فى كتابه « تهافت التهافت » عن الحق .(٣)

ويا ليت واحدا من العلماء المحققين يقوم بالمقارنة العميقة بين آراء « الغزالى » وآراء « ابن رشد » ثم يكتب على « تهافت التهافت » لـ « ابن رشد » كتابا يسميه كتاب « تهافت تهافت التهافت » ، ويشرح بالدلائل أخطاء « ابن رشد » فى تهافته ، لعل بعض من يتحمس لـ « ابن رشد » يسخر من هذا الاقتراح ، لكن أنا أقول : إن قول « ابن رشد » ليس هو قولا أخيراً فى العلم ؛ إذ قد ثبت أن العلم لا يقبل الكلمة الأخيرة عند الناس .

هذا هو حاصل الانطباع الذى حصل عندى من مطالعة كتب « الغزالى » و « ابن رشد » ، ثم لما قرأت الآراء الكلامية عموما ، وقارنتها بآراء السلف الصالحين ، وقرأت آراء شيخ الإسلام « عبد الله الأنصارى » ، وما ورد فى كتابه « ذم الكلام وأهله » ، وأمعنت النظر فيها وقع بين أفكارى التضارب الشديد ، وحصل عندى بعض الاشتباهات والشكوك

---

(١) فيلسوف يونانى ولد بأسطا جيرا عام (٣٨٤ ق ٠) .

(٢) من كتاب « تهافت الفلاسفة » « للغزالى » ص (٧٢) .

(٣) وقد ثبت عندى أن الغزالى رد على الفلاسفة معتقداً بأن العقل لا يستطيع الوصول إلى كنه حقائق ماوراء الطبيعة وأن ابن رشد مع أنه رد على الغزالى وايد الفلاسفة إلا أنه لم يستطع الوصول إلى كنه هذه الحقائق .

(c) ketabton.com: The Digital Library

والتردد ، فجلست فى بيتى ثمانية أشهر قرأت فيها كثيراً من كتب الفلسفة والكلام وفكرت ليلا ونهاراً فى كثير من المعضلات الفلسفيه والكلامية ، وفى الأسباب التى دفعت السلف والخلف إلى الاختلاف فيما دار بينهم خصوصا حول علم الكلام بجوازه ومنعه ، وكثيراً ما طلبت المعاونة من الله ـ جل جلاله ـ فى الوصول إلى الحق حتى أنى وصلت بعد كثرة المطالعة والدقة فى الآراء الكلامية لـ « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » وغيره إلى الحل الآتى :

« حل مشكلة البحث فى الآراء الكلامية عندى » :

لما قرأت آراء « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » التى تتعلق بالكلام وقارنتها بالآراء الكلامية الموجودة فى عصره وصلت إلى النتيجة الآتية : وهى أن « شيخ الإسلام » أوجب الانقياد والتسليم فى المسائل الاعتقادية والمسائل التى فوق عقل البشر لما جاء فى الكتاب والسنة ، فهو لا يرضى أن يزيد بالعقل شيئاً ما على النص ، ولا أن يأخذ من العقل عملا غير توضيح ما جاء فى النص ؛ لأن العقل قاصر عما هو خارج عن دائرة النص ، فلا يعتمد على العقل فى الوصول إلى الأسرار الاعتقادية ، ولا إلى أسرار المسائل التى فوق طاقة عقل البشر.

لا شك أن هذا المنهج سليم وخال من الخطأ والزلل ، إذ قد أيده السلف ، أما فى المسائل الفرعية فقد ثبت أن الأدلة عند « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » عبارة عن الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والقياس، فهو أولا يثبت المدعى بالكتاب ، فإذا لم يوجد لها الأساس فى الكتاب، فقد يثبتها بالسنة ، ثم بالإجماع ، ثم بالقياس بأركانه وشرائطه المحدودة عند الأئمة . لكن هو يرجح الأركان والشرائط للإمام « أحمد » و « الإمام

(c) ketabton.com: The Digital Library

الشافعی » ، وقد ثبت عند « شيخ الإسلام » أن أكثر الإختلافات التی جاءت من الشيعة ، والخوارج ، والمعتزلة ، والأشاعرة ، والماتريدية ، وأيضاً أكثر المحاولات التی نشأت من علماء المسلمين فی إثبات المسائل الاعتقادية والمسائل التی فوق علم البشر ، وأكثر التأويلات التی صدرت منهم بالعقل والفلسفة كل هذا انحرافات عن الصراط المستقيم وخروج عن الدائرة المحدودة فی الشرع المبين .

فإن قيل : إذا وجد شخص يكون مخالفا للإسلام والأديان السماوية فهو طبعا لا يقبل الدلائل النقلية التی جاءت فی إثبات الله — تعالى — وصفاته ، وما جاء فی القضاء والقدر والاخبار عن المغيبات ، فكيف يستطيع علماء المسلمين اقناعه ومنع انتشار تضليلاته ؟ .

أقول فی الجواب إن ما جاء فی النص من الدلائل المعقولة لاقناع الخصم كفاية ؛ إذ لا يستطيع أحد أن يجیء بدلائل معقولة أخرى تكون أحسن من الدلائل المعقولة التی جاءت فی القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، وأقوال الصحابة ، فمن لا يقنع بتلك الدلائل لا يمكن أن يقنع بآلاف من الدلائل الأخرى ، فإذن يلزم لاقناع الخصم الذی لا يقبل الدلائل النقلية أن لا نقول له قال الله - تعالى - كذا أو قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، بل ينبغی أن نشرح له أصل الدلائل المعقولة التی جاءت فی النص ، ونقرب بها إلى ذهنه . فمثلا نأخذ بمفهوم الدليل الذی جاء فی آية « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » ، وكذا مفهوم الاستدلالات القوية الرائعة الكثيرة الأخرى لإثبات الله — تعالى — وصفاته ، وهذا النوع من الشرح والتوضيح والنهج المعقول لافهام الدلائل المنصوصة لا يخالفه أئمة المسلمين :

(c) ketabton.com: The Digital Library

من أمثال الإمـــام «أبى حنيفة» ، والإمام «مالك» ، والإمام «الشافعى» ، والإمام «أحمد بن حنبل» ، وكذلك لا يخالف هذا المنهج «الغزالى» ، و «ابن تيمية» ، وغيرهم من علماء المسلمين »

فإن قيل . إن القرآن الكريم يهتم بالتعقل والتدبر ، ومن يقرأ القرآن الكريم يجد فيه كثيراً «أفلا تعقلون» «أفلا يتدبرون» ، وأن النظر إلى الكون ، وإلى ما فى الكون من الآيات والدلائل هو من المبادىء والأسس التى يهدى الله — جل شأنه به الناس ، فإذن يلزم علينا أن نجىء بالدلائل العقلية الأخرى لإثبات المسائل الاعتقادية غير ما جاء فى النص .

أقول فى الجواب . التعقل والتدبر فى الدلائل المعقولة التى جاءت فى النص أحسن طريق لاقناع الخصم ، وقد ثبت أن كل تدبر ، وتعقل إذا لم يكن مخالفا للنصوص ، بل يكون مؤيدا لهـــا هو أيضاً عمل بالنصوص ، لكن يلزم أن يكون البحث والدقة فى الدلائل المعقولة بنحو لا يخرج عن حد الاعتدال ، وبحيث لا يفضى إلى زعزعة العقائد خصوصا لعامة الناس ، إذ لا يمكن أن يصل أحد إلى كنه الله — تعالى — وأن جميع ما جاء من الاستدلالات هى استدلالات من المعول على العلة ، وأيضاً لا يمكن أن نعرف حقيقة القضاء والقدر حق المعلوفة خارج حدود النص .

وقد ثبت عندى أن أئمة الإسلام وعلماءه الذين اشتهروا بمخالفتهم لعلم الكلام لم يكونوا مخالفين فى أن يقنع علماء المسلمين خصومهم فى المسائل الاعتقادية بالدلائل المعقوله ، إلا أنهم فكروا وتعمقوا ، فعرفوا أن أحسن الطرق لاقناع الخصم هو توضيح الدلائل المعقولة التى جاءت

(c) ketabton.com: The Digital Library

فى النص لإثبات المسائل الاعتقادية ، لأن الخروج عن هذه الدائرة يفضى إلى ضياع الوقت ، ويتسبب فى زعزعة العقائد ، ويؤدى إلى الإلحاد . . . .

فإن قيل هل يجوز لعلماء المسلمين أن يعرفوا الردود المضللة للمخالفين أم لا ؟ ولو قلنا : نعم فحينئذ يكون هذا العمل خروجا عن دائرة الدلائل المنصوصة ، ولو قلنا : لا ، فكيف يستطيع علماء المسلمين إقناع الخصوم ودفع تضليلاتهم ؟ .

أقول فى الجواب : نعم ، لكن ليس التعرف بردود المخالفين وتضليلاتهم خروجا عن دائرة الدلائل المنصوصة ، بل لأجل الدفاع عن الدلائل المنصوصة ، ولأجل أن يتعرف علماء المسلمين على تضليلات المخالفين ؛ لكى يردوها بالدلائل المعقولة الثابتة التى جاءت فى النص ، وهذا مما لا يخالفه أئمة المسلمين من القدماء والمتأخرين .

ومما يلزم ذكره هو أن طريق الاستفادة من الدلائل المعقولة التى جاءت فى النصوص يمكن أن يتغير ويتجدد فى الأزمان والظروف والشرائط بحيث لا يتغير الأصل الثابت فى النص ، فهذا النوع من التجدد والتغير فى الحقيقة هو التجدد فى طريق الاستفادة والمنهج ، وليس هو تغيرا وتجددا فى أصل الدلائل المنصوصة المعقولة الثابتة ، فيجوز لعلماء المسلمين أن يكلموا الناس ، على قدر عقولهم ، وأن يعبروا بأسلوب يصلون به لما يرام بحيث يتسبب فى تحكيم عقائد المسلمين ، ويرد به شبهات المضللين والمخربين وهذا هو مما اتفق عليه أئمة المسلمين .

أما التوغل فى المسائل الكلامية ، والمحاولة الفاشلة فى الوصول

(c) ketabton.com: The Digital Library

إلى كنه ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقية) ، والاشتغال بمباحث ما قيل وقلنا من الشبه . والأجوبة المتوهمة . والخيالية فهذا لا شك يتسبب فى ضياع الوقت وزعزعة العقائد ، ويتولد منه الأخطار الخطيرة . . . . ، ولو سلمنا أنه تدريب لتقوية الأذهان وتهيؤ للمدافعة عن الإسلام ، فنقول أولا التدريب والتهيؤ الذى يحصل من الآيات والأحاديث لايساويه تدريب ولا تهيؤ آخر ، وثانيا نقر بجوازه لكن لا بدرجة التوغل ، ولا لجميع المسلمين ، ولكل علماء المسلمين بل بقدر الضرورة للعلماء الذين عندهم قوة الذكاء والخبرة والإيمان .

ومما يلزم أن أذكر هو أنه حصل عندى من كثرة التفكير ، والبحث ، والدقة فى هذا المجال أفكار متنوعة مهيجة أخرى ، ألخصها فى الأسئلة والأجوبة الآتية : —

الأسئلة :

١ ـ هل العقل يستطيع أن يصل إلى كل الحقائق أولا ؟

٢ ـ هل التسليم والانقياد ضروى فى الإسلام أولا ؟ فلو كان ضروريا فإلى أى درجة ؟

٣ ـ هل المباحثات والاختلافات التى جاءت فى علم الكلام يوجد لها جواز فى الشرع أولا ؟ .

٤ ـ هل نحتاج فى عصرنا الحاضر إلى أن يكون فى ضمن علماء الإسلام علماء لهم قوة الإيمان والعقيدة فيفهموا كتب الفلسفة ، والمنطق ، والكلام حتى يكونوا كالحارسين ليحفظوا الدين الإسلامى من زيغ الزائغين ؟ .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٥ ـ كيف وبأى طريق نستطيع أن نفهم الناس أنهم محتاجون فى حياتهم ومعادهم إلى مبادىء الإسلام ؟.

الجواب على هذه الأسئلة وإن كان يحتاج إلى الدقة والبحث العميق لكن مع هذا أستعين بالله ـ عز وجل ـ ، وأقول فى الجواب ما يأتى : —

١ ـ العقل كما جربناه لا يستطيع أن يصل إلى كل الحقائق ، ومن ثم نرى الاختلاف والتناقض فى الآراء والأفكار كثيرا ، ونرى تغير إحساس المصالح الخاصة والعامة بتحول الأسباب وتطور موجبات العصور والأزمنة ، والسر الأصلى فى هذا هو أن العقل لأجل ارتباطه وتعلقه بالماديات لا يمكن أن يخلص من العوارض المادية وظلماتها ، فبرحمة من الله ـ تعالى ـ جاء الأنبياء والرسل ؛ لكى يكشفوا الحقائق عن الأستار المادية ، ويعلموا الناس مصالحهم الدينية والدنيوية ، فإذن ثبت أنه يجوز للعقل النشاط وله حق التصرف . لكن فى إدارة الماديات الدنيوية ، وتحت توجيهات الأنبياء والرسل ، وأما الخارج عن هذه الادارة والتوجيه ، فلا يمكن أن يصل العقل إلى الحقائق الميتافزيقية ، فإذن المحاولة للوصول إلى الحقائق الميتافزيقية ، كما صدر عن الفلاسفة الكبار ليس إلا محاولة فى إطار خارج المقدور ولضياع الوقت ، وقد ثبت أنهم حتى الآن لم يصلوا ولن يصلوا إلى كنه ما به الكون ، فإذن يلزم على العقلاء أن يحددوا تصرفات العقل فى داخل دائرة قدرته ، لكى يستريح الناس ، ويطمئنوا ، وتزيد المصالح المدنية .

٢ — بعد أن سلمنا أن العقل لا يستطيع أن يصل إلى كل الحقائق وأثبتنا احتياج الناس إلى تعليمات الأنبياء والرسل إجمالا يلزم علينا

(c) ketabton.com: The Digital Library

التسليم والانقياد فى المسائل التى لا يمكن أن تصل إليها عقولنا مثل مسألة كنه الله ـ تعالى ـ وصفاته ، والملائكة ، والقضاء ، والقدر ، والقيامة ، والجنة ، والنار ، والروح ، والمتشابه ، ففى هذه المسائل لا حاجة إلى البحث فيها خارج حدود الشريعة ؛ لأن البحث فيها لا يؤدى إلى الوصول إلى آخر درجتها ولا يأتى بثمرة ، بل كلما يزيد البحث خارج الحدود يزيد الإشتباه والخطأ ، ومن ثم نرى الآراء التى جاءت خارج حدود الشريعة متناقضة ومتصادمة ، فثبت عندى أن أسلم الطرق هو طريق السلف والطريق الذى اختاره شيخ الإسلام « عبد الله الأنصارى » وهو التسليم لما جاء فى الكتاب والسنة ؛ إذ لا يمكن لأحد أن يأتى بأحسن مما أتى به الله والرسول ، فإذن أسلم الطرق طريق السلف الصالح ، هو أن لانعطى للعقل سلطانا فى تأويل القرآن وتفسيره أو تخريجه إلا بالقدر الذى تؤدى اليه العبارات وما تضافرت عليه الأخبار ، وإذا كان للعقل سلطان بعد ذلك فهو فى التصديق والإذعان ، وبيان تقريب المنقول من المعقول وعدم المنافرة بينهما ، فالعقل يكون شاهدا ولا يكون حاكما ، ويكون مقرراً مؤيدا ولا يكون ناقضا ولا رافضا ، ويكون موضحاً لما اشتمل عليه القرآن والسنة من الأدلة .

٣ — نعم لها جواز إذا لم تخالف النص إذ قد تحقق عندى أن شيخ الإسلام «عبد الله الأنصارى» والسلف لا ينكرون المباحث الكلامية داخل الحدود ، ولا يريدون تعطيل العقل عن نشاطه داخل إطاره ، بل ينكرون البحث فى المسائل الاعتقادية خارج حدود الشريعة وإطارها بحيث يضيع الوقت ويشوش الأذهان ، فإذن لا مانع من أن نشرح ونبين ما جاء فى الكتاب والسنه من الدلائل والآيات الدالة

(c) ketabton.com: The Digital Library

على وجود الله ، وقدرته ، وعظمته ، وتنزيهه ، وسائر أوصافه ، وصدق رسوله بالعقل ، وأن نبحث فى معجزة الرسول ونستدل بحقيقتها وواقعيتها فنقربها إلى عقول الناس ، وهكذا البحث فى المسائل الكلامية الأخرى فهذا النوع من البحث له جواز فى الشرع ولم ينكره السلف ولا شيخ الإسلام «عبد الله الأنصارى» ، فيصح أن نقول : ليس لكل ما جاء فى علم الكلام الجواز فى الشريعة ، لأن فى بعض مباحث علم الكلام خروجاً عن حد الاعتدال وعما يقدر عليه عقل البشر ، وضياع للوقت ، وموجب لإيقاع المسلمين فى الاختلافات والفتن ، كما أنه ثبت عند المحققين والمخلصين من علماء الإسلام أن أيادى الاستعمار والمؤامرات السياسية وأغراض المستغلين أيدت أكثر تلك المباحثات والاختلافات الجافة بين المسلمين ، ولا شك أنه ثبت أن هـــذا النوع من الاختلافات والمناقشات من جملة الأسباب التى أدت إلى تأخر المسلمين والشرقيين فى المدنيه .

٤ — قد تحقق عندى أن عامة المسلمين تكفى لهم العقيدة الإسلامية الأصيلة ، وبعد صحة العقيدة يلزم عليهم القيام بالفرائض والواجبات والأوامر والنواهى ، ثم حسن المعاملة والنشاط والإخلاص فى خدمة الاجتماع كما هى هى؛ لكى ترتقى بلاد الإسلام ، ويقوى المسلمون ، ويسد احتياجات الناس ، وتحل مشكلاتهم ، نعم : على المسلمين أن يخلصوا البشر مما أنزل بهم قساة القلوب من الشدة والبأس والاختلاف ، ويمنعوا الظلم والاستغلال واتلاف حقوق الإنسانية، هذا بالنسبة لعامة المسلمين أما خاصة المسلمين أى العلماء الذين لهم قوة الإيمان والعقيدة فيلزم عليهم فوق مما يلزم عليهم من أداء الفرائض والواجبات ، والأوامر والنواهى أن يحفظوا عقائد المسلمين من الزلل ، وأن يوجهوا عامة الناس إلى ما فيه منافعهم

(c) ketabton.com: The Digital Library

الدنيوية والدينية ، فإذن يلزم أن يكون فيهم من يفهمون كتب الفلسفة والمنطق والكلام بالدقة ، حتى يكونوا كالحارسين يحفظون دين الإسلام من زيغ الزائغين ؛ لأن أعداء الإسلام يحاولون أن يزلزلوا عقائد المسلمين وأفكارهم بدينهم ، وأن كثيراً من السفهاء يدهشهم أن يسمعوا أن هذا رأى فلان من الفلاسفة والمناطقة وأهل الكلام المشهورين، فيقلدونهم فوراً تقليد العمياء من غير تحليل وتدقيق ، فلو كان فى علماء المسلمين من يفهم أساليبهم ويستطيع أن يرد آراء المخالفين ، ويقنع المسلمين بصدق دينهم ، فلا شك أن هذا يكون خدمة عظيمة للإسلام والمسلمين ، كما أن الأستاذ الإمام الكبير « مصطفى عبد الرازق » باشا أورد فى كتابه « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » النص الآتى :

« إن من رسخ قواعد الشريعة فى قلبه ، وامتلأ قلبه من عظمة هذا النبى الكريم وشريعته ، وتأيد دينه بحفظ الكتاب والسنة ، وقوى مذهبه فى الفروع يحل له النظر فى علوم الفلسفة لكن بشرطين :

أحدهما : أن لا يتجاوز مسائلهم المخالفة للشريعة ، وإن تجاوزها فإنما يطالعها للرد لا لغيره .

وثانيهما : أن لا يمزج كلامهم بكلام علماء الإسلام ، ولقد حصل ضرر عظيم على المسلمين من هذه الجهة لعدم قدرتهم على تمييز الجيد من الردىء ، وربما يستدلون بإيرادها فى كتب الكلام على صحتها(١) » .

٥ — قد تحقق عندى أن الطريق الوحيد لإفهام الناس بأنهم

---

(١) من كتاب « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » ص (٨٧) الطبعة الثانية من لجنة التأليف ، والترجمة ، والنشر فى القاهرة .

(c) ketabton.com: The Digital Library

يحتاجون إلى مبادىء الإسلام أن يكون فى المسلمين أهل القلوب الصافية ومن لهم معرفة قوية بأسرار المسائل الدينية بعقائدها وأعمالها ، ولهم رابطة قلبية مع الله — تعالى — ورسوله — ودينه ، ولهم بجانب العلم العمل ، ويكون غايتهم القصوى فى الحياة الإطاعة لما أمر الله — تعالى — ونهى والخدمة لما فى دين الإسلام ، وغاية غايتهم تكميل رسالة الحياة على أحسن وجه ، وحصول رضى الله — تعالى — ، وإذا وجد هذا النوع من العناصر فهم يستطيعون أن يجمعوا أشتات المسلمين ، فيتفق المسلمون وعلماؤهم فى المشارق والمغارب لتأييد دينهم وتلقين مبادىء الإسلام كما هى هى نعم : من كان عنده صدق الإيمان ، وحسن النية ، وخلوص العبادة والمعاملة ، ويتق الله - تعالى - ويطلب رضاه - يستطيع أن يحفظ الإسلام والمسلمين من زيغ الزائغين ودسائس المؤامرين من الكفرة والمبتدعة بعون الله - تعالى - ، ويستطيع أن يفهم الناس بأنهم محتاجون فى إمرار الحياة الطيبة أشد الاحتياج إلى أن يطبقوا مبادىء دين الإسلام ، وأنا فى كثير من الأوقات أفكر أنه يلزم على المدارس والجامعات الإسلامية ، وعلى من كان بيده زمام المسلمين ويدعى زعامة الإسلام أن يهيء لاجتماعات المسلمين هذا النوع من العناصر الطيبة والرجال الصلحاء بالتدريبات الإسلامية الخاصة .

(c) ketabton.com: The Digital Library

تصوف «عبد الله الأنصارى» وحياته الروحية

قد ثبت أن «شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى» بعد أن قام بالدراسات العميقة فى الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح حصل عنده اليقين بأن دين الإسلام عبارة عن الشريعة والحقيقة وأن الحقيقة أساسها الشريعة، وجاءت الشريعة لأجل أن توصل الناس إلى الحقيقة، ثم علم أن الأحكام الشرعية هى الوسيلة الوحيدة للوصول إلى معرفة الحقائق، وعرف أن معرفة الحقائق والاطاعة للحق الأول والآخر هى الغاية القصوى للايجاد، كما قال الله - تعالى -: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (أى يعرفون)، فعلى هذا اهتم «شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى» بالشريعة والحقيقة اهتماما بالغا، وبدأ فى تلقيناته وحلقات تدريسه يوجه الناس إلى الحياة الروحية، ويفهمهم بحقيقة التصوف طبقا لما جاء فى الكتاب والسنة والآثار.

ومما يلزم أن أذكره أن الهدف الأساسى لجميع الأديان السماوية، والغرض الأصلى من محاولات الأنبياء والرسل هو معرفة الحق وأن يكشف للناس عما يوصلهم إلى الفلاح فى الدنيا والآخرة، فالرسل والأنبياء لصفاء قلوبهم بأنوار الله - تعالى - وصلوا إلى الحق، ونطقوا بالحق، وعملوا عملا يطابق الحق. نعم الأنبياء والرسل كلهم علموا أن الهدف الأصلى من الحياة المعرفة فلقنوا الناس وأفهموهم بأن الغاية الأصلية من الحياة هى المعرفة والاطاعة للحق، فى هذا المسير وصلت سلسلة الأنبياء والرسل إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - ووصلت سلسلة الأديان السماوية إلى دين الإسلام، ثم دين الإسلام فى مسيره صعدت أنوار هداياته إلى ذروة الكمال، كما قال الله - تعالى - «اليوم

(c) ketabton.com: The Digital Library

أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا ، ولو قرأنا جميع ماأنزل وأوحى إلى سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لوجدنا فى كلها كشفا لأسرار المعرفة الحقة ، ووسيلة لتـأمين الحياة الطيبة .

فيا من أراد الدنيا والآخرة ، ويـا من يريد معرفة الحق وأسرار الكون من مبدئها ووجودها وفنائها ومعادها ، ويا من يدعى حماية الحق وخدمة البشر ، ويا من يبحث عن علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين ، ويا من يهوى الزهد والعبادة والمعرفة هلموا إلى دين الإسلام ؛ لأنه دين فيه سعادة الدنيا والآخرة ، وبه يعرف الحقوق ، وبه يعلم الإنسان حقائق الكون من أولها إلى آخرها ، وهو دين يرشد الناس إلى حماية الحقوق ويستطيع الإنسان أن يخدم به الناس حق الخدمة ، وهو دين العلم والقول والعمل بحيث أن من علمه حق العلم فقد علم الحق ، ومن قال ونطق به فقد قال ونطق بالصواب ، ومن عمل به حق العمل يجد فيه خيره وسعادة كافة الناس ، فطوبى لمن علم ونطق وعمل به ، أولئك هم الفائزون فوزاً عظيما ؛ لأنهم الذين يعتقدون بالحق للحق ، ويعملون الخير للخير ، فلا تؤثر على أهدافهم الأعراض المادية ولا الأغراض النفسية ، ولا يخافون فى طريق الوصول إلى الحق لومة لائم ، وهم الذين يوصفون بأولى العزم والإرادة الحقة القوية فى حياتهم لوصولهم للأهداف السامية ، وهم عناصر الصلاح والفلاح الذين وقفوا أنفسهم لله وفى الله ، وهم الصوفيون الأبرار والأخيار والأقطاب ، وأولئك الذين اتقوا ، وأولئك هم المفلحون ، فعلى الناس أن يعرفوا حياتهم الروحية ويهتدوا بهديهم ويستفيدوا من أنوارهم الربانية ، فها أنذا أقدم الحياة الروحية لـ « شيخ الإسلام » آخذا عما ورد فى آثاره .

(c) ketabton.com: The Digital Library

منهج تصوف «عبد الله الأنصارى»

أقول قبل أن أشرح تصوف «عبد الله الأنصارى» : قد عرف التصوف بتعريفات كثيرة ، وأحسنها عندى هى : «أنه علم يعرف به رياضة القلب ومجاهدة النفس بحيث تحصل الأذواق وتقع المشاهدات ، وفى هذه المشاهدات وتلك الأذواق تنكشف الحقائق ، وتعرف الدقائق ، ويعرف الإنسان ربه معرفة يقينية لا يأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها ، ويستشعر من معرفته هذه سعادة لا تعادلها سعادة أخرى مهما كانت السعادة حسية أو عقلية» .

روى أنه لما زاد عدد من سموا أنفسهم بالصوفية وانحرفوا عن الاعتدال وزادوا الأباطيل والخرافات والبدع قام الشيوخ المحققون من أهل التصوف بالتبليغ والبيان والتأليف لكى يخلصوا الناس من الضلال ، ويهدوهم إلى طريق الحق ، فبدأ «الشيخ الجنيد» رحمه الله ـ تعالى ـ هذه الحركة من «بغداد» ، وأيده «أبو نصر السراج» ، وتلميذه «أبو عبد الرحمن السلمى» وتلميذ السلمى «عبد الكريم القشيرى» ، ثم «شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى» فى «خراسان» .

وقد تحقق أن «عبد الله الأنصارى» أخذ تصوفه من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالحين ، ونزهه من الخرافات والبدع ، وطبقه على نفسه ، ثم لقنه حق التلقين لتلاميذه ومريديه ؛ لأن التصوف صار فى عصره وسيلة للاستغلال ، ودخلت فيه خرافات كثيرة ، فقام هو لتجديده ، وقسمه إلى الآداب الظاهرية والآداب الباطنية .

(c) ketabton.com: The Digital Library

الآداب الظاهرية للتصوف عند «عبد الله الأنصارى»

قد أملى «عبدالله الأنصارى» على تلاميذه ومريديه فى هذا الباب رسالة باللغة الفارسية التى سميت بـ «المختصر فى آداب الصوفية والسالكين لطريق الحق»(١) جاءت فيها المطالب الآتية :

قال «الشيخ الإمام العارف أبو اسماعيل عبد الله الأنصارى» : «اعلم أن التصوف عبارة عن أربعة أمور : الصفاء، والوفاء، والفناء، والبقاء، ويقول «سهل التسترى» — رحمه الله تعالى — : «التصوف الصفاء من الكدر والامتلاء من الفكر والانقطاع إلى الله تعالى — من البشر»، ثم قال «شيخ الإسلام» : «واعلم أن لأهل التصوف آداباً كثيرة فى القعود، والقيام، والنوم. ولبس اللباس، والأكل، والشرب، والدعوة، والسماع، وفى الحضر، والسفر، بل فى كل الحالات، فكل من لبس الخرقة، واختار زى المتصوفين يلزمه أن يعرف آدابهم ويعمل بها ؛ لكى يتحلى ظاهره ببركة رعايته الآداب الظاهرية للتصوف، ثم باطنه بحقيقة التصوف كما قالوا من كان له ظاهر مليح كان له باطن صحيح»، فيلزم على السالك رعاية الآداب الظاهرية ؛ لكى يكمل باطنه بألوان الحقيقة ؛ لأن أثر الباطن يتجلى فى الظاهر والظاهر دليل على الباطن، كما أن الدخان دليل على النار، والغبار يدل على الهواء، والتلميذ يروى عن أستاذه، ثم قسم الآداب الظاهرية إلى سبعة أنواع : —

---

(١) توجد هذه الرسالة مطبوعة باللغة الفارسية، وأيضا ترجمت فى مصر سنة (١٩٦٠ م) إلى العربية، وطبعت، إلا أنى لم أعثر عليها فأخذت أصل الرسالة باللغة الفارسية وترجمت منها ما أردت .

(c) ketabton.com: The Digital Library

١ — آداب لبس الخرقة :

قال « شيخ الإسلام » فى آداب لبس الخرقة : أنه يجب على كل من يريد أن يلبس الخرقة أن يلبسها فى أول الأمر من يد المرشد الذى يكون موافقا معه فى الشريعة والطريقة والحقيقة ، بأن يكون عالما بأصول الشريعة ، وعارفا بآداب الطريقة ، وواقفا على أسرار الحقيقة بحيث أن المريد لوحصلت عنده مشكلة فى الشريعة ، فهو يستطيع بعلمه حلها ، ولو وقعت فى طريقته واقعة ، فهو يستطيع بمعرفته أن يوضحها ، ولو وجد عنده فى الحقيقة سر ، فهو يستطيع ببصيرته أن يكشف السر ، ثم قال « شيخ الإسلام » : « لايلبس المريد الخرقة من يد أولاد المرشدين الذين اشتهروا بالتصوف من آبائهم ، ولهم الاعتبار عند الناس وعند الملوك وأبناء الدنيا ، ويحترمهم السلاطين لشهرتهم وكثرة متعلقيهم ومريديهم ؛ لأن هذا النوع من الناس لا يليق أن يكونوا مرشدين للتصوف ؛ إذ لا يحصل من صحبتهم إلا الفساد .

(نعم : الولاية ليست بالميراث ، وأولياء الله — تعالى — لايحبون الشهرة ، والاعتبار عند الناس ولا عند الأمراء وأهل الثراء) .

وقال أيضا : « يلزم أن يكون المرشد سنيا ؛ لأن المبتدع لا ولاية له ، فلو رأيت مبتدعا ظهر منه خارق العادة ، فلتحذر ولا تغتر به ؛ لأن ماظهر منه من الخوارق — حبائل الشيطان وتحايله ؛ لأن للشيطان شباكا من الحيل يريد أن يضل الناس بأهل البدع ، فيلزم على صاحب البصيرة أن يحذر من تلك الشباك (الحبائل والحيل) . ومن أعظم ما يغتر به عامة الناس هو زهد المبتدع وصلاته ، إذ هو يعبد ويزهد ليغتر به الناس ، فيقتدوا به . ويتقرب إلى الناس بالمحبة ؛ لكى يزرع

(c) ketabton.com: The Digital Library

فى قلوبهم تدريجا بذر بدعته ، حتى ينحرفوا عن طريق السنة (والصراط المستقيم) ، ولو دققت النظر تجد فى عاقبة أمورهم الكفر والضلالة — أعوذ بالله من صحبة أهل البدعة — ، فإذن يلزم أن يلبس المريد خرقته من يد مرشد سنى عالم بالشريعة والطريقة والحقيقة .

ثم قال « شيخ الإسلام » : « يلزم من يلبس الخرقة أن يتحمل الصعوبات فى الطريقة ، وأن يصبر بالرياضة والمجاهدة ، ولا يرجع عن عزمه وإرادته فى التصوف ؛ لأن مرتد الطريقة أقبح من مرتد الشريعة ، حتى أن الصوفيين قالوا : « طلب الحال بعد الزوال محال » ، ثم ذكر تفصيلات أخرى فى أنواع لبس الخرقة والمرقعة ، ومن ضمن تفاصيله يظهر أنه أخذ كلمة التصوف من الصوف[1] ، وأن أول من لبس الصوف هو آدم — عليه السلام — وحواء ، وذكر أن موسى عليه السلام كان يلبس أيضا لباس الصوف وأن لباس الصوف أحسن اللباس » .

يظهر مما ذكره « شيخ الإسلام » والمتصوفون الآخرون فى حق لبس الخرقة والمرقعة أن لا باعث على لبسها إلا كسر شأن النفس ولأن يستحي الإنسان فى لباس الصلحاء ، فلا يرتكب أعمالا خلاف الشريعة ، ويصمم على القيام بأحسن العبادات والمعاملات ، ويقف حياته فى سبيل الله — تعالى — لكى يكمل رسالة حياته على أحسن وجه وإلا فلبس

---

(١) فى كلمة التصوف اختلاف ، هل هى فى الأصل أخذت من « صوف » أو « صفة » أو « صفاء » أو « صف » أو كلمة يونانية أخذت من « سوف » بمعنى الحكمة ؟ فمن أراد كثرة المعلومات والدقة فى تحليل كلمة التصوف فليقرأ كتاب « المنقذ من الضلال » لحجة الإسلام « الغزالى » من ص (٨٥) الى ص (٩٣) يظهر منه أن الأرجح هو أن كلمه التصوف أخذت من صوف » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

الخرقة والمرقعة ليس ضروريا فى دين الإسلام ، ولم يوجد فى الكتاب والسنة التكليف بلبسها ، نعم : يوجد له الأساس بمعنى أن محمداً — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه لبسوا اللباس المرقع . لتعليم الناس بأن لا يضيعوا لباسهم ما دامت تحصل منه الفائدة ، ولا يكلفوا أنفسهم بالحصول على اللباس الجديد الغالى ، كما أن هذا العمل منهم أساس لفلسفة الكفاف وعدم الإسراف والتبذير . لكن لبسهم للباس المرقع ليس مثل لبس اللباس المرقع الذى يلبسه بعض من يدعى التصوف بأن يخيط لباسه من مئات الرقع ، فهذا ليس من أمر الدين وأحكامه ؛ إذ قد ثبت أن الدين قد جاء لليسر لا للعسر ، فأحسن التعبير عن لبس الخرقة هو أنه كان فى الأول عادة من العادات وتقليداً من التقاليد فى لباس الصالحين والأتقياء ، كما يقلد رهبان المسيحيين آباءهم فى تقاليدهم الخاصة . لكن بمرور الزمان قد حصلت التغيرات إلى أن جاء عصرنا الذى نعيش فيه ، فتحول شكل لباس صلحاء المسلمين من لبس الخرقة والمرقعة القديمة من لونه وكمه وكيفه إلى لباس الشيوخ والعلماء بعمامتهم وجبتهم ، ويجدر بى أن أقول فى حق العلماء والصالحين إنه يلزم من يلبس لباس الشيوخ وأهل العلم أن يكون باطنه كظاهره بأن لا يعمل عملا يوقع الناس فى الفتنة ؛ إذ ينسب عامة الناس أخطاء رجال الدين إلى الدين نفسه .

ثم أورد « شيخ الإسلام » من التحليلات والإشارات ، فقال ما حاصله الآتى :

إن كلمة « صوف » مركبة من ثلاث أحرف : ص ، و ، ف ، فبالصاد إشارة إلى الصدق ، والصفاء ، والصلابة ، والصبر ، والصلاح ،

(c) ketabton.com: The Digital Library

والواو إشارة إلى الوفاء ، والوصلة ، والوجـــد ، والفـاء إشارة إلى الفرج ، والفرح .

وإن كلمة « مرقع » مركبة من أربعة أحرف : م ، ر ، ق ، ع ، فبالميم إشارة إلى المعرفة ، والمحبة ، والمذلة ، وبالراء إشارة إلى الرأفة ، والرحمة ، والرياضة ، والراحة ، وبالقاف إشارة إلى القناعه ، والقربة ، وقوة الحال ، وقول الصدق ، وبالعين اشارة إلى العلم ، والعشق ، وعلو الهمة ، والعهد الحسن ، ثم ذكر بعض الاصطلاحات الصوفية فى هـذا الباب فقال : المقصود من قولهم « خرق الخرقة » هو أنه خرق كل من كان من الأغيار ، والمطلوب من قولهم « لاحظ نصيبه » هو أنه لاينظر إلى عيب أخيه ، ثم قال « شيخ الإسلام » فى آخر آداب لبس الخرقة :

« يلزم الصوفى رعاية هذه الآداب ، وأن يطلب مصداق مافى ظاهره فى الباطن لكى يـكون صادقا لا كاذبا ، وموافقا لا منافقا ، ومخلصاً لامرائيا ، ومحققاً لا مدعياً .

٢ — آداب القيام والقعود :

قال « شيخ الإسلام » فى آداب القيام والقعود ما حاصله الآتى : يلزم الصوفى أن يجلس على السجادة بالأدب ، كما يجلس فى حضور مرشده وأستاذه ، ويتوجه إلى القبلة ، ولا يكشف أعضاء بدنه خارج الأدب ، ولا يبسط رجليه عند الناس . ولا ينفخ بأنفه ، ولا يلق ما فى فمه على الأرض عند الناس ، ولا يقول إذا تثاءب آه كما قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « إذا تثاءب أحدكم لا يقول آه فإن الشيطان يضحك به » ، ولا يمسح بدنه كثيراً عند الناس ، ولا يلعب بيده فى شعره ووجهه عند الناس ، ويلزم حينما يجلس أحد على السجادة

(c) ketabton.com: The Digital Library

لعبادة الله — تعالى — أن يجلس بحضور القلب والاحترام فيشغل بذكر الحق وفكر الحق ، ويفكر أيضاً فى أنه بأى طريق يمكن أن تقبل عبادته عند الله — تعالى — ، ويلزم أن لا يتكلم فى المجلس كثيراً ويكون ما يتكلم به بقدر الحاجة ، ولا يحرك يديه فى وقت الكلام ، ولا يرفع صوته عن حد الاعتدال ، قال الله — تعالى — : « واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » ، ولا يعمل الحركات التى تكون خارجة عن حد الأدب ، وحينما يقوم يلزم عليه أن يقوم من يمينه ، فيضع قدمه الأيمن أولا ، ويبدأ فى لبس الحذاء من اليمين وعند الخلع من اليسار ، ولا يتكبر فى المشى « ولا تمشى فى الأرض مرحا » ، ولا يحرك اليد فى المشى ، ولا ينظر كثيراً إلى اليمين واليسار ولا إلى قدام وخلف ، ولا يتكلم فى الطريق (إلا عند الضرورة) ، ولا يقرأ القرآن الكريم فى الطريق وإذا أراد أن يقرأه فليقرأ فى القلب والفكر ، ولا يذهب إلى السوق إلا عند الضرورة ، ولا يتوقف فى الطريق (إلا عند الحاجة) ، ويحذر عن مواقع التهمة وموارد الطعن ، ويحفظ قدمه من مواضع النجاسة ، ولا يمشى بالسرعة (قال الله — تعالى — « واقصد فى مشيك ») ، وخاصة حينما يمشى مع الجماعة فى تشييع الجنازة أو إلى عيادة المريض أو إلى أداء صلاة الجمعة والصلاة الأخرى ؛ لكى يزيد حسناته بحسب خطواته .

لا شك أن « شيخ الإسلام » أدرج فى آداب القيام والقعود أهم الآداب ، فيلزم على السالك رعايتها حق الرعاية .

٣ — آداب الذهاب إلى البيت :

قال « شيخ الإسلام » فى حق آداب الذهاب إلى البيت ما حاصله الآتى :

(c) ketabton.com: The Digital Library

« يلزم على من يدخل البيت أن يمسح رجليه على الأرض قبل أن يدخل البيت عند الباب ، ولا يلقى السلام بدون الوضوء ؛ لأن السلام اسم من أسماء الحق — سبحانه وتعالى — ، فطريق آداب العبودية لأرباب المعرفة أن لا يتكلم بالسلام بدون الطهارة ، كما أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — خرج يوما من الحجرة ، فقابله أحد من الصحابة وألقى عليه السلام ولم يكن الرسول — صلى الله عليه وسلم — على الوضوء، فضرب يده على الحائط وتيمم ، ثم أجابه بـ (وعليكم السلام) وقال له : ماحاصله : « لا تلق على السلام إذا لم أكن على وضوء فإنك حينئذ لو ألقيت على السلام لا أجيب(١) ، وأيضا قال « شيخ الإسلام » لا تلق السلام على أصحابك مفاجأة ، لأنه ربما كانت أفكارهم مشغولة فى حاجات أخرى فيشوش إلقاء السلام عليهم ، والأحسن لمن يريد دخول البيت أن يتوضأ أولا ، فيصلى ركعتين ، ثم يلقى السلام على من فى البيت .

يظهر مما ذكره « شيخ الإسلام » فى آداب الذهاب إلى البيت أن الصوفيين العظماء يراعون آداب حسن المعاشرة مع الناس بالوجه الأكمل والأحسن .

٤ — آداب أكل الطعام :

قال « شيخ الإسلام » يجب على من يأكل الطعام أن يغسل يده أولا ، ثم يجلس على رجله اليسرى ، ولا يضع طبق الأكل على الخبز ، ويقول فى أول الأكل « بسم الله » وفى الآخر « الحمد لله » ،

---

(١) أقول لاشك أن سلوك الصوفية مبنى على الاحتياط ، فلأجل هذا يعدون من الأدب أن لايتكلم أرباب المعرفة بالسلام بدون الطهارة .

(c) ketabton.com: The Digital Library

ويبدأ ويختم بالملح ، ويلزم أن يضع فى الطبق من الأكل بقدر ما يستطيع أكله حتى لا يبقى فى الطبق شىء من فواضل الأكل ، وحينما يبدأ بالأكل يأخذ كل مرة لقمة صغيرة ، فيدسها فى الفم كثيراً ، ولا يأخذ اللقمة الثانية حتى تنزل اللقمة الأولى من الحلق ، وهكذا ، ويحترز الآكل فى الأكل عن أكل الطعام الحار ولا يستعجل بأن ينفخ فى الطعام ، لأن الرسول — صلى الله عليه وسلم — قال : « النفخ فى الطعام يذهب البركة » ، ولا يخلل أسنانه فيما بين الأكل ، ولا يلق من الفم شيئاً ، ولا يمسح يده بالسفرة قبل أن يتم الأكل ، وذكر فى ضمن آداب الأكل أن لا ينظر الآكل إلى لقمة الآخر ، وأن يأكل من الطعام ما يليه لا ما يلى الآخرين ، وأن لا يرفع اليد من الطعام حتى يفرغ الآخرون من أكل الطعام ، ويلزم بعد الفراغ من أكل الطعام أن يقوم بغسل اليد والفم ، وينظف ما يلزم عليه تنظيفه .

يتضح مما ذكره « شيخ الإسلام » فى آداب أكل الطعام أن التصوف الحقيقى هو الطهارة ، والحكمة ، ومراعاة حقوق النفس ، وحقوق الغير .

٥ — آداب الذهاب إلى الدعوة :

قال « شيخ الإسلام » يلزم إجابة دعوة الضيافة إلا إذا كانت الضيافة من مال حرام أو أموال اليتامى ، ويلزم من يذهب إلى الدعوة أن لا يأخذ معه من لم يدع إلى الضيافة ، وأن يجلس فى بيت الضيافة حيث يجلسه صاحب الضيافة ، فيأكل هناك بقدر حاجته ، ولا يأخذ معه شيئاً من المأكولات إلا إذا أدى له صاحب الضيافة ، وإذا تم أكل الطعام يلزم على صاحب الضيافة أن لا يكلف الضيف فى الجلوس إلا باختياره ، ويناسب للضيف أيضا أن لا يشغل البيت بالكلام والقصص إلا إذا ارتضى صاحب الضيافة ذلك ؛ لأن الله — تعالى —

(c) ketabton.com: The Digital Library

قال : « فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، ولا ينظر الضيف في بيت الضيافة إلى هنا وهناك ، ولا يسأل عن القيمة والنوع لفرش بيت الضيافة وأثاثه .

ويجب على صاحب الضيافة اعزاز الضيف ، وأن لا يكلف نفسه فى الضيافة فوق قدرته ، فالأولى أن يقدم ما حضر وما يستطيع ، ولا يلح صاحب الضيافة على الضيف بكثرة الأكل ، ولا يتعبه فى الجلوس والذهاب ، ويجب على صاحب الضيافة أن يقدم للضيف الأكل الحلال ، ولا يقول فيما بين أكل الطعام أنه اشترى هذا بكذا ، ولا أن يضع المنة على الضيف بضيافته .

يتبين مما ذكره « شيخ الإسلام » فى آداب الذهاب إلى الدعوة هو أن التصوف الإسلامى يريد أن يرفع عن الناس المحن والصعوبات فى معاملاتهم الإجتماعية .

٦ — آداب السماع :

إن سماع العزف والموسيقى وما يغنى به القوال عند الصوفيين كان ولا يزال مثار بحث ، فأكثر الصوفيين على أن السماع بشرائط ، وآداب خاصة موجب لزيادة نشاط الصوفية ، فقال « شيخ الإسلام » « فى آداب السماع » يلزم أن لا يكون السماع بالتكلف ولا أن يكون خارجا عن الحدود ، فلا يجلس الصوفى عند السماع بغفلة ، بل يلزم عليه أن يحفظ وقته مع الله — تعالى — ولو وصل إليه الوارد فيأخذ ما أمكنه بالاستقرار والمتانة ، ولو كان الوارد قويا فحركه يلزم أن لا يتحرك بتكلف ؛ لكى لا تزول عنه بركة وقته ، فلا يصل إلى ما يرام ولا يستعين فى الحركة بأحد ، ولو طلب أحد منه الاعانة فليساعده بقدر الاستطاعة .

ثم قال « شيخ الإسلام » : يلزم للسماع ثلاثة أمور : المكان ، والزمان ، والإخوان ، بأن يكون المكان متسعا وفارغا عن الأغيار ،

(c) ketabton.com: The Digital Library

ويكون المستمع فى الحضور ولا يخرج عن الحدود ، وأن يكون مع أصحابه من أهل الطريقة ، فهذا النوع من السماع مما يغتنمه أهل التصوف ، وقال فى حق زمان السماع : أن الليل أولى من النهار ، ليكون القلب فارغا من الوساوس والأغيار ، وقال فى حق شروط السماع : « أن لا يكون إلا مع أهل الجنس ، فلا يجوز السماع من القوال الأمرد ، لأنه محل الآفة ومجال الطعن ، وأن النفس والشيطان من الأعداء ، ثم قال : الدف بالجلاجل مباح عند الإمام « الشافعى » وحرام عند الإمام « أبى حنيفة » لكن السماع روح عند هذه الطائفة الصوفية بشرط أن يكون بطريق السنة والحرمة والأدب وموافقة الشريعة ، حتى يتسبب فى الراحة والكرامة والحياة الحقيقية والدرجات الرفيعة والمكاشفات ، فكل سماع يكون خارجا عن هذه الحدود والشرائط ففيه آفة ، ومعصية ، وتهمة ، ومضرة للدين » .

لقد تحقق عندى أن أسرار سماع الصوفيين لا يعرفها إلا من له حظ من هذه الأسرار ، فلهذا قال « عبد الله الأنصارى » : « أن السماع روح عند هذه الطائفة ، والا فظاهر الشريعة يأبى أن تكون مرتبة السماع مثل مرتبة الروح فى الأهمية ، ولم يوجد لا ثبات هذا صراحة دليل فى الكتاب والسنة » .

٧ — آداب السفر :

قال « شيخ الإسلام » يلزم أن يكون سفر المريد لثلاثة أمور : الزيارة ، وملاقات المشايخ ، والرياضة ، فيحاول من يريد السفر أن يجد الرفيق الموافق المشفق وصاحب الهمة والسر والإرادة ، وأن يكون سفره إلى مكان يكون باستطاعته أن يسافر إليه فإذا عزم السفر يلزمه أن يأخذ معه من زاد

(c) ketabton.com: The Digital Library

السفر وما يحتاج إليه كثيراً ، ففى السفر يلزمه أن يكون دائما على الطهارة . وكلما يرفع ويخفض فى الطريق أن يقول : الله أكبر ، ثم لا يسأل الناس فى السفر (بقدر الاستطاعة) ولا ينام فى المساجد إلا عند الضرورة .

يتبين مما ذكره « شيخ الإسلام » فى آداب السفر أن خطة الحياة عند الصوفين العظماء فى السفر دقيقة ومعقولة جداً .

ثم جاء فى آخر هذه الرسالة ما يأتى :

« هذه هى الآداب الظاهرية للمريد التى يلزمه مراعاتها فى بداية أمره ، لكى يكون لائقا للصحبة » .

وأما الآداب الباطنية فلها أبواب كثيرة ، ومقامات ومنازل لاتحصى ، فمن أراد أن يعرفها يلزمه أن يقرأ ويستفيد من كتاب « منازل السائرين والسالكين إلى الحق — عز شأنه — لـ « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

الآداب الباطنية للتصوف عند « عبد الله الأنصارى »

قد تقرر أن « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » قال وأملى فى حق الآداب الباطنية والروحية أشياء كثيرة ، كما يوجد أهم هذه القيم الروحية فى كتبه ورسائله الآتية :-

« صدميدان » بالفارسية . و « منازل السائرين » بالعربية . و « طبقات الصوفية » بالفارسية . و « مناجات عبد الله الأنصارى ونصائحه » بالفارسية . و « علل المقامات » بالعربية .

يتبين من المطالعة والتدقيق فى هذه الكتب والرسائل أن « شيخ الإسلام » قد درس الآداب الباطنية والروحية للتصوف الإسلامى درسا دقيقا . وحاول أن يجد لها أساسا فى الكتاب ، والسنة ، ثم بعد الدرس ، والدقة حصل عنده فى مرتبة العمل والتطبيق تجارب كثيرة فتحقق لديه أنه يلزم السالك أن يراعى ماجاء فى كتابه الأخير المسمى بـ « منازل السائرين إلى الحق - عز شأنه - » حق المراعاة .

لاشك أن هذا الكتاب هو أحسن ماكتب فى معرفة الآداب الباطنية والروحية للتصوف ، ولأجل هذا شرحه ثمانية عشر شارحا من الشارحين ، وكتب عليه « ابن قيم الجوزية » كتابا ضخما فى ثلاث مجلدات كبيرة . لكن مما يلزم ذكره هو أن صعوبة بعض كلمات كتاب « منازل السائرين » وكثرة بسط الشارحين ، قد أدى إلى أن أكثر من يريد معرفة الآداب الباطنية والروحية للتصوف يجد المشقة فى فهم هذه الآداب ، فعلى هذا صممت أن اختصر من

(c) ketabton.com: The Digital Library

الآداب الباطنية ، والروحية التى عبر عنها « شيخ الإسلام » إلى حد مايوجه القارىء وينبهه إلى البحث الكثير عن الآداب الباطنية ، والروحية التى فيها الصلاح والفلاح لكافة الناس . وسأوضح بقدر مايثبت للقارئين أن « شيخ الإسلام » قد أخذ مبادىء التصوف من الكتاب ، حتى يثبت أن التصوف الأصيل له أساس فى القرآن الكريم ، وليس كما تصور بعض من لاخبرة له أن التصوف نوع من الخرافات الزائفة .

(c) ketabton.com: The Digital Library

أهم المطالب التى جاءت فى كتاب منازل السائرين

فى حق الآداب الباطنية والروحية للتصوف

قال « شيخ الإسلام » بعد الخطبة : « أما بعد فان جماعة من الراغبين فى الوقوف على منازل السائرين إلى الحق ـ عز اسمه ـ من الفقراء من أهل « هراة » والغرباء طال على مسألتهم زمانا أن أبين لهم بيانا (ليكون) على معالمها عنوانا ، فأجبت طلبهم لذلك بعد استخارتى لله ـ تعالى ـ واستعانتى به .

وسألونى أيضاً أن أرتبها لهم ترتيبا يشير إلى تواليها ويدل على الفروع التى تليها ، وأن أخليه من كلام غيرى وأختصره ليكون ألطف فى اللفظ وأخف للحفظ ، وانى خفت أن أخذت فى شرح قول « أبى بكر الكتانى » : « ان بين الحق والعبد ألف مقام من نور وظلمة » طولت على وعليهم فذكرت أبنية تلك المقامات التى تشير إلى تمامها وتدل على مرامها ، وأرجو لهم بعد صدق قصدهم ماقال « أبو عبيد البسرى » : « ان لله عبادا يريهم فى بداياتهم ما فى نهاياتهم ثم إنى رتبت لهم فصولا ، وأبوابا يغنى ذلك الترتيب عن التطويل المؤدى إلى الملال ، ويكون مندوحة (١) عن التسآل ، فجعلته مائة مقام مقسومة على عشرة أقسام .

ثم قال « شيخ الإسلام » : « ان السائرين فى هذه المقامات على اختلاف عظيم لايجمعهم ترتيب قاطع ، ولايقفهم منتهى جامع ، وقد

---

(١) مندوحة : أى مستغنية .

(c) ketabton.com: The Digital Library

صنف جماعة من المتقدمين والمتأخرين فى هذا الباب تصانيف عساك لاتراها على حسنها مغنية (١) ، منهم من أشار إلى الأصول ، ولم يشر بالتفصيل ، ومنهم من جمع الحكايات ، ولم يلخصها تلخيصا ولم يخصص النكتة بها تخصيصا ، ومنهم من لم يميز بين مقامات الخاصة ، وضرورات العامة (٢) ومنهم من عد شطح المغلوب ، وجعل بوح الواجد ، ورمز المتمكن شيئا عاما (٣) ، وأكثرهم لم ينطق عن الدرجات ،

ثم قال « شيخ الإسلام » : « واعلم أن العامة من علماء هذه الطائفة قد اتفقوا على أن النهايات لاتصح إلا بتصحيح البدايات ، كما أن الأبنية لاتقوم إلا على أساس ، وتصحيح البدايات هو إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص ومتابعة السنة ، واجتناب النهى على مشاهدة الخوف ورعاية الحرمة ، والشفقة على العالم ببذل النصيحة وكف المئونة ، ومجانبة كل صاحب يفسد الوقت وكل سبب يفتن أويقسى القلب . على أن الناس فى هذا الشأن ثلاثه : ـ

واحد يسير بين الخوف والرجاء شاخصا إلى الحب مع صحبة

---

(١) يعنى أنه لايحصل للطالب بها استغناء ولاتكفيه فى مقصوده .

(٢) قال « الإمام سديد الدين » . « وإذا كان كذلك لم يعرف الناظر فيه أرفع المقامات فيقصدها ، ولا أدونها فيبعدها ، ولايعرف فضل الفاضل فيعظمه ، ولانزول المقصر فيحركه .

(٣) شطح المغلوب عبارة عن كلمات تجرى على ألسنة بعضهم فى وقت غلبة الحال فيكون مغلوبا معذورا ، فلا يعد ذلك له منزلا ولامقاما ، والمراد بـ « بوح الواجد » نطقه ببعض ما يجده غير تام الافادة ، والمراد بـ « رمز المتمكن » اشارته إلى طرف مما فتح عليه به فلا يصح جعل شطح المغلوب وبوح الواجد ورمز المتمكن شيئا عاما وطريقا للناس كافة .

(c) ketabton.com: The Digital Library

الحياء ، وهـذا هو الذى يسمى المريد ، ورجـل مختطف من وادى التفرقة إلى وادى الجمع ، وهو الذى يقال له المراد .

ومن سواهما مدع مفتون مخدوع ، وجميع هـذه المقامات تجمعها رتب ثلاث :

الرتبة الأولى أخـذ القاصد فى السير ، والرتبة الثانية دخوله فى الغربة ، والرتبة الثالثة حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد فى طريق الفناء .

ثم أخرج « شيخ الإسلام » لاثبات المرتبة الأولى (القصد فى السير) حديث « أبى هريرة » أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سيروا سبق المفردون » قالوا : يارسول الله وما المفردون ؟ قال : « المهترون (١) الذين يهترون فى ذكر الله تعالى — يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا » .

وأخرج لاثبات المرتبة الثانية (دخوله فى الغربة) حديث « على ابن أبى طالب » ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « طلب الحق غربة » .

وأخرج لإثبات المرتبة الثالثة (حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد فى طريق الفناء) حديث « عمر بن الخطاب » — رضى الله عنه ـ فى حديث سؤال جبريل ـ عليه السلام ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ما الاحسان » ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، ثم ذكر « شيخ الإسلام »

---

(١) المهتر . المولع بالقول فى شىء « من المنجد » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

الأقسام العشرة لمائة مقام كما يأتى : ـ

١ — البدايات . ٢ — الأبواب .
٣ — المعاملات . ٤ — الأخلاق .
٥ — الأصول . ٦ — الأدوية .
٧ — الأحوال . ٨ — الولايات .
٩ — الحقائق . ١٠ — النهايات .

وقد ذكر « البدايات » فى عشر أبواب : ـ

١ — اليقظة . ٢ — التوبة .
٣ — المحاسبة . ٤ — الانابة .
٥ — الفكر . ٦ — الذكر .
٧ — الاعتصام . ٨ — الفرار .
٩ — الرياضة . ١٠ — السماع .

١ — باب اليقظة :

قال الله تعالى ـ : « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » القومة لله ـ تعالى ـ هى اليقظة من سنة الغفلة ، والنهوض عن ورطة الفترة (١) ، وهى أول مايستنير قلب العبد بالحياة لرؤية نور التنبيه ، ثم قسم « شيخ الإسلام » اليقظة إلى ثلاثة أقسام : ـ

١ — نظر القلب إلى نعم الله ـ تعالى ـ التى لا يستطيع القلب أن يحصيها ، ويعجز عن أن يقوم بحق شكرها .

(١) لأنه لا يقوم لله بأمر الله إلا المتيقظ له بالموعظة ومن رق قلبه لقبولها .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٢ — مطالعة الجناية بأن ينظر إلى الخطر فيها ، ويتوجه إلى التخلص من ربقتها ، ويحاول طلب النجاة واصلاح الأعمال .

٣ — الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان فى أحواله ، فإن رأى نقصا بادر إلى الإصلاح وإن رأى صلاحا ، وزيادة انتهضت نفسه لما رأى من علامات الفـــلاح فى تدارك ما فات منها بأفعـال محمودة عوضا عمـا فات .

ثم قال « شيخ الإسلام » : « فـأما معرفة النعمة فإنها تصفو بثلاثة أشياء : ـ بنور العقل ، وبشيم برق المنة (أى إحساس روائح الإحسان) ، والإعتبار بأهل البلاء .

وأما مطالعة الجناية فإنها تصح بثلاثة أشياء : بتعظيم الحق ، ومعرفة النفس ، وتصديق الوعيد ، وأما معرفة الزيادة والنقصان فى الأيام فإنها تستقيم بثلاثة أشياء : بسماع العلم ، وإجابة دواعى الحرمة ، وصحبة الصالحين وملاك ذلك كله خلع العادات .

٢ — باب التوبة :

قال الله ـ تعالى ـ : « ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » فأسقط اسم الظلم عن التائب ، والتوبة لا تصح إلا بعد معرفة الذنب وهى أن تنظر فى الذنب إلى ثلاثة أشياء : إلى انخلاعك عن العصمة حين اتيانه ، وفرحك عند الظفر به ، وقعودك على الاصرار عن تداركه مع يقينك بنظر الحق إليك ، وشرائط التوبة ثلاثة : ـ

الندم ، والاعتذار ، والاقلاع (القطع عن الذنب) (١) .

---

(١) الندم بالقلب ، والاعتذار باللسان ، والاقلاع بالجوارح .

(c) ketabton.com: The Digital Library

وحقائق التوبة ثلاثة أشياء : تعظيم الجناية ، واتهام النفس فى التوبة وطلب أعذار الخلائق ، وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة أشياء : تميز الثقة (بالله) من الغرة (الغرور) ، ونسيان الجناية ، والتوبة من التوبة أبدا ؛ لأن التائب داخل فى الجميع من قوله : « وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون » ، فأمر التائب بالتوبة .

٣ — باب المحاسبة :

قال الله — عز وجل — « اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد » وإنما يسلك طريق المحاسبة بعد العزيمة على عقد التوبة ، والعزيمة لها ثلاثة أركان . أحدها . أن تقيس بين نعمته وجنايتك ، وهذا يشق على من ليس له ثلاثة أشياء . نور الحكمة ، وسوء الظن بالنفس ، وتميز النعمة من الفتنة ، والثانى . تميز ما للحق عما لك أو منك ، فتعلم أن الجناية عليك حجة (فى العقاب) ، والطاعة عليك منة (فى تيسير الأسباب) ، والحكم عليك (بامهاله) حجة (لتتوب) ماهو لك معذرة ، والثالث . أن تعرف أن كل طاعة رضيتها منك فهى عليك ، وكل معصية عيرت بها أخاك فهى إليك . فلا تضيع ميزان وقتك من يدك .

٤ — باب الإنابة :

قال الله — عز وجل — : « أنيبوا إلى ربكم » الإنابة ثلاثة أشياء : الرجوع إلى الحق اصلاحا كما رجع إليه اعتذارا ، والرجوع إليه وفاء كما رجع إليه عهدا ، والرجوع إليه حالا كما رجع إليه إجابة ، ثم ذكر « شيخ الإسلام » ما يستقيم به الرجوع إلى الحق اصلاحا ووفاء وحالا ، فمن أراد معرفته فليقرأ « منازل السائرين » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٥ - باب التفكر :

قال الله — تعالى — « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » اعلم أن التفكر تلمس البصيرة لاستدراك البغية(١) ، وهو على ثلاثة أنواع : فكرة فى عين التوحيد ، وفكرة فى لطائف الصنع ، وفكرة فى معانى الأعمال والأحوال » .

ثم فسر « شيخ الإسلام » كلا من هـــذه الفكر فى كتابه « منازل السائرين » .

٦ — باب التذكر :

قال الله — تعالى — : « وما يذكر إلا من ينيب » التذكر فوق التفكر ، فإن التفكر طلب والتذكر وجود(٢) ، وأبنية التذكر ثلاثة أشياء : الانتفاع بالعظة ، والاستبصار بالعبرة ، والظفر بثمرة الفكرة ، وإنما ينتفع بالعظة بعد حصول ثلاثة أشياء : بشدة الافتقار ، وبالعمى عن عيب الواعظ . وبذكر الوعد والوعيد ، وإنما يستبصر بالعبرة بثلاثة أشياء : بحياة العقل ، ومعرفة الأيام ، والسلامة من الأغراض ، وإنما تجتنى ثمرة الفكرة بثلاثة أشياء : بقصر الأمل ، والتأمل فى القرآن ، وقلة الخلط والتمنى والتعلق والشبع والمنام » .

٧ — باب الاعتصام :

قال الله — عز وجل — « واعتصموا بحبل الله جميعاً ، و« واعتصموا

---

(١) أى المطلوب والتلمس بالقلب وهو التفتيش عن المطالب العقلية والشرعية .

(٢) أى التذكر هو التجسس فيما كان حاصلا عنده ، ثم نسيه ، فيجده فى ذهنه موجودا .

(c) ketabton.com: The Digital Library

بالله هو مولاكم » الاعتصام بحبل الله هو المحافظة على طاعته مراقباً لأمره ، والاعتصام بالله هو الترقى عن كل موهوم والتخلص من كل تردد .

والاعتصام على ثلاث درجات : اعتصام العامة بالخبر استسلاما ، واذعانا بتصديق الوعد والوعيد ، وتعظيم الأمر والنهى ، وتأسيس المعاملة على اليقين والانصاف ، وهو الاعتصام بحبل الله ، واعتصام الخاصة بالانقطاع وهو صون الإرادة قبضا واسبال الخلق على الخلق بسطا ورفض العلائق عزما ، وهو التمسك « بالعروة الوثقى » ، واعتصام خاصة الخاصة بالاتصال وهو شهود الحق تفريدا بعد الاستخذاء(١) له تعظيما والاشتغال به قربا ، وهو الاعتصام بالله .

٨ — باب الفرار :

قال الله - عز وجل - : « ففروا إلى الله » الفرار هو الهرب مما لم يكن إلى مالم يزل وهو على ثلاث درجات : فرار العامة من الجهل إلى العلم عقداً وسعياً(٢) ، ومن الكسل إلى التشمير جداً وعزماً ومن الضيق إلى السعة ثقة ورجاء » .

وفرار الخاصة من الخبر إلى الشهود ، ومن الرسوم إلى الأصول ، ومن الحظوظ إلى التجريد .

وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق إلى الحق ، ثم من شهود الفرار إلى الحق ، ثم الفرار من الفرار إلى الحق .

---

(١) الاستخذاء : الانكسار .

(٢) عقدا بقلبه ، وسعيا ببدنه .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٩ — باب الرياضة :

قال الله — عز وجل — : « والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة » الرياضة تمرين النفس على قبول الصدق ، وهى على ثلاث درجات : رياضة العامة وهى تهذيب الأخلاق بالعلم ، وتصفية الأعمال بالإخلاص ، وتوفير الحقوق فى المعاملة ، ورياضة الخاصة حسم(١) التفرق ، وقطع الإلتفات إلى المقام الذى جاوزه(٢) ، وإبقاء العلم يجرى مجراه(٣) ، ورياضة خاصة الخاصة تجريد الشهود(٤) ، والصعود إلى الجمع(٥) ، ورفض المعارضات(٦) ، وقطع المعاوضات(٧) .

١٠ — باب السماع :

قال الله — عز وجل — : « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم » نكتة السماع حقيقة الانتباه ، وهو على ثلاث درجات : سماع العامة بإجابة زجر الوعيد ، وإجابة دعوة الوعد ، وبلوغ مشاهدة المنة (النعمة) ، وسماع الخاصة : شهود المقصود فى كل رمز ، والوقوف على الغاية فى كل حس ، والخلاص من التلذذ بالتفرق ، وسماع خاصة

---

(١) حسم التفرق : قطع المفارقة من الله — تعالى — .
(٢) لأنه يشغله .
(٣) لأن الاستفادة من علم الشريعة فى كل مرتبة يحفظه من الاخلال .
(٤) من علائق الأسماء والصفات .
(٥) هو الفناء فى الذات .
(٦) من البسط والقبض وغيرهما .
(٧) من الأجر والثواب بأن لا ينظر اليه .

(c) ketabton.com: The Digital Library

الخاصة سماع يغسل العلل(١) عن الكشف ، ويصل الأبد بالأزل ، ويرد النهايات إلى الأول(٢) .

ثم ذكر « شيخ الإسلام » الأبواب فى عشرة أبواب وهى : — الحزن ، والخوف ، والإشفاق ، والخشوع ، والأخبات ، والزهد ، والورع ، والتبتل ، والرجاء ، والرغبة .

١١ — باب الحزن:

قال الله — تعالى — : « تولو وأعينهم تفيض من الدمع حزناً » الحزن ، توجع لفائت أو تأسف على ممتنع ، وقد قسم « شيخ الإسلام » الحزن على ثلاث درجات : حزن العامة ، وحزن أهل الإرادة ، وحزن على ما منعه من الجمع ، فإذن الحزن فى الحقيقة الحزن على ما فات منه من الفرصة ، وحزن على تعلق القلب بالتفرقة ، والتأسف على ما يأتى بأن سد وامتنع أسباب حصوله .

١٢ — باب الخوف :

قال الله — عز وجل — : « يخافون ربهم من فوقهم » ، الخوف هو الانخلاع من طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر « من الوعد والوعيد » .

١٣ — باب الإشفاق :

قال الله — عز وجل — : « قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين »

(١) هو الخواطر وفتور النفس.
(٢) أى لا يلتفت إلى المراتب بل يكون كل مطلوبه الحق .

(c) ketabton.com: The Digital Library

الإشفاق دوام الحذر مقرونا بالترحم ، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : إشفاق على النفس أن تجمح إلى العناد ، وإشفاق على العمل أن يصير إلى الضياع ، وإشفاق على الخليقة لمعرفة معاذيرها . والدرجة الثانية : إشفاق على الوقت أن يشوبه تفرق . وعلى القلب أن يزاحمه عارض ، وعلى اليقين أن يداخله سبب ، والدرجة الثالثة . إشفاق يصون سعيه من العجب ، ويكف صاحبه عن مخاصمة الخلق ، ويحمل المريد على حفظ الحدود .

١٤ — باب الخشوع :

قال الله — عز وجل — : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » الخشوع خمود النفس وهمود الطباع لمتعاظم أو مفزع » .

١٥ — باب الاخبات :

قال الله — عز وجل — : « وبشر المخبتين » وهو ورود المأمن من الرجوع ، والتردد ، وعند « شيخ الإسلام » الإخبات من أوائل مقام الطمأنينة .

١٦ — باب الزهد :

قال الله - عز وجل - : « بقية الله خير لكم » الزهد اسقاط الرغبة عن الشيء بالكلية ، وهو للعامة ، قربة ، وللمريد ضرورة ، وللخاصة خسة(١) ، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : الزهد فى الشبهة

(١) أى نزول عن مقامه الشريف وفى بعض النسخ « حسنة » أى ليس زهده فى الدنيا من ضرورياته .

(c) ketabton.com: The Digital Library

بعد ترك الحرام وهو يحصل بالحذر من المعتبة ، والأنفة من المنقصة ، وكراهية مشاركة الفساق ، والدرجة الثانية : الزهد فى الفضول وما زاد على المسكة(١) ، والبلاغ من القوت باغتنام التفرغ إلى عمارة الوقت ، وحسم الجائش(٢) ، والتحلى بحلية الأنبياء والصديقين ، والدرجة الثالثة : الزهد فى الزهد بثلاثة أشياء : باستحقار ما زهدت فيه ، واستواء الحالات عندك ، والذهاب عن شهود الاكتساب ناظرا إلى وادى الحقائق .

١٧ — باب الورع :

قال الله - عز وجل - « وثيابك فطهر » الورع توق مستقص على حذر أو تحرج على تعظيم ، وهو آخر مقام الزهد للعامة وأول مقام الزهد للمريد ، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : تجنب القبائح لصون النفس ، وتوفير الحسنات ، وصيانة الإيمان ، والدرجة الثانية : حفظ الحدود ، عند مالا بأس به إبقاء على الصيانة والتقوى، وصعوداً عن الدناءة ، وتخلصاً عن اقتحام الحدود والدرجة الثالثة : التورع عن كل داعية تدعو إلى شتات الوقت ، والتعلق بالتفرق ، وعارض يعارض حال الجمع .

١٨ — باب التبتل :

قال - عز وجل - : « وتبتل إليه تبتيلا » التبتل الانقطاع بالكلية ، وقوله - تعالى - إليه دعوة إلى التجريد المحض ، وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : تجريد الانقطاع عن الحظوظ واللحوظ إلى العالم خوفا أو رجاء أو مبالاة بحال ، بحسم الرجاء بالرضى ، وقطع الخوف بالتسليم ، ورفض المبالاات بشهود الحقيقة .

---

(١) ما يمسك الأبدان من الغذاء والشراب أى لا يرغب إلا ما زاد عن الاحتياج .

(٢) يقال « جاشت نفسه للشىء » إذا تشوقت إليه وتعلقت به .

(c) ketabton.com: The Digital Library

والدرجة الثانية : تجريد الانقطاع عن التعريج على النفس بمجانبة الهوى ، وتنسم روح الأنس ، وشيم برق الكشف ؛

والدرجة الثالثة : تجريد الانقطاع إلى السبق بتصحيح الاستقامة والاستغراق فى قصد الوصول ، والنظر إلى أوائل الجمع .

١٩ — باب الرجاء :

قال الله - عز وجل - : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر » الرجاء أضعف منازل المريد ؛ لأنه معارضة من وجه واعتراض من وجه ، وهو وقوع فى الرعونة(١) فى مذهب هذه الطائفة إلا ما فيه من فائدة واحدة ، ولها نطق باسمه التنزيل والسنة ودخل فى مسالك المحققين ، وتلك الفائدة أنه يفتر حرارة الخوف حتى لا يعدو إلى الإياس » .

٢٠ — باب الرغبة :

قال الله - عز وجل - : « ويدعوننا رغبا ورهبا » الرغبة إلى الحق بالحقيقة من الرجاء ، وهى فوق الرجاء لأن الرجاء طمع يحتاج إلى تحقيق ، والرغبة سلوك على تحقيق ، والرغبة على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : رغبة أهل الخبر تتولد من العلم ، فتبعث على الاجتهاد المنوط بالشهود ، وتصون السالك من وهن الفترة ، وتمنع صاحبها من الرجوع إلى غثاثة الرخص(٢) ، والدرجة الثانية : رغبة أرباب

---

(١) الرعونة الوقوف مع حظوظ النفس والوقوع فيها من حيث استحسان حاله التى رجا عليها الثواب ، ومتى رضى المريد فتر عن الجد وهى الرعونة ، والمراد بالمعارضة المخالفة لما أراده الله — تعالى — وبالاعتراض الاعتراض على القدر .

(٢) غثاثة الرخص : أى ضعيفها ويقابل الغث بالسمين .

(c) ketabton.com: The Digital Library

الحال ، وهى رغبة لا تبقى من المجهود إلا مبذولا ، ولا تدع للهمة ذبولا(١) ، ولا تترك غير المقصود مأمولا ، والدرجة الثالثة : رغبة أهل الشهود وهى تشرف تصحبه تقية(٢) وتحمله همة نقية(٣) ولا تبقى معه من التفرق بقية(٤) .

ثم ذكر « شيخ الإسلام » المعاملات فى عشرة أبواب ، وهى :- الرعاية ، والمراقبة ، والحرمة ، والإخلاص ، والتهذيب ، والاستقامة ، والتوكل ، والتفويض ، والثقة ، والتسليم .

٢١ — باب الرعاية :

قال الله - عز وجل - : « فما رعوها حق رعايتها » الرعاية صون بالعناية ، وهى على ثلاث درجات : رعاية الأعمال ، رعاية الأحوال ، ورعاية الأوقات .

٢٢ — باب المراقبة :

قال الله - عز وجل - : « لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة » المراقبة دوام ملاحظة المقصود ، وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : مراقبة الحق فى السير إليه على الدوام بين تعظيم مذهل ومداناة حاملة وسرور باعث ، والدرجة الثانية : مراقبة نظر الحق إليك برفض المعارضة(٥) وبالاعراض عن الاعتراض(٦) ونقض رعونة التعرض ،

---

(١) الذبول : هو الإنكسار .

(٢) أى حذر وهيبة .

(٣) أى خالصة من طلب غيره .

(٤) من الآثار التى يغتربها .

(٥) أى ما يعرض للقلب من الخواطر المشغلة .

(٦) اعراض عن الإعتراض أى عن التعرض على ما يرد على قلبه وفى بعض النسخ عن الأعراض أى طلب الجزاء على أعماله الحسنة .

(c) ketabton.com: The Digital Library

والدرجة الثالثة : مراقبة الأزل بمطالعة عين السبق استقبالا لعلم التوحيد ، ومراقبة ظهور إشارات الأزل على أحايين الأبد ، ومراقبة الخلاص من ربطة المراقبة .

٢٣ — باب الحرمة :

قال الله — عز وجل — : « ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » الحرمة هى التحرج عن المخالفات والمجاسرات .

٢٤ — باب الإخلاص :

قال الله — عز وجل — : « ألا لله الدين الخالص » الإخلاص تصفية العمل من كل شوب(١) .

٢٥ — باب التهذيب :

قال الله — عز وجل — : « فلما أفل قال لا أحب الآفلين » التهذيب محنة أهل البدايات ، وهو شريعة من شرائع الرياضة ، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : تهذيب الخدمة : أن لا تخالجها جهالة ، ولا تشوبها عادة ، ولا تقف عندها همة ، والدرجة الثانية : تهذيب الحال : وهو أن لا يجنح الحال إلى علم ولا يخضع لرسم ، ولا يلتفت إلى حظ ، والدرجة الثالثة : تهذيب القصد : وهو تصفيته من ذل الإكراه ، وتحفظه من مرض الفتور ، ونصرته على منازعات العلم .

---

(١) الشوب : الاختلال .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٢٦ — باب الاستقامة:

قال الله — عز وجل — : « فاستقيموا إليه » قوله — عز وجل — « إليه » إشارة إلى عين التفريد ، والاستقامة روح تحيا بها الأحوال ، كما تربو للعامة عليها الأعمال وهى برزخ بين أوهاد(١) التفرق وروابى(٢) الجمع .

٢٧ — باب التوكل :

قال الله - عز وجل - : « وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين » التوكل كلة الأمر إلى مالكه والتعويل على وكالته(٣) .

٢٨ — باب التفويض:

قال الله - عز وجل - حاكياً عن مؤمن آل فرعون : « وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد » التفويض ألطف إشارة وأوسع معنى من التوكل ، فإن التوكل بعد وقوع السبب والتفويض قبل وقوعه وبعده ، وهو عين الاستسلام والتوكل شعبة منه .

٢٩ — باب الثقة:

قال الله - عز وجل - : « فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم » الثقة سواد عين التوكل ، ونقطة دائرة التفويض ، وسويداء قلب التسليم(٤) .

---

(١) الأوهاد : المواضع الوطيئة.

(٢) الروابى : العالية .

(٣) التوكل فى العمل ؛ لأن التوكل إيجاب والإيجاب يقوم بالإيجاب وهو العمل ولا يقوم بالسلب أى عدم العمل، وثمرة التوكل الاطمئنان فى تفويض عاقبة الأمور إلى الله — تعالى — ، وعدم اليأس ، وعدم الإعجاب.

(٤) التوكل والثقة مطلوبتان فى العمل والجد والجهد .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٣٠ — باب التسليم :

قال الله - عز وجل - : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما » وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : تسليم ما يزاحم العقول مما يشق على الأوهام من الغيب ، والإذعان لما يغالب القياس من سير الدول(١) والقسم التى قسمها على خلقه ، والإجابة لما يفزع المريد من ركوب الأحوال ، والدرجة الثانية : تسليم العلم إلى الحال ، والقصد إلى الكشف ، والرسم إلى الحقيقة(٢) ، والدرجة الثالثة : تسليم ما دون الحق إلى الحق مع السلامة من رؤية التسليم بمعاينة تسليم الحق إياك إليه .

ثم ذكر « شيخ الإسلام » الأخلاق فى عشرة أبواب وهى :

الصبر ، والرضى والشكر ، والحياء ، والصدق ، والإيثار ، والخلق ، والتواضع ، والفتوة ، والانبساط .

٣١ — باب الصبر :

قال الله - عز وجل - : « واصبر وما صبرك إلا بالله » الصبر حبس النفس على جزع كامن عن الشكوى ، وهو على ثلاث درجات : الصبر عن المعصية ، الصبر على الطاعة ، والصبر فى البلاء ، قال الله -

---

(١) أى تحول المجتمع بالقوة أو الضعف .

(٢) هذا من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أى يسلم صاحب العلم لصاحب الحال ، وصاحب النية والقصد لصاحب الكشف ، وصاحب الوقوف على الرسوم من الأعمال والأحوال لصاحب الحقيقة .

(c) ketabton.com: The Digital Library

تعالى ـ : « اصبروا » أى فى البلاء ، و « صابروا » أى عن المعصية ، و « رابطوا » أى على الطاعة .

٣٢ — باب الرضى :

قال الله ـ عز وجل ـ : « ارجعى إلى ربك راضية مرضية » الرضى اسم للوقوف الصادق حيث ما وقف العبد لا يلتمس متقدماً ولا متأخراً ، ولا يستزيد مزيداً ، ولا يستبدل حالا .

٣٣ — باب الشكر :

قال الله ـ عز وجل ـ : « وقليل من عبادى الشكور » الشكر اسم لمعرفة النعمة ، لأنها السبيل إلى معرفة المنعم ، ولهذا المعنى سمى الله ـ تعالى ـ الإسلام والإيمان فى القرآن الكريم شكراً ، ومعانى الشكر ثلاثة أشياء : معرفة النعمة ، ثم قبول النعمة ، ثم الثناء بها .

٣٤ — باب الحياء :

قال الله ـ عز وجل ـ : « ألم يعلم بأن الله يرى » الحياء يتولد من تعظيم منوط بود(١)

٣٥ — باب الصدق :

قال الله ـ عز وجل ـ : « فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم » ، قال « الشيخ سديد الدين » : « الصدق حالة فى العبد حاملة

---

(١) المطلوب من الحياء الحياء من إتيان المنهيات والقبائح وخلاف الأدب ، أما فى الحسنات فالحياء بأن يعمل ويقيم بها .

(c) ketabton.com: The Digital Library

على إيقاع الفعل على وجهه مع الجد وعدم الفتور(١) ، وفى اللسان أخبار عما فى القلب كما هو عليه.

٣٦ — باب الإيثار :

قال الله - عز وجل - : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »الإيثار تخصيص واختيار(٢) ، والأثرة تحسر طوعا وتصح كرها.

٣٧ - باب الخلق :

قال الله - عز وجل : « وإنك لعلى خلق عظيم » الخلق ما يرجع إليه المتكلف (المجاهد) من نعته ، واجتمعت كلمة الناطقين فى هذا العلم أن التصوف هو الخلق ، وجماع الكلام فيه يدور على قطب واحد وهو : « بذل المعروف وكف الأذى » وإنما يدرك إمكان ذلك فى ثلاثة أشياء : فى العلم ، والجود ، والصبر.

٣٨ — باب التواضع :

قال الله - وجل - : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا » التواضع : أن يتواضع العبد لصولة الحق(٣) .

٣٩ — باب الفتوة :

قال الله - عز وجل - : « إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » نكتة الفتوة أن لا تشهد لك فضلا ولا ترى لك حقا ، وهى على

(١) من كتاب شرح منازل السائرين ص (٨٩] مطبعة : المعهد الفرنسى بالقاهرة.
(٢) أى بقصد ونية حسنة.
(٣) أى لدعوته وقهره ، والحق ها هنا ضد الباطل.

(c) ketabton.com: The Digital Library

ثلاث درجات : الدرجة الأولى : ترك الخصومة ، والتغافل عن الزلة ، ونسيان الأذية ، والدرجة الثانية : أن تقرب من يقصيك ، وتكرم من يؤذيك ، وتعتذر إلى من يجنى عليك سماحا لا كظما ، وتوددا وترأفا لا مصابرة ، والدرجة الثالثة : أن لا تتعلق فى المسير بدليل ، ولا تشوب إجابتك بعوض ، ولا تقف فى شهودك على رسم ، واعلم أن من أحوج عدوه إلى شفاعة ولم يخجل من المعذرة إليه لم يشم رائحة الفتوة .

٤٠ — باب الانبساط :

قال الله — عز وجل — : « حاكيا عن كليمه — عليه السلام — : « أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء » .

الانبساط إرسال السجية والتحاشى من وحشة الحشمة ، وهو السير مع الجبلة ، وهو على ثلاث درجات : مع الخلق ، مع الحق ، والانبساط فى الانطواء عن الانبساط . وهو رحب الهمة لانطواء انبساط العبد فى بسط الحق — جل جلاله — .

ثم ذكر « شيخ الإسلام » الأصول فى عشرة أبواب وهى : —

القصد ، والعزم ، والإرادة ، والأدب ، واليقين ، والأنس ، والذكر ، والفقر ، والغنى ، ومقام المراد .

٤١ — باب القصد :

قال الله — عز وجل — : « ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله

(c) ketabton.com: The Digital Library

ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » القصد الإزماع(١) على التجرد للطاعات .

٤٢ — باب العزم :

قال الله ـ عز وجل ـ : « فإذا عزمت فتوكل على الله » العزم تحقيق القصد طوعا أو كرها .

٤٣ — باب الإرادة :

قال الله ـ عز وجل — : « قل كل يعمل على شاكلته » الإرادة من قوانين هذا العلم وجوامع أبنيته وهى الإجابة لدواعى الحقيقة طوعا .

٤٤ — باب الأدب :

قال الله ـ عز وجل ـ : « والحافظون لحدود الله » الأدب حفظ الحد بين الغلو والجفاء بمعرفة ضرر العدوان .

٤٥ — باب اليقين :

قال الله ـ عز وجل ـ : « وفى الأرض آيات للموقنين » اليقين مركب الآخذ فى هذا الطريق ، وهو غاية درجات العامة ، وقيل أول خطوة الخاصة ، وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : علم اليقين . وهو قبول ما ظهر من الحق ، وقبول ما غاب للحق ، والوقوف على ما قام بالحق ، والدرجة الثانية : عين اليقين وهو الغنى بالاستدراك عن الاستدلال وعن الخبر بالعيان ، وخرق الشهود حجاب

---

(١) الإزماع : جمع الهمة على الشيء .

(c) ketabton.com: The Digital Library

العلم ، والدرجة الثالثة حق اليقين : وهو إسفار صبح الكشف (١) ، ثم الخلاص من كلفة اليقين ، ثم الفناء فى حق اليقين .

٤٦ — باب الأنس :

قال الله ـ عز وجل ـ : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب » الأنس عبارة عن روح القرب ، وذكر « شيخ الإسلام » له ثلاث درجات : الأنس بالشواهد ، الأنس بنور الكشف ، الأنس الذى هو اضمحلال فى شهود الحضرة .

٤٧ — باب الذكر :

قال الله ـ عز وجل ـ : « واذكر ربك إذا نسيت » يعنى إذا نسيت غيره ونسيت نفسك فى ذكرك ، ثم نسيت ذكرك فى ذكرك ، ثم نسيت فى ذكر الحق إياك كل ذكر ، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : الذكر الظاهر من ثناء أو دعاء . والدرجة الثانية : الذكر الخفى : وهو الخلاص من الفتور ، والبقاء مع الشهود ، ولزوم المسامرة ، والدرجة الثالثة : الذكر الحقيق : وهو شهود ذكر الحق إياك ، والتخلص من شهود ذكرك ، ومعرفة افتراء الذاكر فى بقائه مع ذكره .

٤٨ — باب الفقر :

قال الله ـ عز وجل ـ : « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله » الفقر إسم للبراءة من رؤية الملكة . (هذا مبالغة لأن الفقير يتبرأ من الملك لامن رؤية الملكة) .

---

(١) أى كال استنارة القلب بالكشف التام .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٤٩ — باب الغنى :

قال الله ـ عز وجل ـ : «ووجدك عائلا فأغنى» الغنى اسم للملك التام، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : غنى القلب. وهو سلامته من السبب، ومسالمته للحكم، وخلاصه من الخصومة، والدرجة الثانية : غنى النفس : وهو استقامتها على المرغوب، وسلامتها من المسخوط. وبراءتها من المراآة، والدرجة الثالثة : الغنى بالحق : وهو على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : شهود ذكره إياك، والثانية : دوام مطالعة أوليته، والثالثة : الفوز بوجوده.

٥٠ — باب مقام المراد :

قال الله ـ عز وجل ـ : «وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب»، قال «ابن قيم الجوزية» : وجه استشهاد «شيخ الإسلام» بالآية : أن الله ـ سبحانه ـ ألقى إلى رسوله كتابه وخصه بكرامته وأهله لرسالته ونبوته من غير أن يكون ذلك منه على رجاء أو ناله بكسب أو توسل إليه بعمل، بل هو أمر أريد به فهو المراد حقيقة (١) الفرق بين المراد والمريد هو أن «المراد» هو المجذوب و «المريد» هو السالك على طريق الجادة.

ذكر «شيخ الإسلام» الأدوية فى عشرة أبواب وهى :

الإحسان، والعلم، والحكمة، والبصيرة، والفراسة، والتعظيم، والإلهام، والسكينة، والطمأنينة، والهمة.

---

(١) من كتاب «مدارج السالكين» لـ «ابن قيم الجوزيه» ص (٤٥٣ — ٤٥٤).

(c) ketabton.com: The Digital Library

٥١ — باب الإحسان :

قال الله ـ عز وجل ـ : « هل جزاء الاحسان إلا الإحسان » قد ذكرنا فى صدر الكتاب أن الإحسان اسم جامع نبوى يجمع أبواب الحقائق وهو (أن تعبد الله كأنك تراه) .

٥٢ — باب العلم :

قال الله ـ عز وجل : وعلمناه من لدنا علما « العلم ما قام بدليل ودفع الجهل ، وهو على ثلاث درجات : علم جلى ، وعلم خفى ، وعلم لدنى .

٥٣ — باب الحكمة :

قال الله ـ عز وجل : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » الحكمة اسم لإحكام وضع الشىء موضعه (١) ، وهو على ثلاث درجات ، الدرجة الأولى : أن تعطى كل شىء حقه ، ولا تعديه حده ، ولا تعجله وقته ، والدرجه الثانية : أن تشهد نظر الله فى وعيده ، وتعرف عدله فى حكمه ، وتلاحظ بره فى منعه . والدرجة الثالثة . أن تبلغ فى استدلالك البصيرة ، وفى إرشادك الحقيقية ، وفى إشارتك الغاية .

٥٤ — باب البصيرة :

قال الله ـ عز وجل ـ : « قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » البصيرة ما يخلصك من الحيرة .

---

(١) هذا حق لأن العالم بالمصالح والمفاسد هو الذى يضع الأشياء فى مواضعها على أحسن الوجه وأبلغ النفع وأوثق الوضع ؛ وهو الحكيم حقا .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٥٥ — باب الفراسة :

قال الله ـ عز وجل ـ : « إن فى ذلك لآيات للمتوسمين » التوسم التفرس وهو استئناس حكم غيب من غير استدلال بشاهد ، ولا اعتبار بتجربة .

٥٦ — باب التعظيم :

قال الله ـ عز وجل ـ : « ما لكم لا ترجون لله وقارا » التعظيم معرفة العظمة مع التذلل لها ، وهو على ثلاث درجات : تعظيم الأمر والنهى ، وتعظيم الحكم ، وتعظيم الحق .

٥٧ — باب الإلهام :

قال الله ـ عز وجل ـ : « قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك قبل أن يرتد إليك طرفك » الإلهام مقام المحدثين (١) وهو فوق الفراسة ، لأن الفراسة ربما وقعت نادرة أو استصعبت على صاحبها وقتاً واستعصت عليه ، والإلهام لا يكون إلا فى مقام عتيد ، (الإلهام : إلقاء الخير فى قلب المؤمن) .

٥٨ — باب السكينة :

قال الله ـ عز وجل ـ : (وهو الذى أنزل السكينة (٢) فى قلوب

---

(١) قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إنه كان فى الأمم قبلكم محدثون ، فإن يكن فى هذه الأمة فعمر بن الخطاب » المحدث : هو الذى يحدث فى سره وقلبه بالشىء ، فيكون كما يحدث به . من كتاب « مدارج السالكين » ص ٣٩ .

(٢) السكينة الوقار من الله ـ تعالى ـ .

(c) ketabton.com: The Digital Library

المؤمنين) السكينة اسم لثلاثة أشياء : أولها سكينة بنى إسرائيل التى أعطوها فى التابوت ، قال أهل التفسير : « هى ريح هفافة » ، وذكروا صفتها ، وفيها ثلاثة أشياء : هى لأنبيائهم معجزة ، ولملوكهم كرامة ، وهى آية النصرة تخلع قلوب العدو بصوتها رعبا ، والسكينة الثانية التى تنطق على ألسن المحدثين ليست هى شيئا يملك (بل) إنما هى شىء من لطائف صنع الحق تلقى على لسان المحدث الحكمة ، كما يلقى الملك الوحى على قلوب الأنبياء ، وتنطق المحدثين بنكت الحقائق مع ترويح الأسرار (أى يعطى روحا للأسرار) وكشف الشبه ، والسكينة الثالثة : هى التى أنزلت فى قلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقلوب المؤمنين ، وهى شىء يجمع نورا ، وقوة ، وروحا ، يسكن إليه الخائف ، ويتسلى به الحزين والضجر ، ويستكين له العصى والجرىء والأبى .

٥٩ — باب الطمأنينة :

قال الله ـ عز وجل ـ : « يا أيتها النفس المطمئنة » الطمأنينة سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان ، وبينه وبين السكينة فرقان : أحدهما : أن السكينة صولة تورث خمود الهيبة أحياناً ، والطمأنينة سكون أمن فيه استراحة أنس ، والثانى : أن السكينة تكون نعتا ، وتكون حينا بعد حين ، والطمأنينة نعت لا يزايل صاحبه .

٦٠ — باب الهمة .

قال الله ـ عز وجل ـ : « ما زاغ البصر وما طغى » الهمة ما يملك الانبعاث للمقصود صرفا لا يتمالك صاحبها ولا يلتفت عنها ، وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : همة تصون القلب من خسة الرغبة فى الفانى ،

(c) ketabton.com: The Digital Library

وتحمله على الرغبة فى الباقى ، وتصفيه من كدر التوانى (١) ، والدرجة الثانية : همة تورث أنفة من المبالاة بالعلل ، والنزول عن العمل ، والثقة بالأمل ، والدرجة الثالثة ; همة تصاعد عن الأحوال والمقامات ، وتزرى (٢) بالأعواض والدرجات ، وتنحو عن النعوت نحو الذات .

ثم ذكر « شيخ الإسلام » الأحوال فى عشرة أبواب ، وهى : -

المحبة ، والغيرة ، والشوق ، والقلق ، والعطش ، والوجد ، والدهش ، والهيمان ، والبرق ، والذوق .

٦١ — باب المحبة :

قال الله - عز وجل - : « من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » المحبة تعلق القلب بين الهمة والأنس فى البذل والمنع (٣) على الإفراد (٤) ، والمحبة أول أودية الفناء (٥) والعقبة التى ينحدر منها على منازل المحو (٦) ، وهى آخر منزل تلتقى فيه مقدمة

---

(١) التوانى : الكسل .

(٢) تزرى : تعيب أو تهاون .

(٣) أى تعلق القلب بالمحبوب تعلقاً مقروناً بهمة المحب وأنسه بالمحبوب فى حالتى بذله ومنعه ، وإفراده بذلك التعلق بحيث لايكون لغيره فيه نصيب ، والمراد بالبذل والمنع إما بذل الروح والنفس لمحبوبه ومنعها عن غيره فيكون البذل والمنع صفة المحب ، وإما بذل الحبيب ومنعه للنعم .

(٤) المقصود إفراد المحب لمحبوبه بالتوحيد والمحبة .

(٥) فناء خواطر المحب عن التعلق بالغير .

(٦) أول منازل المحو هو محو الأفعال فى فعل الحق - تعالى - فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلا ، والثانى محو الصفات فلا يرى الصفات إلا وهبة وهبها .

(c) ketabton.com: The Digital Library

العامة وساقة الخاصة ، وما دونها أغراض لأعواض ، والمحبة هي سمة الطائفة (١) ، وعنوان الطريقة (٢) ، ومعقد النسبة (٣) .

٦٢ – باب الغيرة :

قال الله – عز وجل – حاكيا عن سليمان – عليه السلام – : « ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق ، الغيرة سقوط الاحتمال ضنا (بخلا) والضيق عن الصبر نفساسة (منافسة لا جزعا) .

٦٣ – باب الشوق :

قال الله – عز وجل – : « من كان يرجوا لقاء الله فإن أجل الله لآت » الشوق هبوب القلب إلى غائب ، ثم هو على ثلاث درجات : شوق العابد إلى الجنة . وشوق إلى الله – عز وجل – ، ونار أضرمها صفو المحبة .

٦٤ – باب القلق :

قال الله – عز وجل – حاكيا عن موسى – عليه السلام – : « وعجلت إليك رب لترضى » القلق تحريك الشوق بإسقاط الصبر ،

٦٥ – باب العطش :

قال الله – عز وجل – حاكياً عن خليله – عليه السلام – فلما جن

---

(١) المسافرين إلى ربهم .
(٢) أي دليلها .
(٣) أي النسبة بين الرب وبين العبد .

(c) ketabton.com: The Digital Library

عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى » العطش كناية عن غلبة ولوع (١) بمأمول .

٦٦ — باب الوجد :

قال الله - عز وجل - : « وربطنا على قلوبهم إذ قاموا » الوجد لهب يتأجج من شهود عارض مقلق .

٦٧ — باب الدهش :

قال الله - عز وجل - : « فلما رأينه أكبرنه » الدهش بهتة تأخذ العبد إذا فاجأه ما يغلب عقله أو صبره أو علمه .

٦٨ — باب الهيمان :

قال الله - عز وجل - : « وخر موسى صعقا » الهيمان ذهاب عن التماسك تعجبا أو حيرة ، وهو أثبت دواما وأملك بالنعت من الدهش .

٦٩ — باب البرق :

قال الله - عز وجل - : « إذ رأى ناراً » البرق باكورة تلمع للعبد فتدعوه إلى الدخول فى هـذا الطريق ، والفرق بينه وبين الوجد ، أن الوجد يقع بعد الدخول فيه ، فالوجد زاد (٢) ، والبرق إذن (٣) .

---

(١) اشتعال وتعلق .

(٢) يعنى أنه يصحب السالك كما يصحبه زاده .

(٣) يعنى إذن فى السلوك .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٧٠ — باب الذوق :

قال الله - عز وجل - : هذا ذكر ، الذوق أبق من الوجد وأجلى من البرق ، كتب « ابن قيم الجوزية » أن الذوق مقدمة الشرب ، كما أن التذكر مقدمة المعرفة ، ومنه يدخل إلى مقام الإيمان والإحسان ، فإنه إذا تذكر أبصر الحقيقة (١) .

ثم ذكر « شيخ الإسلام » الولايات فى عشرة أبواب ، وهى : اللحظ ، والوقت ، والصفاء ، والسرور ، والسر ، والنفس ، والغربة ، والغرق ، والغيبة ، والتمكن .

٧١ — باب اللحظ :

قال الله - عز وجل - : « أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى » . اللحظ لمح مسترق (٢) ، وهو فى هذا الباب على ثلاث درجات : ملاحظة الفضل سابقا ، وملاحظة نور الكشف ، وملاحظة عين الجمع .

٧٢ — باب الوقت :

قال الله - عز وجل - : « ثم جئت على قدر يا موسى » الوقت اسم لظرف

---

(١) من كتاب « مدارج السالكين » ص ٨٩ .

(٢) مسترق أما بالتخفيف أى لمح بسرقة وخفية بحيث لا يشعر به الملموح لتعظمه وإجلاله أو خوفه وسطوته ، أو محبته ، أو الحياء من الملموح ، أو بتشديد القاف أى لمح يجعل قلب اللامح رقيقا بجمال الملموح وكماله .

(c) ketabton.com: The Digital Library

الكون وهو اسم فى هذا الباب لثلاث معان : حين وجد صادق ، واسم ، لطريق سالك والوقت الحق .

٧٣ — باب الصفاء :

قال الله - عز وجل - : « وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار » الصفاء اسم للبراءة من الكدر ، وهو فى هذا الباب سقوط التلوين .

٧٤ — باب السرور :

قال الله - عز وجل - : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا » وهو أصفى من الفرح ؛ لأن الأفراح ربما شابتها الأحزان ، ولذلك نزل القرآن باسمه فى أفراح الدنيا فى مواضع ، وورود اسم السرور فى موضعين من القرآن فى حال الآخرة .

٧٥ — باب السر :

قال الله - عز وجل - : « الله أعلم بما فى أنفسهم » أصحاب السر هم الأخفياء الذين ورد فيهم الخبر (١) .

٧٦ — باب النفس :

قال الله - عز وجل - : « فلما أفاق قال سبحانك » يسمى النفس

---

(١) الخبر : هو قوله — عليه السلام — : « الذين إذا حضروا لم يعرفوا ، وإذا غابوا لم يفقدوا ، وإذا شهدوا لم يستشاروا ، وفى رواية : وإذا خطبوا لم ينكحوا » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

نفسا لترويح المتنفس به ، والأنفاس ثلاثة : نفس فى حين استتار ، نفس فى حين التجلى ، ونفس مطهر بماء القدس .

٧٧ — باب الغربة :

قال الله - عز وجل - : « فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم » « الاغتراب اسم يشار به إلى الانفراد عن الأكفاء » ، كتب « ابن قيم الجوزية » : « يريد أن كل من انفرد بوصف شريف دون أبناء جنسه ، فإنه غريب بينهم لعدم مشاركه أو لقلته »(١) .

٧٨ — باب الغرق :

قال الله - عز وجل - : « فلما أسلما وتله للجبين » هذا اسم يشار به فى هذا الباب إلى من توسط المقام(٢) وجاوز حد التفرق . وجه الاستدلال باشارة الآية هو : « أن ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه السلام - لما بلغ هو وولده فى المبادرة إلى الامتثال ألقاه الوالد على جبينه فى الحال وأخذ الشفرة وأهوى إلى حلقه ، فأعرض فى تلك الحال عن نفسه وولده وفنى بأمر الله عنهما ، فتوسط فى المقام ووصل بحر جمع السر والقلب والهم على الله ، وجاوز حد التفرقة المانعة من امتثال هذا الأمر » .

---

(١) من كتاب « مدارج السالكين » ج (٣) ص (٢٠١) .

(٢) المقام عند السالكين يختلف باختلاف مراتبه وله بداية وتوسط ونهاية ، والغرق فى وسط المقام .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٧٩ — باب الغيبة :

قال الله ـ عز وجل ـ : « وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف » الغيبة التى يشار بها فى هذا الباب على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : غيبة المريد فى تخلص القصد عن أيدى العلائق ودرك العوائق لالتماس الحقائق ، والدرجة الثانية : غيبة السالك عن رسوم العلم ، وعلل السعى ، ورخص الفتور ، والدرجة الثالثة : غيبة العارف : عن عيون الأحوال والشواهد والدرجات فى حصن الجمع .

٨٠ — باب التمكن :

قال الله ـ عز وجل ـ : « ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » التمكن فوق الطمأنينة وهو إشارة إلى غاية الاستقرار ، وهو على ثلاث درجات : تمكن المريد ، وتمكن السالك ، وتمكن العارف .

ثم ذكر « شيخ الإسلام » الحقائق فى عشرة أبواب وهى : —

المكاشفة ، والمشاهدة ، والمعاينة ، والحياة ، والقبض ، والبسط والسكر ، والصحو ، والاتصال ، والانفصال .

٨١ — باب المكاشفة :

قال الله ـ عز وجل ـ : « فأوحى إلى عبده ما أوحى » المكاشفة مهاداة السر بين متباطنين[١] ، وهى فى هذا الباب بلوغ ما وراء

---

(١) مهاداة السر : أى تردد السر على وجه الألطاف والمودة بين متباطنين : أى باطن المكاشف بكسر الشين والمكاشف بفتح الشين ، فيريد بمهاداة السر بين متباطنين . اطلاع أحد المتحابين المتصافيين صاحبه على باطن أمره وسره .

(c) ketabton.com: The Digital Library

الحجاب وجـــودا (١) ، كتب « حسن بن محمد الفركاوى » قيل : المـكاشفة هى علم يخلقه الله فى قلب العبد يطلعه به على عجائب ما شاهد (٢) ، وكتب « الإمام سديد الدين » : المقصود بهـا فى هذا المحل بلوغ العبد بعون الحق إلى مطالعة ما اتصف به الحق من كمال الصفات ، والتفضل بأنواع المواهب والـكرامات عن وجـــود وتحقيق (٣) .

٨٢ — باب المشاهدة :

قال الله ـ عز وجل ـ : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » المشاهدة : سقوط الحجاب بتا ، وهى فوق المـكاشفة لأن المكاشفة ولاية النعت (٤) وفيه شىء من بقاء الرسم ، والمشاهدة ولاية العين والذات ، وهى على ثلاث درجات : مشاهدة معرفة ، ومشاهدة معاينة ، ومشاهدة جمع .

٨٣ — باب المعاينة :

قال الله ـ عز وجل ـ : « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل » المعاينات ثلاث : أحداها معاينة الأبصار ، والثانية : معاينة عين القلب ، والمعاينة الثالثة : معاينة عين الروح .

---

(١) وجودا احتراز من بلوغه سماعا وعلما .

(٢) من كتاب « شرح منازل السائرين » ص (١٢١) .

(٣) من كتاب شرح « سديد الدين » ص (١٩٠) .

(٤) يريد أن المـكاشفة تتعلق بالصفات الإلهية .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٨٤ — باب الحياة :

قال الله ـ عز وجل ـ : « أو من كان ميتا فأحييناه » اسم الحياة فى هذا الباب يشار به إلى ثلاثة أشياء : الحياة الأولى : حياة العلم من موت الجهل لها ثلاثة أنفاس : نفس الخوف ، ونفس الرجاء ونفس المحبة . والحياة الثانية : حياة الجمع من موت التفرقة : لها ثلاثة أنفاس: نفس الاضطرار ، ونفس الإفتقار ، ونفس الإفتخار . والحياة الثالثة : حياة الوجود : وهى حياة بالحق لها ثلاثة أنفاس : نفس الهيبة وهو يميت الاعتلال ، ونفس الوجود وهو يمنع الانفصال ، ونفس الانفراد وهو يورث الاتصال ، وليس وراء ذلك ملحظ للنظارة ولا طاقة للإشارة .

٨٥ — باب القبض :

قال الله ـ عز وجل ـ : « ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيرا » القبض فى هذا الباب اسم يشار به إلى مقام الضنائن الذين ادخرهم الحق اصطناعا لنفسه (١) .

٨٦ — باب البسط .

قال الله ـ عز وجل ـ : « يذرؤكم فيه » البسط أن ترسل شواهد العبد فى مدارج العلم ، ويسبل على باطنه رداء الاختصاص وهم أهل التلبيس (٢) .

---

(١) الضنائن : جمع ضنينة وهى الخاصة ، يضن بها صاحبها أى يبخل ببذلها ويصطفيها لنفسه ، والادخار من الذخر وهو ما يعده المرء لحوائجه ومصالحه ، والاصطناع بمعنى الاصطفاء .

(٢) هم مع الناس مخالطون ، والناس يرون ظواهرهم ، وقد ستر الله حقائقهم =

(c) ketabton.com: The Digital Library

(٨٧) باب السكر :

قال الله ـ عز وجل ـ حاكيا عن كليمه ـ عليه السلام ـ : « قال رب أرنى أنظر إليك » السكر فى هذا الباب اسم يشار به إلى سقوط التمالك فى الطرب ، وهذا من مقامات المحبين خاصة ، فإن عيون الفناء لاتقبله ومنازل العلم لا تبلغه ، وللسكر ثلاث علامات : الضيق عن الاشتغال بالخبر والتعظيم قائم ، واقتحام لجة الشوق والتمكن دائم ، والغرق فى بحر السرور والصبر هائم (ذاهب عنه) ، ونعم ما قال « شيخ الإسلام » بعده : « وما سوى ذلك فكله نقائص البصائر كسكر الحرص ، وسكر الجهل ، وسكر الشهوة » .

٨٨ — باب الصحو :

قال الله ـ عز وجل ـ : « حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق » الصحو فوق السكر وهو يناسب مقام البسط ، والصحو مقام صاعد عن الانتظار مغن عن الطلب طاهر من الحرج فإن السكر إنما هو فى الحق ، والصحو إنما هو بالحق .

= وأحوالهم وكراماتهم عن رؤية الخلق لها ؛ لئلا يفتتنوا بهم ، فحالهم ملتبس على الناس لا يعرفونه ، فإذا رأوا منهم ما يرون من أبناء الدنيا من الأكل والشرب وسائر المعاملات الدنيوية قالوا : هؤلاء من أهل الدنيا ، وإذا رأوا منهم الجد ، والهمم ، والصبر ، والصدق ، وحلاوة المعرفة ، والايمان ، والذكر ، وسائر الأخلاق السامية قالوا : هؤلاء من أبناء الآخرة .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٨٩ — باب الاتصال :

قال الله ـ عز وجل ـ : « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » والاتصال ثلاث درجات الدرجة الأولى : إتصال الاعتصام ، ثم اتصال الشهود ، ثم اتصال الوجود ، فاتصال الاعتصام تصحيح القصد ، ثم تصفية الإرادة ، ثم تحقيق الحال ، والدرجة الثانية : اتصال الشهود ، وهو الخلاص من الاعتلال ، والغنى عن الاستدلال ، وسقوط شتات الأسرار ، والدرجة الثالثة : اتصال الوجود ، وهذا الاتصال لا يدرك منه نعت ولا مقدار إلا إسم معار ولمح إليه مشار .

٩٠ — باب الانفصال :

قال الله ـ عز وجل ـ : « ويحذركم الله نفسه » .

ثم ذكر « شيخ الإسلام » النهايات فى عشرة أبواب ، وهى :

المعرفة ، والفناء ، والبقاء ، والتحقيق ، والتلبيس ، والوجود ، والتجريد ، والتفريد ، والجمع ، والتوحيد .

٩١ — باب المعرفة :

قال الله ـ عز وجل ـ : « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » المعرفة إحاطة بعين الشىء كما هو(١) ، وهى على ثلاث درجات ، والخلق فيها ثلاث فرق : معرفة الصفات

---

(١) الإحاطة بعين الشىء كما هو تكون فى معرفة العامة باعتبار الصفات والنعوت . وفى معرفة الخاصة بالتقرب إلى الذات ، وفى معرفة خاصة الخاصة بالاستغراق فى حب الله بحيث لا يضيع دقيقة من حياته بدون مشاهدة الله هى مرتبة علم لدنى لا دخل فيها للاستدلال ولا للوسائل الصورية ، ولا يمكن التعبير عنها كما هو .

(c) ketabton.com: The Digital Library

والنعوت، وهى معرفة العامة، ومعرفة الذات، وهى معرفة الخاصة، ومعرفة مستغرقة فى محض التعريف لا يوصل إليها الاستدلال ولا يدل عليها شاهد ولا تستحقها وسيلة، وهى معرفة خاصة الخاصة».

٩٢ — باب الفناء :

قال الله ـ عز وجل ـ : «كل من عليها فان ويبقى وجه ربك» الفناء فى هذا الباب اضمحلال ما دون الحق علماً، ثم جحداً، ثم حقاً(١).

٩٣ — باب البقاء :

قال الله ـ عز وجل ـ : «والله خير وأبقى» البقاء اسم لما بقى قائماً بعد فناء الشواهد وسقوطها، وهو على ثلاث درجات : بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عيناً(٢) لا علماً، وبقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجوداً لا نعتاً، وبقاء ما لم يزل حقاً بإسقاط ما لم يكن محواً(٣).

٩٤ — باب التحقيق :

قال الله ـ عز وجل ـ : «أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى

---

(١) هذه الثلاثة هى مراتب الاضمحلال، فإن الرب — سبحانه ـ إذا رقى نور باطن عبده وعقله بالعلم تدريجاً فهو فى المرتبة الأولى يرى أنه لا خالق سواه، ولا رب غيره، ولا يملك الضر والنفع غيره، ولا يستحق أن يعبد سواه، فهذا توحيد العلم، وفى الثانية يشهد أن أفعال العباد تعود إلى أفعاله — سبحانه — فيجحد أن يكون لسواه من نفسه شىء البتة، ثم إذا رقاه إلى المرتبة الثالثة يشهد قيام العوالم كلها به — تعالى — أى بإقامته لها وإمساكه لها فهو الموجود الحقيقى المستغنى عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه بالذات لا قيام له بنفسه طرفة عين.

(٢) عيناً حال من البقاء : أى باق عيناً لا علماً مجرداً.

(٣) وبقاء تعظيم من لم يزل بذكره، وحبه، والاشتغال به لا بغيره.

(c) ketabton.com: The Digital Library

«التحقيق تلخيص مصحوبك من الحق[١]، ثم بالحق، ثم فى الحق».

٩٥ — باب التلبيس :

قال الله - عز وجل - : «وللبسنا عليهم ما يلبسون» التلبيس تورية بشاهد معار عن موجود قائم[٢]. (المراد بشاهد معار الظاهر الذى أعاره وبموجود قائم ما ستر على الغير).

٩٦ — باب الوجود :

أطلق الله - عز وجل - فى القرآن اسم الوجود صريحاً فى مواضع، فقال : «يجد الله غفوراً رحيما»، «لوجدوا الله تواباً رحيما»، «ووجد الله عنده» الوجود اسم للظفر بحقيقة الشىء.

٩٧ — باب التجريد :

قال الله - عز وجل - : «فاخلع نعليك» التجريد انخلاع عن شهود الشواهد، (والمراد بالشواهد ما سوى الحق - سبحانه -).

٩٨ — باب التفريد :

قال الله - عز وجل - : «ويعلمون أن الله هو الحق المبين» التفريد اسم لتخليص الإشارة إلى الحق، ثم بالحق، ثم عن الحق[٣]. (الفرق بين التجريد والتفريد : أن «التجريد» إنقطاع عن الأغيار و «التفريد» افراد الحق بالإيثار فإذن الأول متعلق بالعبودية، والثانى بالمعبود).

---

(١) المصحوب المعلوم والحق هو الله — سبحانه —، فمصحوب العبد من الحق هو معرفته ومحبته، وتلخيصه هو تلخيصه من المفسدات القاطعة عنه.

(٢) خوفاً من الفتنة، أو للامتحان.

(٣) كتب «ابن قيم الجوزية» الإشارة إليه غاية، والإشارة به وجود =

(c) ketabton.com: The Digital Library

٩٩ - باب الجمع :

قال الله - عز وجل - : «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» الجمع ما أسقط التفرقة(١)، وقطع الإشارة، وشخص عن الماء والطين(٢) بعد صحة التمكين والبراءة من التلوين، والخلاص من شهود الثنوية، والتنافى من إحساس الاعتلال، والتنافى من شهود شهودها».

١٠٠ - باب التوحيد :

التوحيد عند «شيخ الإسلام» كما ذكرناه سالفاً هو أن ينزه العبد الله - جل شأنه - عن كل ما يعرض للحوادث، ولما كان علم العبد ومعرفته لا يمكن أن يصل إلى كنه الوحدانية القائمة به - تعالى - فتنزيهه له ناقص، فإذن الوحدانية التى اتصف بها الله - تعالى - حقيقتها خارجة عن حد تعبيرات العباد، فلذلك أنشد «عبد الله الأنصارى» فى حق توحيد الصوفى، وقال :

= والإشارة عنه إخبار وتبليغ، فمن خلصت إشارته إلى الحق كان من المخلصين، ومن كانت إشارته به فهو من الصادقين، ومن كانت إشارته عنه فهو من المبلغين، ومن اجتمعت له الثلاثة فهو من الأئمة العارفين» ص (٤٢١) «مدارج السالكين».

(١) المراد بالجمع : الجمع بين الإرادة وبين الطلب على مراد المطلوب وحده، وبالتفرقة تفرقة الهمة والإرادة، أو يراد بالجمع جمع الشهود، وبالتفرقة ماينافى ذلك.

(٢) شخص عن الماء والطين : أى عن عوارض المادية وهذا إنما يصح بعد الاستقرار فى معرفة الله - تعالى - وبعد الاحتراز من التلوينات المادية ومشاهدات الشرك وما يعتل الحواس بحيث ينقي مواهبه عن كل ما يشغله غير الله - سبحانه وتعالى -.

(c) ketabton.com: The Digital Library

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحـــد
توحيده إياه توحيـــده ونعت من ينعته لاحد(١)

يظهر من المطالعة العميقة لما جاء به « شيخ الإسلام » من مائة مقام أنه بقوة ذكائه ، واستمرار مطالعته ، وكفاحه العملى وصل إلى درجة أن رسم خطة إصلاحاته الروحية والأخلاقية فى مائة مقام ، فرتب المقامات وما فيها على نهج يسهل على السالكين معرفتها .

لا أنكر أن « شيخ الإسلام » استفاد فى معرفة أكثر هذه المقامات من أقوال المتصوفين العظماء ، ولكن أقوالهم ليس بهذا الترتيب والتحليل الدقيق ، والسر الأصلى هو أنه لطول دقته فى الآيات القرآنية والعمل المستمر منه فى السلوك على الصراط المستقيم أمكنه أن يقدم المبادىء الروحية الجديدة فى أحسن وأدق صورة .

نعم : هو اتجه أولا إلى الأمراض الروحية والإجتماعية والخلقية، ثم حاول أن يعرف العلاج الناجح حتى استطاع أن يملى نسخة صحيحة لمعالجة هذه الأمراض .

لا شك أن « شيخ الإسلام » أدرج فى مقاماته من القيم الروحية التى تزداد قيمتها وأهميتها على مر الدهور ، وأن من يقرأها يجد فيها روح الحياة ، والصلاح ؛ والفلاح ، والسعادة .

فلهذا حاول كثير من العلماء العظماء فهم مقامات كتاب « منازل السائرين »

---

(١) من كتاب « منازل السائرين » لـ « عبد الله الأنصارى » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

فكتبوا عليه ثمانية عشر شرحاً ، واتفق العلماء بأن هذا الكتاب أحسن الكتب التى كتبت فى التصوف لمعرفة المنازل والمقامات التى يسير عليها السالك فى الوصول إلى الحق .

ثم بعد التجارب الكثيرة التى مرت على « شيخ الإسلام » « عبد الله الأنصارى » عرف العلل التى تدخل فى تلك المقامات وتخفى على المريد المبتدىء ، فأملى « شيخ الإسلام » على تلميذه « صالح أبى الفتح » فى جواب ما سأله عنه الرسالة الصغيرة التى سميت بـ « علل المقامات » ، ولما كان فى هـــذه الرسالة من أهم القيم العلمية وأن العثور عليها لا يحصـل إلا بالمشقة ، فهأنذا أقدم نصوصها فيما يأتى :

(c) ketabton.com: The Digital Library

نصوص رسالة « علل المقامات » لـ « عبد الله الأنصارى »
التى تتعلق بالآداب الباطنية

أخبرنا الشيخ الإمام « برهان الدين أبو الفتح يوسف بن محمد ابن مقلد التنوخى الدمشقى » — رحمه الله — قال : « قرأت على الشيخ الإمام الصالح « أبى الفتح عبد الملك أبى القاسم الكروخى » من كتابه الذى منه نقلت فأقر به ، قال « شيخ الإسلام » « أبو اسماعيل عبد الله ابن محمد الأنصارى » فى حق شىء من العلل التى تدخل المقامات وتخفى على المريد المبتدىء ما يأتى :—

باب الإرادة :

أما الإرادة فإنها للعوام ، وهى صحة القصد وعزم النية والإزماع (١) على طلب ، وهى فى طريق الخاصة تفرق ورجوع إلى النفس ، فإن إرادة العبد عين حظه وهو رأس الدعوى ، وإنما الجمع والوجود والفناء فهى حيثما يراد بالعبد ، ويراد له ، ويريد مولاه « وإن يردك بخير فلا راد لفضله » .

باب الزهد :

وأما الزهد فإنه للعوام ، وهو حبس النفس عن الملذات ، وإمساكها عن الفضول ، وحسم الجأش (٢) ، وقطع الهوى ، وذكر مالا يغنى عن

---

(١) الازماع : عبارة عن دهشة ورعدة تعترى الإنسان إذا هم بالأمر الأهم .
(٢) جأش : اضطراب .

(c) ketabton.com: The Digital Library

كل شيء ، وهذا فى طريق الخاص تعظيم الدنيا والاحتباس عن انتفادها وأصله تعذيب الظاهر بتركها مع تعلق الباطن ببالها فان المبالاة بالدنى عين الرجوع إلى ذاتك وإلا ساءت فى منازعة نفسك وافناء وقتك فى شهود حسك وبقاءك معك (فامنن أو أمسك بغير حساب) »[١] .

باب التوكل :

وأما التوكل فانه للعوام ، وهو أن تكل الأمر إلى مولاك والتجاؤك إلى علمه ورأفته ليدبره لك ويكفيك ، وهذا فى طريق الخاص عمى عن الكفاية لأن الله — تعالى — لم يترك أمراً مهملا إلى مكفيا على قدر وإن اختلف فى العقول ، وتشوش الأعين ، أو اضطرب فى المعهود ، أو تراجع فى التجاذب ، وهو الأول المدبر ، والتدبير أقدم[٢] .

باب الصبر :

وأما الصبر فهو كف الشكوى على مرارة البلوى ، وعقد اللسان عن الحكاية عن كف الأذى ، وتوطين النفس على المكروه ، وهذا فى طريق الخاص حجاب ؛ لأنه منازعة فإن أصل هذا كتمان الشكوى ، والحقيقة الخروج عن الشكوى فى التلذذ باختيار المولى والذهاب به عن كل حال وارد بمر أو حلو (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) .

---

(١) الحاصل أن الزهد عند العامة هو حبس النفس وإمساكها عن المذوذات والفضول ، وقطع الاضطرابات والهوى ، وعند الخواص قطع العلائق عن كل ما يشغلك حتى عن الزهد أيضاً .

(٢) التوكل عند العوام : التجاء واتكال إلى المولى ، وعند الخواص لا حاجة إلى هذه المشقة ، بل يلزم الاعتماد بأنه لم يترك أمرا مهملا إلا مكيفيا على قدر .

(c) ketabton.com: The Digital Library

باب الحـزن :

وأما الحزن فهو الانخلاع عن البطر والملذذات ، وملازمة الكآبة ، وهو للعوام ، فإنه نسيان المنة والبقاء فى رق الطمع ، وهذا فى طريق الخاص حجاب ؛ لأن معرفة الله تعالى — جلى نورها كل ظلمة وكشف سرورها كل غمة (فبذلك فليفرحوا) .

باب الخوف :

وأما الخوف فهو التيقظ لنداء الوعيد ، والحذر مما تثمره الغفلات وتوجيه الجنايات ، وهو للعوام ، وفى طريق الخاص هـو أصل رضى العبد بفعله لأنه يرضى بعض أفعاله ويخاف بعضها وهو يؤدى إلى طلب الأمان من مولاه الذى يستحق محبته ، والخائف باق فى مشـاهدة ذاته والنضح (١) عن نفسه ، ولا يؤمن أن يعبد مولاه على وحشة من نظره ونفرة من الأنس به عن فـكره (ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم) .

باب الرجـاء :

وأما الرجاء فهو انتظار غائب وطلب مفقود ، وهو للعـوام ، وفى طريق الحق شـكوى وعمى ، ومن هو على سبيل البرطاف وفى بحر الجود غريق وتحت وابل الإحسـان مغمور لم يـدع له ما شاهـد من مولاه مستزاداً ، ولا كشف له عمـا طالعه به فى الدارين مرادا . والرجاء وهن وعقال ، وفى طريق الفطرة علة وعلى العبودية اتجار (مادون الله تريدون) .

---

(١) النضح : الدفاع . من « المنجد » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

باب الشكر :

وأما الشكر فهو رؤية النعمة، والثناء على معطيها، والقيام بحقها، والإقرار بوجودها، وهو للعوام لأنه معارضة طوله بحولك، وفي طريق الخاص هو القيام بمكافأة المعطي، والهرب من رق المنة، والاستراحة من حق الجود، والظهور في معرض المقاومة واللحوظ إلى قوة النفس، وهو عين البقاء (لا تحصوها) .

باب المحبة :

وأما المحبة أي محبة العبد ربه فهو طلوع العبد بين يدي عزة مولاه، وهي في طريق العوام عمدة الإيمان، وفي طريق الخاص علة الفناء، لأن العوام بها يجتلبون الخدمة ويتحملون المحنة، وفي طريق الخاص كل ما كان نتيجة من العبد فهو عذر يليق بعجز العبد وفاقته، وأما عين الحقيقة عند الخاص أن يكون للعبد إقامة الحق بقيامه له ووده له ونظره له من غير أن يبقى من العبد بقية له تتوقف على رسم أو تنوط باسم أو تتعلق بأثر أو توصف بنعت أو تنسب إلى وقت (لدينا محضرون) .

باب الشوق :

وأما الشوق فهو غلبة ذكر متمن، واضطرار الصبر عن فقده، وشدة طلبه، وهو للعوام، وفي طريق الخاص علة؛ لأن الشوق يكون إلى غائب والمشتاق إليه حاضر، وطريق الخاص أن يكون غائبا والحق حاضر، ولم ينطق بالشوق كتاب ولا سنة صحيحة؛ لأن الشوق مخبر عن بعد، ومشير إلى غيبة، ومتطلع إلى إدراك (وهو معكم أينما كنتم) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

طريق الخاصة :

واعلم أن التأنى للمتعلم والمسترشد ، والتعاسر على المنيع للسائل ، وخرق سفينة المساكين ، وقتل الغلام غير البالغ ليس من قدرة الخلق فى شىء بالابدال عنها لكن إرادة أهل الخصوص التجرد عن المرادات كلها بمشاهدة مراد الحق فيه وله وإياه (أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته) ، فزهدهم جمع الهمة عن تفرقات الكون لأن الحق عافاهم بنور الكشف عن التعلق بالأحوال (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) وتوكلهم رضاهم بتدبير الحق وتخلصهم من تدبيرهم ، والضيق الداعى إلى تفويض أمورهم إلى استصلاح شأنهم ، لوقوعهم على فراغ المدبر عن كفايتهم ، ومرها على علمه مصالحهم ، وتخلصهم من منازعته فيها (راضية مرضية) وصبرهم تهيؤ قلوبهم هو من ظن السوء فإن الله — تعالى — قضى قضاء عاريا من الرأفة خارجا عن الحدة (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا) ، وحزنهم إياسهم من أنفسهم الأمارة بالسوء (إن الإنسان لربه لكنود) ، وخوفهم هيبة الجلال لاخوف العذاب ، فإن خوف العذاب مناضلة عن النفس وضن بها وهيبة الجلال تعظيم الحق ونسيان النفس (يخافون ربهم من فوقهم) ، ورجاهم ظمؤهم إلى الشراب الذى هم فيه غرقى وبه سكرى (ألم ترى إلى ربك) ، وشكرهم سرورهم بوجودهم «فاستبشروا ببيعكم» ومحبتهم فناؤهم فى محبة الحق لهم فإن المحبات كلها ضلت فى محبة الحق لأحبابه «فماذا بعد الحق إلا الضلال» ، وشوقهم هربهم من رسمهم ، وسماتهم (وعجلت إليك رب لترضى) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

نتيجـــة :

فالإرادة ، والزهد ، والتوكل ، والصبر ، والحزن ، والخوف ، والرجاء، والشـكر ، والمحبة ، والشوق منازل أهل الشرع السائرين إلى عين الحقيقة فإذا شهدوا عين الحقيقة اضمحلت فيها أحوال السـائرين حتى يفنى مالم يكن ويبقى مالم يزل (ويبقى وجه ربك) .(١) .

يتضح من مطالعة «رسالة علل المقامات» لـ «شيخ الإسلام» أنه بعد التجربة عرف العلل الخفية التى تعرض تلك المقامات ، فقام بشرحها وبيانها على نحـو يثبت منه دقـة فـكره وتعمقه فى كشف الحقـائق ، ويتضح علو مقامه فى التصوف ، فعلى السالك التعرف بهذه العلل ؛ لـكى لا يخطىء فى سلوكه .

---

(١) من كتاب «خواجه عبد الله الأنصارى متصوف جنبلى» بقلم بوركوى:

(c) ketabton.com: The Digital Library

التعليق الخاص على الآداب الظاهرية والباطنية

لـ « عبد الله الأنصارى »

ومما يلزم أن أذكره هو أن بعض هذه المقامات والآداب التى جاء بها « شيخ الإسلام » « عبد الله الأنصارى » مذكورة فى كتب الصوفية القدماء مثل كتاب « قوت القلوب » لـ « أبى طالب مكى » المتوفى سنة (٣٨٦ هـ)، وكتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف » لـ « أبى بكر محمد الكلاباذى » المتوفى سنة (٣٨٠ هـ) ، وكتاب « اللمع » لـ « أبى نصر السراج الطوسى » المتوفى سنة (٣٧٨ هـ) ، وكتاب « حلية الأولياء » لـ « أبى نعيم الأصفهانى » المتوفى سنة (٤٣٠هـ)، ومثل الرسالة « القشيرية » للإمام « عبد الكريم القشيرى » المتوفى سنة (٤٦٥ هـ) ، وآثار « عبد الرحمن السلمى » المتوفى سنة (٤١٢ هـ) ، لكن « شيخ الإسلام » هو العالم العامل ، الصوفى المحقق الوحيد الذى أدرج مقامات الصوفية فى مائة مقام ، وضبط كل مقام فى مراتب ، واستدل فى كل منها بالآيات القرآنية ، فمن أنعم النظر فيما شرح « شيخ الإسلام » من المقامات ، والمراتب يتحقق عنده أن « شيخ الإسلام » حاول أن يعالج المسلمين من الأمراض الروحية ويغرس فى أفكارهم المبادىء الثلاثة الآتية : —

١ — المعرفة الحقة . ٢ — تطهير الفكر . ٣ — حسن السلوك .

لاشك أن تلك المبادىء لها قيمة فى حد ذاتها : لأن بواسطة معرفة الحق ، وتطهير الفكر ، وحسن السلوك يستطيع الإنسان أن يؤدى فرائضه وواجباته فى الحياة فيحى حياة طيبة ويفوز بالسعادة الأبدية .

وها أنذا أشرح تلك المبادىء الثلاثة ببركة الانتباه الذى حصل

(c) ketabton.com: The Digital Library

عندى من مطالعة كتب «شيخ الإسلام» مثل «آداب الصوفية»، و«منازل السائرين»، و«رسالته: علل المقامات».

المعرفة الحقة:

قد وجه «عبد الله الأنصارى» الناس بمقالاته وتلقيناته إلى المعرفة الحقة التى جاءت فى الكتاب والسنة، واستخرج تعليماته من هذين المنبعين، ولاشك أن معرفة الحق أساس المعرفة، لأن الفرق بين الإنسان والحيوان بالادراك، والادراك هو ما يعبر عنه بالمعرفة، وقيمة صحة المعرفة تحصل بمطابقتها للواقع، وتلك المطابقة إنما تكون بمعرفة حقائق الأشياء، فعلى هذا يلزم على كل من يدعى الإنسانية أن يبدأ أولا عملية المعرفة بنهج يصل به إلى الحق، وهو نهج التفكير والتعقل الصحيحين، وفى استطاعة الإنسان أن يبدأ نشاطه فى هذا المنهج بمعرفة نفسه بما لها وما عليها حتى يصل الانسان من معرفة نفسه إلى العلم بمبدئها وإلى العلم بالكائنات وأسرارها، وموجدها، فينتج من تلك العملية نتائج الخير والسعادة. قال الله — تعالى —: «وفى أنفسكم أفلا تبصرون (١)»، وأيضاً قال: «إن فى خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل، والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة، وتصريف الرياح، والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون»(٢)، وقال الله — تعالى —: «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما (٣)».

(١) الذاريات «الآية (٢١)». (٢) البقرة «الآية (١٦٤)».
(٣) المؤمنون «الآية (١٢)».

(c) ketabton.com: The Digital Library

نعم : مسألة معرفة النفس لها قدر عظيم ، لأن من يعرف نفسه حق المعرفة يستطيع أن يعرف خالقه وأن يعرف فرائضه وواجباته فى الحياة ، ولا شك أن من يعرف نفسه ، واستعداد نفسه فإنه يهوى معرفة الكائنات وأسرارها ، ثم يأخذ فى معرفة الحق ، فيستفيد مما فى اختياره بنور المعرفة ، ويمشى على طريق الحق والصراط المستقيم ، هذا هو الهدف الأصلى والغاية العظمى للتصوف الحقيق ، والطريق الموصل إلى هذه المعرفة الحقة أن يستمر السالك بالإحساس الصحيح والتعقل الصافى والبرهان النق ، ومداومة تصفية القلب والعقل والحواس بالأذكار والرياضة والزهد والعبادة والتقوى . والحقيقة أن هذا هو ما يطلبه منا الصوفيون العظماء من أمثال « عبد الله الأنصارى » رحمهم الله — تعالى — .

تطهير الفكر :

حاول « عبد الله الأنصارى » أن يطهر الأفكار من الأدران السيئة المادية والنفسية ، وثبت عنده أن أساس بناء المدنية الصالحة تطهير الفكر .

نعم : أساس جميع الإصلاحات تطهير الفكر وحسن النية ، ثم قوة العزم والإرادة ؛ لأن الأعمال مظاهر الفكر ، فإن كان الفكر على الخير برزت منه الأعمال على صورة الخير ، وإن كان الفكر على الشر ظهرت منه الأعمال المضرة الشريرة ، فعلى هذا يحتاج الناس إلى تطهير الفكر وحسن النية أشد الإحتياج .

ولأجل ذلك رتب على النيات ثوابها ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل إمرىء ما نوى » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

نعم : إذا طهر الفكر وصحت النية يسهل تعمير ما فى الفكر وما نوى ، وإن من أشد الموانع فى السير على الطريق المستقيم اختلال الأفكار والنيات ، فمن أراد أن يوفق على ما يرام يلزمه تطهير الفكر ، والوسيلة الموصلة إلى تطهير الفكر وحسن النية النظر فى عواقب الأمور ، والتصميم للوصول إلى الأهداف السامية والمثل العليا مثل اتباع الحق ، وأداء الفرائض والواجبات ، وخدمة الخلق .

ولو أنعمنا النظر فى المقامات التى شرحها « شيخ الإسلام » نجد أنه حاول أن يطهر الأفكار بتعليمات الصوفية من الأدناس المادية الحيوانية الشريرة ؛ لكى يسهل السير إلى الأهداف السامية والسعادة الأبدية.

حسن السلوك :

قد ثبت أن حسن السلوك هو أن يستعمل الإنسان جميع ما فى اختياره لما خلق لأجله ، أى أن يتصرف الإنسان فيما أعطاه الله ـ تعالى ـ من الجوارح ، والآلات ، والقوى ، والاستعدادات ، والأسباب ، والمعدات تصرفا حسنا بأن يستعمل إحساسه ومشاهدته ، وجميع أفكاره وأقواله وأعماله وقراراته بمقاييس القوانين الحقة للحق والخير ، فإذن يلزم علينا أن نفكر فى الوسائل المؤدية إلى حسن السلوك ، ولا شك ان الوسيلة المؤدية إليه المعرفة التى تبلغ مرتبة الاعتدال بين الإفراط والتفريط فى الأمور كلها ، ثم العزم والإرادة المتينة الثابتة لا حقاق الحق .

ولو أنعمنا النظر فى حسن السلوك لوجدنا أن حسن السلوك أساس التمدن والمدنية ، وبه تبتنى مبانى الحياة السليمة ، وأن الأقوام والملل يحتاجون إليه أشد الاحتياج ؛ لأن الإستفادة المثمرة من الماديات ومما فى الكون لا تتحقق من غير حسن السلوك والمعاشرة الطيبة ، ومن

(c) ketabton.com: The Digital Library

ثم نرى الأنبياء والرسل والمصلحين يحاولون تعليم الأخلاق وحسن السلوك محاولة جادة ، حتى أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الله بعثنى لأتمم مكارم الأخلاق » ، وقال الله - تعالى - فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم - « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك »(١) ، وقال الله - تعالى - فى حقه : « بالمؤمنين رءوف رحيم »(٢) ، ووصف الله - تعالى - أصحاب السلوك الحسن بقوله : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما »(٣) ، وقال الله - تعالى - لتعليم حسن السلوك : « إدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم »(٤) ، وقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : « واعف عمن ظلمك » ، وفى الحديث : « صل من قطعك » وقول الله - تعالى : « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »(٥) أيضا إشارة لتعليم حسن السلوك والمعاشرة الطيبة ، وقال أيضا : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنين إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون . يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا

---

(١) آل عمران (١٥٩) .
(٢) التوبة (١٢٨) .
(٣) الفرقان (٦٣) .
(٤) فصلت (٣٤) .
(٥) الحجرات (٦) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم . يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »(١) ، وقال الله ـ تعالى ـ : « إن الله يأمر بالعدل ، والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء ، والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون »(٢) .

وقال الله ـ تعالى ـ والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر »(٣) ، وقال : « وأوفوا الكيل إذا كلتم ، وزنوا بالقسطاس المستقيم » ، وقال : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »(٤) .

وأمثال هذه الآيات لو بحثنا عنها فى تعليمات الإسلام ، لوجدنا فيها سبل حسن السلوك ، والمعاشرة الطيبة ، وما يكفل السعادة ، وما يرتقى بها الإنسان إلى أعلى مراتب الكمال الإنسانية ، وهذا هو المطلوب الأسمى للصوفيين العظماء من أمثال « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » فى إصلاحات القلوب والنفوس والأفكار ، فتصوفهم فى الحقيقة نوع من التجارب والتمرينات التى يرتقى بها الإنسان إلى أعلى مراتب الكمالات الإنسانية .

---

(١) الحجرات (من ٩ ـ ١٣) .
(٢) النحل (٩٠) .
(٣) العصر (١ — ٣) .
(٤) الإسراء (٣٥ — ٣٦) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

النظرة الإجمالية على كتاب « طبقات الصوفية »

لـ « عبد الله الأنصاری »

هـذا الـكـتاب عبارة عن مجموعـة من القصص والحكايات لأهل التصوف ، وفيها كثير من الآداب الظاهرية والباطنية .

ولما كان فی ذكر هـذه القصص والحـكايات عن أحوال الرجال الصالحين وجد ما يكون درسا وعبرة للسالـكين إلى الحق المبين ، فلهـذا أملى « شيخ الإسـلام أحوال الصوفيـين العظماء فی مجالس تذكيره وتلقينه على تلاميذه ومريديه من كتاب « طبقات الصوفية » للسلمى » (١) ، وزاد عليه من تعليقاته ومناجاته وأقوال الآخرين .

ومما يناسب ذكره أن « السلمى » كتب كتاب « طبقـات الصوفية » بالعربية فی أواخر القرن الرابع الهجرى بعد سنة (٣٨٧ هـ) ويشتمل هذا الـكتاب على أحوال خمس طبقات من طبقات أهل التصوف ، ففی كل الأربع الطبقات الأولى منها قد ذكر أحوال عشرين من الصوفيين ، وفی الطبقة الخـامسة ذكر أحوال ثلاثة وعشرين من الصوفيين أی أنه ذكر (١٠٣) من الصوفيين العظماء ، كما أنه ذكر فی كتابه هذا

---

(١) السلمى : هو المفسر ، المحدث الصوفی ، الزاهد المعروف فی « خراسان » ، واسمه بالـكامل : أبو عبد الرحمن محمد بن حسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم الأزدی » ، ولد فی العاشر من جمادى الأخيرة سنة (٣٢٥ هـ) فی مـدينة « نيسابور » ، وتوفی فی يوم الأحد الثالث من شهر شعبان سنة (٤١٢ هـ) فی مدينة « نيسابور » ، وكان فی جملة أساتذته « أبو الحسن الدارقطنی » ؛ ومن تلاميذ « عبد الكريم القشيری » صاحب الرسالة « القشيرية » المتوفی سنة (٤٦٨ هـ) ؛ و « فضل الله أبو سعيد بن أبی الخير » المتوفی سنة (٤٤٠ هـ) ؛ والإمام « أبو محمد عبدالله الجوينی » المتوفی سنة (٤٣١ هـ) ، و « أبو بكر البيهقی » المتوفی سنة (٤٥٨ هـ) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

لكل واحد من الصوفية عشرين حكاية ، فبدأ من « الفضيل بن عياض » ، وختم بـ « محمد بن عبد الخالق الدينورى » (١) ، وقد طبع كتاب « طبقات الصوفية » للسلمى فى القاهرة سنة (١٩٥٣ م) باهتمام « نور الدين شريبه » من أساتذة الأزهر الشريف .

وقد ألف « السلمى » مؤلفات كثيرة حتى أنه ألف فى مدة تسع وخمسين سنة ثلاثين كتابا ، وكان له فى مدينة « نيسابور » مدرسة ، ومكتبة ، وخانقاه (تكيه) وله شهرة وشعبية كبيرة ، ولذا أخذ « شيخ الإسلام » يدرس كتاب « طبقات الصوفية » للسلمى ، لكنه غير الترتيب فبدأ فى كتابه « طبقات الصوفية » بأحوال « أبى هاشم الصوفى » ، وذلك لأن « ذا النون المصرى » قال : « أول من قيل له صوفى هو : « أبو هاشم الصوفى » ، ولما جاء « الجنيد » رتب علم الصوفية وألف فيه كتبا ، ثم أعلن « الشبلى » علم التصوف على المنابر ، كما قال « الجنيد » : « ونحن نلقن هذا العلم فى الأماكن الخفية ، جاء « الشبلى » وأعلنه ، على المنابر ، وقد ذكر « شيخ الإسلام » فى أوائل كتابه « طبقات الصوفية » فى سبب اهتمامه بذكر أحوال الصوفية ، فقال ماحاصله الآتى :

« إنه فى يوم من الأيام قد حكى « أبو القاسم الجنيد بن محمد الصوفى » رحمه الله ـ تعالى ـ حكايات المشايخ ، وقال : « هم جند من جنود الله ـ عز وجل ـ ، فسأله واحد : ماذا تفيد هذه الحكايات للمريدين ؟ » ، فأجاب « أبو القاسم » : قال الله ـ عز وجل ـ : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » ، وقال الله ـ تعالى ـ : « فاصبر كما صبر أولوا

---

(١) من مقدمة كتاب : « طبقات الصوفية » بالفارسية المطبوع فى كابل سنة « ١٣٤١ هـ ش ص (٩ - ١١) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

العزم من الرسل . . . ، ولا تكن كصاحب الحوت . . . الآية ، وأيضا قال الله ـ تعالى ـ : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا » ، وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : « المرء مع من أحب » ، كما قيل :

اخوان صدق لو يفارق بينهم في المشرقين فإنهما تتألف

وقال شاعر آخر :

لعمرك ما القرب قرب الديار ولكنه القرب قرب القلوب

فلأجل هـذا أوصى « شيخ الإسلام » المريدين أن يحفظوا من المشائخ توجيهاتهم الحسنة وسلوك حياتهم الطيبة (١) .

ومما أدهشني أن « شيخ الإسلام » ذكر في كتاب « طبقات الصوفية . (٢) عن « الشيخ السيرواني » أنه قال « آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة » ، وذكر عن محمد بن جنيد أنه قال : « الشهرة فتنة وكل يتمناها ، والخمول راحة وقل من يرضاه » وهـذا لأن حب الرياسة مما يغتر به عامة الناس ، وحب الشهرة جعل الناس مثل المجانين ، وأن رأس كل المؤمرات هو حب الرياسة والحصول على الشهرة والسمعة حتى أن من يدعى العلم ، والفضل ، والصلاح ، والتقوى لا يستطيع أن يخلص من حب الرياسة والشهرة إلا من يهديه الله ـ تعالى ـ ويوفقه لما يحب ويرضى ، فيارب اهدنا ووفقنا لما تحب وترضى آمين يارب العالمين .

---

(١) من كتاب « طبقات الصوفية » بالفارسية المطبوع في كابل (١٣٤١ هـ ش) ص (٢ — ٥) .

(٢) من كتاب « طبقات الصوفية » ص (٩) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

نبذة من مناجاة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري

قد روى عن « عبد الله الأنصاري » كثير من مناجاته باللغة الفارسية وها أنا أذكر فيما يأتي حاصل ترجمة بعض منها :

إلهي : أنت واحد لا مثل لك ، وأنت قيوم لك القدرة ، وعالم بكل شيء ، وبصير في جميع الأحوال ، ومنزه عن العيب ، ومبرء عن الشريك ، أنت أصل كل دواء . وقلب دواء القلوب ، أنت مالك الملك ، فعال لما تريد ، معزز بتاج الكبرياء ، مستو على العرش العلي ، وقائم على مقام الاستغناء ، يليق بك خطاب الألوهية ، ويستحسن بشأنك ملك الألوهية .

إلهي : أنت في الجلال رحمان ، وفي الكمال سبحانك لا تحتاج إلى مكان ولا إلى زمان ، لا يشبهك أحد ولا أنت تشابه أحدا ، قد ثبت أنك في قلبي ، بل القلب يعيش بالشيء الذي هو أنت .

إلهي : أنت قائم بفضلك ، وبشكرك مشكور ، وقريب إلى علم العارف ، وبعيد عن أوهامنا .

إلهي : تحميدك بعظمتك وسيلة السرور ، وإظهار شكر نعمتك باللسان هو مرتبة الغرور .

إلهي : إذا وضعت على أحد مشقتك فقد بادت محاصيل وجوده (أي أهلكته) .

إلهي : من عرفك ترك كل ما هو غيرك .

(c) ketabton.com: The Digital Library

إلهى : إذا نظرت فيك أحس بأنى ملك الملوك وتاج العزة على رأسى ، وإذا نظرت فى نفسى أشعر بأنى من المنكوبين وتراب المذلة على رأسى .

إلهى : أتلفت عمرى ، وظلمت نفسى ، وجعلت الشيطان اللعين راضياً عنى .

إلهى : فى رأسى عشقك وهواك ، وفى قلبى أسرارك ، وفى لسانى نشيدك .

إلهى : إذا تكلمت (فالمناسب) أن أتكلم بحمدك ، وإذا طلبت (فالمناسب) أن أطلب رضاءك .

إلهى : اخترت من الدارين محبتك ، ولبست لباس المشقة ، وخرقت ستار العافية .

إلهى . كل الناس محتاجون بسبب عدم ما يملكون وأنا محتاج لأجل ما أملكه .

إلهى . إن لم يكن لى طاعات كثيرة (لا تؤاخذنى ، لأنه) ليس لى فى الدارين غيرك .

إلهى . لا تقل ماذا جئت به ؟ لكيلا يكشف أمرى ، ولا تسأل ماذا فعلت ؟ لئلا يفضح حالى .

إلهى . إن ظاهر صورتى مضطرب كثيرا وباطنى مخلوط بالنوم والغفلة ، ولى صدر مملوء . بالنار وعينى مملوءة بالماء ، فأحترق حينا بنار صدرى وأغرق مرة أخرى فى ماء العين .

إلهى : إذا كنت حاضرا فأى شىء أطلب ؟ وإذا كنت ناظرا فماذا أقول ؟ (أى لا حاجة إلى الطلب والقول) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

إلهى : إذا كنت تفعل كل ماتريده ، فلماذا تطلب من هذا العاجز المفلس ؟

إلهى : لو أن بحر رحمتك يموج (فاذن) من يتحقق العصيان منه ؟ ولو تنظر بعين الرحمة ، فمن يعصى ؟ .

إلهى : إذا أردت أن تسقط أحدا جعلته مخالفا للفقراء (أهل الله — تعالى —) .

إلهى : كل الجمال لك وكل شىء غيرك قبيح (بالنسبة إليك) وإن الزهاد (فى الحقيقة) عبيد الجنة .

إلهى : إذا كنت تعلم أن العبد محتاج ، فاذن الدعاء والطلب منك لجاج .

إلهى : ياليت لو كان « عبد الله » ترابا ، لتكون سجلات الوجود خالية من اسمه .

إلهى : كل الناس يخاف منك وعبد الله يخاف من نفسه ؛ لأن كل ما يأتى منك فهو صواب ، وأن مايصدر منى فهو سوء .

إلهى : إن الأغنياء يباهون بالدراهم والدنانير ، وان الفقراء (أهل الله) يقنعون بـ « نحن قسمنا بينهم » .

إلهى : كل الناس سكارى بالشراب ، وأما أنا فسكران بالساقى ، فسكرهم يفنى ، وسكرى دائم .

إلهى : كنت كثيرا من الأيام أطلبك ، فأجد نفسى ، وأنا الآن أطلب نفسى فأجدك .

إلهى : أنا أعرف عجز نفسى ، وأشهد بعدم قدرتى ، وأن الطلب « الحقيق » هو طلبك ، فأنا إذن ماذا أطلب ؟

(c) ketabton.com: The Digital Library

إلهى : إذا كان لك نار الفراق ، فلماذا خلقت نار الجحيم ؟

إلهى : لو أردت أن تحرق « عبد الله » لا ستحق أن يكون لإحراقه جحيم آخر ، ولو أردت أن ترأف بحاله لاستحق أن يكون لراحته جنة أخرى .

إلهى : إن صحبة أحبائك ماء الحياة ، وصحبة غيرهم عذاب النفوس .

إلهى : إن ورد الجنة فى عين العارفين شوك ، وإن من يطلبك لا حاجة له بالجنة .

إلهى : إن ليل الفراق ، وإن كان مظلما إلا أن قلبى فرحان بأن صبح الوصال قريب .

إلهى : طلبتنا فتأخرنا ، وأمرتنا فقصرنا ، فهيهات لأن كل ما عملناه عملناه من غير تدبر .

إلهى : أنت غفار ، وأنا ملىء بالمعصية (ومع هذا) تقبل منى ؛ لأنى وإن لم أكن صادقا ، إلا أنى كنت رفيقا للصادقين .

إلهى : لو كنت مجرما (لا تؤاخذنى ؛ لأنى) مسلم ، ولو كنت عاصيا فإنى نادم ، ولو عاقبتنى فأنا مطيع لأمرك ، ولو رحمتنى فأنا مستحق لعطائك .

إلهى : حينما أنت كنت فى غيب كنت أنا فى عيب ، ولما ظهرت من الغيب فارقت العيب .

إلهى : لو تؤاخذنى بمعصيتى فأنا أؤاخذك بكرمك ؛ لأن كرمك أكثر من معصيتى .

(c) ketabton.com: The Digital Library

إلهى : ليس من غير آلامك مكان للفرح ، وليس من غير عبوديتك وجه الحرية .

إلهى : إن كل الناس يخاف من يوم الجزاء لكن عبد الله يخاف من الأزل ؛ لأن ما ثبت فى الأزل لا يبدل .

إلهى : أى الوجع يكون أشد من أن يكون المعشوق مقتدرا والعاشق محتاجا .

إلهى : لو كان العمل بالقول ، فأنا تاج على رؤس كل الناس ، ولو كان الأمر موقوفا على العمل ، فأنا محتاج إلى البعوضة والنملة .

إلهى : أنت إذا قلت أنا كريم ، فالرجاء والأمل قد تم به ، وإذا قلت أنا رحيم ، فاليأس علينا حرام .

إلهى : (لا أعرف) أأشتكى من الوجود أم أشتكى من العدم (والحال) أن الشكاية من الوجود محال ومن العدم ليس بمعقول .

إلهى : إن الذى أردت منى ، طلبته .

إلهى : أنت قائم برحمتك وأنا قائم باحتياجى ، وأنت مقتدر وأنا فقير .

إلهى : إن الجنة من غير رؤيتك سجن ، وسوق المسجون إلى السجن ليس خلق الكريم .

إلهى : لوكانت التوبة عبارة عن عدم المعصية ، فمن التائب فى هذه الدنيا ؟ ولوكانت التوبة عبارة عن الندم ، فلا يوجد عاص فى هذه الدنيا .

(c) ketabton.com: The Digital Library

إلهى: ان على رأسى غبارا من الكسوف، وفى قلبى وجع من الحسرة، وقد أصفر وجهى من حياء العصيان.

إلهى: لو لم أقم بالصداقة فإنى لم أقم بالعداوة، وإذا كنت مصرا على المعصية، فأنا مقر بالتوحيد، وإذا قاطعتنى فإنى لا أنقطع عنك.

إلهى: إن الذى اخترت لى اشتريته، فأخترت من الدارين صداقتك.

إلهى: فقدت صبرى ووهنت طاقتى، ومن بذرة زراعة استقرارى قد نبت عدم الاستقرار.

إلهى: النار فى محبتك باردة، والنعمة من غير لطفك وجع.

إلهى: إن الأجير راض منك، وإن العارف ينفر من الماضى والمستقبل.

إلهى: قد غرق القلب فى بحر العصيان وصار الجسد محجوبا، فخربت القلوب وصارت الأبصار عشواء.

إلهى: إذا تموج بحر عنايتك كيف تظهر معصية العصاة؟

إلهى: لست مسرورا، ولا بائسا، ولا صحيحا، ولا مريضا، ولا قريبا، ولا مهجورا.

إلهى: لو لم أقل لك شيئا لتعبت، ولو ناجيتك يخف ثقل ما حملت.

إلهى: كل الدنيا تلبيس وأن من يحبها أقبح من ابليس.

إلهى: تستطيع أن تجعل من العدم كل شىء، وتفنى كل الأشياء، لايستطيع أحد أن يقول لك لم هذا؟ لأنك خالق لهذا وذاك، يا من رقاب المخلوقات تحت قدرتك، ورقاب العالمين فى تدبيرك، وكل المغرورين فى اعتقالك، وكل المتكبرين منكسرون بقدرتك، وإن الجحيم محبسك.

(c) ketabton.com: The Digital Library

وإن الجنة حديقتك ، وان فى السماء سلطانك ، وفى الأرض أحكامك ، أنت فى القلوب مخفى وفى الآخرة ظاهر ، وإن العزة والكبرياء تليق بك ، وزاد المطيعين يوم القيامة إحسانك ، (وثبت بتوقيع كل السعداء عنوانك)(١) يا خالق من غير معونة ، ويا واحد بدون عدد ، يا أول من غير بداية ، ويا آخر بدون نهاية ، يا ظاهر من غير صورة ، ويا باطن بدون سيرة ، يا حى من غير حيلة ، وياعزيز بدون ذلة ، يا غنى من غير قلة ، يا معط بدون فكرة ، يا غفور من غير منة ، يا كريم بدون ضنة ، يا مبدع من غير آلة ، يا علام بدون تفكر ، يا قاسم من غير تغير ، يا من ذاتك بدون كيف ، يا من صفاتك من غير نقص ، ياعالم الأسرار ، ياسميع الأصوات ، يا بصيرا بالصلوات ، يا من تقبل الأدعية ، يا من تعرف الأسماء ، يا من تصل الحاجات ، يامنزها عن العوائق ، يا مطلعاً على الحقائق ، يا رحيما بالخلائق تقبل معاذيرنا ؛ لأنك الغنى ونحن الفقراء ولا تؤاخذنا بعيوبنا ، لأنك القوى ونحن الضعفاء ، ولو آخذتنا فلاحجة لنا عليك ، ولو أحرقتنا فلا طاقة لنا ، (وقد ثبت) أنه يصدر من العباد الخطأ والزلة (لكن) السلطان يعطى ويرحم .

يا ملجأ الآمال ، ويا من قلوب الأصدقاء فى كنفك الوحيد ، يا حلال المشكلات الذى قلوب العباد فى مكنون تقديرك ، يا من أنت المفضل الذى لاتحتاج لافضال أحد ، يا من أنت المنعم الذى لا انتهاء لنعمتك ، يا من أنت القهار الذى لايستطيع أحد قهرك ، يا من أنت الجبار الذى لا يمكن أن يقاومك الظالمون ، يا من أنت الحكيم الذى لاقدرة لأحد أن يهرب ويخلص من بلائك ، ياكريم فلا غناء لعبادك من عطائك ،

---

(١) رمز إلى أن السعداء يهتمون برضاء الله — دائما .

(c) ketabton.com: The Digital Library

فاحفظنا ، لكى لا نضطرب ، وأقمنا على الصراط ؛ لكى لا نقع فى المشكلات (نعم) نحن غافلون لكن لسنا بكافرين .

يا عالم ليس كمثلك شىء ، يا قادر من غير ظهير ، يا سلطان بدون وزير ، ياقادر من غير مثال ، ياقاهر بدون مشير ، يا قهار من غير بديل ، يا جبار بدون عديل ، يا مفضل من غير فضول ، ياعادل بدون عدول ، يا قاضى من غير عزل ، ياحاكم بدون هزل ، أصلحنا ؛ لأننا فى التشتت غارقون ، واجمعنا ؛ لأننا فى نهاية الاضطراب .

ياكريم يا من يعطى العطاء ، يا حكيم يا من تستر الأخطاء ، يا صمد يامن أنت منزه عن إدراكنا ، يا أحد يا من لا مثل لك فى ذاتك وصفاتك يا خالق يا من تهدى من ضل ، يا قادر يا من تتصف بالألوهية ، فببركة ذاتك الأزلية ، وبصفاتك الكمالية ، وبعزتك وجلالك وبعظمتك ، وجمالك أعطنا من أنوارك وهب لقلبنا من عشقك ، ولبصرنا من أضوائك ، وبرحمتك أعطنا ما هو الأفضل .

إلهى : لا يستطيع لسان أحد أن يؤدى حق شكرك ، ولا نهاية لبحر فضلك ، ولا يعرف أحد سر حقيقتك (كنهك) اهدنا طريقاً لا أفضل منه .

إلهى : إن أمامى خطرا ، ولا يوجد طريق من ورائى ، فخذ بيدى ؛ لأنه لا ملجأ لى من غير فضلك .

إلهى : سواء على أن أكون موجوداً أو معدوماً (إشارة إلى مرتبة الإمكان والضعف) (مع هذا) فأخرجنى من تلاطم الغم إلى ساحل السرور .

(c) ketabton.com: The Digital Library

إلهى : أعطنا (إيمان) القلب الذى نفدى به أنفسنا فى عملك ، واعطنا الوجود الذى نعمل به للآخرة .

إلهى : أعطنى علماً لئلا أسقط فى الطريق ، وأعطنى بصيرة لئلا أقع فى البئر .

إلهى : لا تطلب منا (حق) طاعتك ؛ لأننا لا نستطيعه ، ولا تقل لنا عما يليق بك ؛ لأننا لا نستطيع أن نقيم به .

إلهى : خذ بيدى ؛ لأنه لا وسيلة لى (غيرك) ، وتقلبنى ؛ لأنه لا مفر عندى إلى (غيرك) .

إلهى : أعطنا الآخرة ؛ لكى تنفر (بها) من الدنيا ، وأعطنا التوفيق ؛ لكى نستقيم فى ديننا .

إلهى : أصلح أمرى ، ولا تنظر إلى عملى .

إلهى : أعطنى قلباً يشتاق إلى كثرة طاعتك ، وأعطنى توفيق طاعتك الذى يهدينى إلى الجنة .

إلهى : أعطنى العلم الذى لا يكون فيه نار الهوا ، واعطنى العمل الذى لا يكون فيه الغل ، والريا .

إلهى : أعطنى بصراً يشاهد ربوبيتك ، واعطنى قلباً لا يختار غير عبوديتك .

إلهى : أعطنى الشفاء ؛ لأنه لا يحصل الشفاء من هؤلاء المعلولين ، واحلل مشكلاتنا ؛ لأنه لا يستطيع أن يحل المشكلات هؤلاء المحزونون .

إلهى : علمنا ؛ لكى نعرف بالعلم ، وأوقد المصباح ؛ لكى لا نبقى فى الظلمة .

(c) ketabton.com: The Digital Library

إلهى : احفظ كل الناس من مكر الشيطان ، وجنبهم من كيد النفس (الأمارة بالسوء) .

إلهى : أعطنا لقاءك ؛ لكيلا نلتفت إلى غيرك ، وافتح لنا الباب ؛ لكيلا نمر بباب أحد غيرك .

إلهى : ليست الحياة (الحقيقة) هى هذه ؛ بل هذه عذاب ، وليس العمر هو هذا ، بل هو بناء على الماء ، فلو لم يكن نظر عنايتك لخربت الأمور .

إلهى : إننا نعمل فى الدنيا المعصية ، فيغتم بها حبيبك محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ويفرح بها عدوك إبليس (عليه اللعنة) ، ولو كنت تعذبنا يوم القيامة يغتم حبيبك محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ويفرح عدوك (إبليس) ، فيا إلهى لا تعطى لعدوك فرحتين ، ولا تضع على قلب حبيبك مشقتين .

إلهى : كل (من أهل الله) يطلب أن ينظر إليك ، ويطلب « عبد الله » أن تنظر أنت إليه .

إلهى : أعطنى بصراً إذا نظرت به إلى العدو يجرحه ، وإذا نظرت به إلى الصديق يجعل الواحد ألفا .

إلهى : لست ظالماً لأقول احترز ، ولا حق لى عليك لأقول اعطنى (حق) ، لكن لأجل أنك رفعتنى فى البدء ، فلا تسقطنى فى النهاية ، أنا ضيفك فراعنى حسبما تعلم .

إلهى : احفظ « عبد الله » من ثلاث آفات : من وساوس الشيطان ، ومن الهواجس النفسانية ، ومن غرور الجهالة .

(c) ketabton.com: The Digital Library

إلهى : خلقتنى بدون مقابل ، ورزقتنى بدون عوض ، فاغفر لى (أيضاً) من غير مقابل ؛ لأنك إله ، ولست بتاجر .

إلهى : لو سقتنى إلى الجحيم فليس عندى حجة ضدك ، ولو سقتنى إلى الجنة فلا اشتريها بدون جمالك .

إلهى : أطلب منك أن تجيبنى إلى مطلوبى ، وإنى لا أطلب غير وصالك .

إلهى : لا تطفىء هذا المصباح الضعيف ، ولا تحرق هذا القلب المحروق ، ولا تخرق هذا الستار المخيط ، ولا تطرد هذا العبد الذى بدأ بالتعلم جديداً .

إلهى : أخاف من جرمى ومعصيتى ، ومضطرب من غفلتى وجنونى .

إلهى : إذا كنت من أحبائك فارفع المنة بيننا ، وإذا كنت من الضيوف ، فاحفظنى حفظاً حسناً ، وارحم قلبى المحزون ، ولا تبقنى فى هذه الحيرة .

إلهى : بحق الذى ليس لك شىء من الحاجة ارحم على حال من ليس له حجة .

إلهى : أعطنى يقينا لا شك فيه ولا رياء ، واعطنى علماً لا يكون من غير النور والضياء .

إلهى : اعط لعبد الله من فضلك شرابا حتى لايجىء إلى وجهه من عقله حجاب

إلهى : كنا فى الحجاب وأنت فى ستار الغيب ، فلما طلعت أنت (من ستار الغيب) أخرجنا من العيب .

إلهى : لا بأس أن تهلكنى ، لكن لا تهجرنى ، ولو ترسلنى إلى الجحيم أنا راض ، لكن لا تفارقنى بحبك .

(c) ketabton.com: The Digital Library

إلهى : لو تريد أن تطلبنى ، فاطلبنى من نفسى ، ولو تريد ذاتك ففهمنى بك . (١)

إلهى : أنت تحاسب الأغنياء ، وأنا فقير ، ولو كان حسابك للمفلسين ، فأنا مفلس من الجميع ، لا تبعث الاضطراب فى نفس هذا المفلس واحفظه فى جوارك .

إلهى : كل من يهواك يقولون إنه مجنون ، وكل من يهوى نفسه ، فهو بعيد عنك ، أنت تعرف أن كل هـذا نوع من النشيد ، فتفضل بالهداية ؛ لأن تقديم المعاذير (فى الحقيقه) تعلل .

إلهى : إن الآلام بذكرك سرور ، وإن الفرح من غير ذكرك غرور ، فاعطنى السعادة فى الدنيا ؛ لأن القيامة بعيدة .

إلهى : إن المطلوب الذى يحصل من غير الطلب ، طلبه منك باطل ، ولكن القلب يميل إلى طلبه منك ، فتفضل بمراعاته ؛ لأن المعاملة مع القلب .

إلهى : ماذا أفعل بالجنة ؟ ، ولماذا ألعب مع الحور ؟ (أى لا أريد الجنة ، والحور بل أريد أن) تعطينى البصيرة التى أجعل بواسطتها من كل نظرة جنة .

إلهى : لو أنظر إليك أفتخر . ولو أنظر فى ذاتى أخسر ، ولو أنظر إلى نفسى أذوب ، فألق على نظرة ؛ لكى ألقى لباس الشرك فى الماء .

---

(١) رمز إلى أن معرفة الله - تعالى - إجمالا هى من قدرة إنسان بقدر نظره فى النفس ومافى الكون وأما معرفته تفصيلا فتحتاج إلى توجيه الله - تعالى - وتفهيمه

(c) ketabton.com: The Digital Library

إلهى : بلطفك ، وكرمك ساعدنى ، وبرحمتك أبقنى ؛ لأن القلب بباب الكرم منتظر ، والنفس فى الانتظار .

إلهى : ارفع الحجاب من الطريق ، ولا تكلنا إلى أنفسنا .

إلهى : اتمم هذه المسرة التى أعطيتنى ، وداوم هذا البرق الذى نورته ، واقرن بداية هذه السعادة بالختام .

إلهى : بحرمة الاسم الذى أنت تعلمه ، وبعزة الصفات التى توصف بها تقبل استغاثتنا ؛ لأنك تقدر .

يا من هو البصير الذى لا يغفل ولا ينام ، ويا مقتدر بغير مساعد تبعد عنا أربعة أمور : الفضيحة يوم الحساب ، والحجاب فى وقت التكلم ، والحرمان فى ساعة الشدة . والحجاب فى أوان الرؤية .

إلهى : إن قبلة العارفين (فى الحقيقة) هى شمس وجهك ، وإن محراب القلوب هو جمال عينك ، وأن المسجد الأقصى للقلوب هو حرم طريقك ، انظر إلينا ؛ لأننا بانتظارك . (١)

---

(١) ترجمت مناجاة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » من الكتاب المسمى بـ « مناجاة ومقالات خواجه عبد الله الأنصارى » بالفارسية المطبوع فى طهران ص (٧ — ٣١) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

التعليق على مناجاة « عبد الله الأنصاری »

هذه نبذة من مناجاة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصاری » التی جاءت فی کتبه مثل « طبقات الصوفية » وفيما روی وحکی عنه فی الکتاب الفارسی المسمی بـ « مناجاة » ومقالات خواجه عبـــد الله الأنصاری « بالفارسية » .

يثبت منها علو مقام تصوفه وأدبه ، ويظهر منها أنه وصل إلی المراتب العالية من الحب والوجد ، ولو أنعمنا النظر فی کل نداءاته لعرفنا أن « شيخ الإسلام » فی عصره لم يکن من الصوفين السطحيين ؛ بل کان وحيد عصره فی مقام التصوف والأدب

نعـــم : قد أثرت نداءات حبه ، وحرارة وجده أثراً عميقاً فی القلوب ، وقد جذبت لطافة بيانه ، وحسن ما أدی من اللآلیء فی أحلی کلامه کثيراً من الناس ، حتی أقر علماء المسيحيين والهنود ، وفی جملتهم « غاندی » الزعيم الشهير للهنود بعلو مقامه الروحانی والأدبی ، ووصوله إلی الحقائق الثابتة .

ولذا ترجم المستشرق « الأب س » دی لوجييه دی بورکی الدومنکی « کثيراً من آثار « شيخ الإسلام » باللغة الفرنسية .

(c) ketabton.com: The Digital Library

نبذة من المواعظ، والنصائح التى نسبت إلى

« شيخ الإسلام عبدالله الأنصارى »

قد ثبت أنه وصلت شهرة مواعظ « شيخ الإسـلام » ونصائحه فى حياته إلى كل الآفاق الإسلامية حتى ارتحل كثير من الفضلاء من المناطق البعيدة إلى مدينة « هراة » للاستفادة من مواعظه ، ونصائحه ، كما ذكرنا سابقاً أن : « الأديب الشهير أبا الحسن باخرزى » قال فى وصف دروسه ، ومواعظه ، ونصائحه ما يأتى : « كان مجلسه تذكيراً بالدرجة العليا ، وكان فى علم التفسير وحيد عصره ، ولو أن « قس بن ساعدة » سمع آداء كلامه لم يخطب بعده فى سوق « عكاظ » ، واعترف أيضاً الشاعر والأديب الشهير « أبو القاسم الزوزنى » المشهور بلقب « بارع » بعلو مقام « شيخ الإسلام » وقال : « إنه لم ير مثل « عبدالله الأنصارى » إماماً فى مجلس من مجالس الدرس » ، فلذلك أقدم إلى السادة القارئين الكرام فيما يأتى حاصل ترجمة نبذة من المواعظ ، والنصائح التى نسبت إلى « شيخ الإسـلام عبد الله الأنصارى » من الفارسية ؛ لكى يعرفوا مقامه فى الوصول إلى الحقائق ، ويستفيدوا من نصائحه .

١ — حاصل موعظة « عبدالله الأنصارى » التى تتعلق بالعبادة والمعرفة والنظر فى العواقب :

قد قال « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » فى موعظته التى تتعلق بالعبادة والمعرفة والنظر فى عواقب الأمور ما يأتى : « إن العبادة حق ، و (قد ثبت أيضاً أن) العبادة من غير المعرفة عبث مطلقاً ، فيلزم عليك أن تحصل أولا معرفته ، ثم تطيعه طاعة تامة . كن درويشاً

(c) ketabton.com: The Digital Library

وقانعاً ، ومعتقداً ومقراً بوحدانيته ، واقطع النظر من كل الأشياء غير رضاه ، فإذا أردت أن تطلب فاطلب منه ، ولو أردت أن تطلب نفسك فيلزم عليك أن تتجه إلى عاقبة الأمر ؛ لأن أصل الأمر النظر إلى العاقبة واعرف أن مرتبة الفقر دولة لاتزول .

خف من الذى لا يخاف (من الله) ، ومن الذى يقوم بالعمل من غير أن يستشير أحداً .

كن ساتراً للعيوب ولا تكن باحثاً عن العيوب .

إذا لم تكن تذكر حسنات الناس ، فلا تروى عيوبهم (أيضاً) .

ثم ذكر « عبد الله الأنصارى » فى هذه الموعظة الكلمات الرمزية العالية التالية : « كن عطشان ، ولا تشرب » (أى كن عطشان فى حب الله ، ولا تشرب مايجعلك غافلا) .

« كن عارياً ، ولا تلبس » (أى كن عارياً من المكر ، والرياء ولا تلبس لباس الزور ، والرياء) .

« لا تبع الدقيق فى السوق » (أى لا تكن كتاجر يبيع الناس ما يحتاجون إليه فى حياتهم ، ويستفيد منهم أثمان حياتهم ، بل كن مخلصاً فى أعمالك لله) .

لو كنت من الدراويش (الصوفية) فلم تتجبر ؟ ، ولو كنت تعرف مقدار نفسك فلم تتكبر ؟ .

لو كنت سكران خلص نفسك من السكر ، ولو أنت تعرف نفسك فامح نفسك ، وكن مستيقظاً ؛ لكى لا تؤثر عليك صحبة أهل الدنيا ، وكن مع الدراويش رفيقاً .

(c) ketabton.com: The Digital Library

إن الفقر خاصة أهل التجريد والتفريد ، وأن التجريد هو وظيفة أرباب التوحيد ، ولن يكون فوق التوحيد مقام ، ولا يصح التوحيد بدون المعرفة ، وأهل المعرفة هم الدراويش (الصوفية) ، وهم عرفوا هذا المعنى ؛ لأنهم لما عرفوا الحق قطعوا النظر عن غيره ، فمن وجد الحق قطع علائق قلبه عن غيره ، ولا يميل إلى صحبة الناس .

ثم حاول « عبد الله الأنصارى » فى آخر هذه الموعظة أن يقوى روابط الناس مع الحق ، ويوجههم إلى صحبة الصالحين ، وأهل الله .

٢ — حاصل موعظة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » فى الوصول إلى السعادة والمراتب العالية ، وفى الصحبة مع الأهل والنفرة من غير الأهل : —

« أيها العزيز : إن مصباح السعادة الأبدية ، ومفتاح الدولة السرمدية فى الحصول على الطريق الحق ، فمن لم يعرفه فهو جاهل مطلقاً ، فإن كنت طالبه نظف هـذا الطريق ، وول ظهرك لهذه الموانع المادية من الماء والتراب ؛ لأنك إذا رفعت الموانع ، فقد قطعت المسافة ، وإذا قطعت عن نفسك (الموانع المادية) ، فقد وصلت إلى محبوبك ، وسترى ما لم ترى ، فبعده لاطريق للإشارة هناك ، ولايعرف اللسان هذا السر .

ثم أشار « شيخ الإسلام » بكلماته الغالية إلى المطالب العالية التالية : « كن مخموراً ولاتصرخ . كن حارا ولا تغلى . كن مكسوراً وساكتا ؛ لأن من يصرخ عن الخمار يأخذ الناس بيديه ، ويحملون المكسور على عواتقهم . قد أراد « عبد الله الأنصارى » بهـذا أنه يلزم السالك أن

(c) ketabton.com: The Digital Library

تكون عنده جذبة وحرارة العشق بحيث لايفهمه أحد ، وأن يكون عنده وجع العشق مع السكوت لئلا تعتريه العوارض والموانع .

ثم قال : «لو تطلب النجاة فاصبر على الابتلاء ، ولو تطلب البقاء فاقصد الفناء ، ولو حصل عندك من هذه المراتب فلتفرح ، وإن لم تكن حاصلة عندك فلتطلب .

كن رفيقاً ولا تكن عدواً (واعلم) أن بيع الرفيق من أخلاق الإسلام ، وبيع النفس كفر خالص .

قد أراد « شيخ الإسلام » بهذا الرمز الأخير هو أن من أخلاق الإسلام أن تقدم إلى رفيقك كل الإخلاص والإحسان بحيث يعتمد عليك كل الاعتماد ، حتى لو تبيعه لايقول لك شيئاً ، ومراده بكفر بيع النفس هو إذا لم تلاحظ سعادتها الأبدية ، بل تكون مغرقاً فى لذاتها الآنية ، أو لعله أراد أن من يبيع نفسه فى حب الله — تعالى - فهو كافر بما سوى الله — تعالى — .

ثم قال : «إن كال الإنسان أن يكون قلبه باختياره فى تصرفاته ، وأما سائر الجوارح فهى مثالها مثل الماء والطين (يعنى إذا كان القلب باختيارك تستطيع أن تبنى بجوارحك ماتريد) .

ثم قال : «إذا كان صديقك صالحاً فالأمر يكون سهلا ، والصحبة مع الأهل تساعد القلب والجسد ، والصحبة مع غير الأهل تفرق الأصدقاء وتشتت الأهل والأسرة ، لأن الصديق الأهل هو الذى يزيد القلب قوة ، وغير الأهل هو الصديق الذى يصاحبك ليختلس منك الأكل ، فعبر عن الصديق الأهل بشفيق القلب ، وعن صديق

(c) ketabton.com: The Digital Library

غير الأهل برفيق الأكل ، فعلى هذا اقطع علائقك مع الكل إلا مع الثلاثة :

١ — العالم الذى ينهاك عن العيب ، ويوجهك إلى التقوى .

٢ — الفقير الذى تكون بصحبته متواضعاً ، وتصل ببركته إلى الأعمال الخيرة .

٣ — صاحب القلب الذى نزل غمام الرحمة على رأسه ووجهه لعله ينزل منه شىء على رأسك ووجهك .

ثم قال : « لو كان كلا يدى ، ورجلى « عبدالله الأنصارى » مشدودين بعدم التجربة أولى من أن يكون جالساً فى عدم التجربة » أراد به أنه يلزم أن لا يكون عدم التجربة سبباً للجمود بأن يقول شخص لا أعمل ؛ لأنه يحتمل أن يصدر منه الخطأ فتنسب هذه الخلة فى جموده ، بل يلزم على كل واحد أن يعمل بدقة وإن كان يخطىء لعدم التجربة ، لأن الخطأ مع النشاط ، والدقة تصل بالإنسان فى آخر الأمر إلى الصواب والتجربة .

٣ — حاصل موعظة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » التى تتعلق بالاحتراز والاجتناب عن تضييع الأوقات الغالية :

« أيها العزيز : إن أغلى النعم وأحسن اللذات هو الحياة ، وأن الحياة التى تذهب من غير ذكر الله ـ تعالى ـ فهى (فى الحقيقة) ممات . من صرف أوقات حياته بفكره ، وشكره فهو (فى الحقيقة) السعيد الذى استفاد من ثمرة حياته .

اغتنم مدة حياتك وقدرها ، واحترم فرصة حياتك ولا تعش

(c) ketabton.com: The Digital Library

فى ظلمات الهواجس النفسانية ، واخرج من كدر الوساوس الشيطانية ، فإلى متى تكون مثل الذين لا أهلية لهم غارقين فى الأهواء والهوس ، غافلين عن المسجد (أى العبادة) ويكونون ليلا ونهاراً فى المعاصى ، وقد هلكت أحوالك من المعاصى ، وصارت صورتك من وساخة الخجل سوداء .

ما كان عندك حياء فى أوان الشباب ولا ندامة فى أيام الشيخوخة قد مضت حياتك لكن ما طلبت المعذرة .

ياحسرتنا ! على حال (الإنسان) الذى يكون بسبب الهواء والهوس فى النهار مخموراً فى السرور ، وفى الليل نائماً فى الغرور ، وهو غافل عن أنه بعيد من ربه ، وأنه غداً سيكون من أهل القبور .

هيهات هيهات ! من ضياع الأوقات (بهذه الفضائح) : بأن يكون فى زمان الطفولة الدناءة ، وفى أوان الشباب السكر ، وفى وقت الشيخوخة الفتور ، فكر أيها المسكين فى أنك متى تعبد الله ؟ وإلى متى ترتكب المعاصى على الدوام ؟ ، وإلى متى لاتندم ولا تستحى من المعاصى قد فاتت الفرصة ولن تعود ، ولا يناسب الاعتماد على غد ، اغتنم فرصة الحياة ؛ لأن كثيراً من الأمور يعود إلا الحياة ، فنل سعادة التوبه ؛ لأن الفرصة مغتنمة ، واخرج من جنون الغفلة ؛ لأن زمن الحياة قليل .

٤ — حاصل موعظة « عبد الله الأنصارى » التى تتعلق بالترهيب والترغيب :

« أيها العزيز » : إن الدنيا مكان العبور ، وليست مدينة السرور ، هى رباط عدم الإقامة ، وبساط عدم الاستقرار، لا مرهم ولا علاج لجراحة

(c) ketabton.com: The Digital Library

لدغها ، وإنها مطلقة « إبراهيم ابن أدهم » ـ رحمة الله عليه ـ ، هى بيت المحنة والظلم ، ومطرودة « للجنيد البغدادى » ـ رحمة الله عليه ـ ، هى الجرعة التى تحرق القلب من مرارتها ، ومنفورة لـ « شقيق البلخى » ـ رحمة الله عليه ـ هى نعرة الغفلة والفضاحة ، وملعونة فى نظر « أبا يزيد البسطامى » ـ رحمة الله عليه ـ ، هى دير لأهل الهمة الدنية ولعبيد النفوس ، ومردودة من همة « السلطان أبى سعيد أبى الخير » ـ رحمة الله عليه ـ ، هى منبع المكر والفساد الجبلى ، وزجرها « الشيخ الحقانى الشبلى » ـ رحمة الله عليه ـ هى دلالة لقافلة الغرور ، ومكروهة عند « الشيخ أبى الحسن الثورى » ـ رحمة الله عليه ـ ، هى مسببة فى التأثير الردىء ، ومطرودة لـ « معروف الكرخى » ـ رحمة الله عليه ـ ، هى ضجة (صوت) الظلم والاختلال ، ومنفورة لـ « سفيان الثورى » ـ رحمة الله عليه ـ ، هى سوق حار لمتاع الكاسد ، ومخجولة لـ « منصور الحلاج » ـ رحمة الله عليه ـ .

ثم قال « شيخ الإسلام » : « الدنيا أساس الشقاوة ، ومنفورة لعارف الحق « ذى النون » ـ رحمة الله عليه ـ ، هى غير مقبولة عند طبائع أهل القبول ، ونفر منها « البهلول » ـ رحمة الله عليه ـ مراراً ، أسقطها الأتقياء وأخذها الأشقياء ، فمن طلبها فقد ذل وصار لسان اعتذاره كليلا ، ولأهل العبرة فى هـــذه الآية دليل « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير وأبقى » .

يثبت مما ذكر فى هذه الموعظة أن « عبد الله الأنصارى » كان ينفر من الدنيا نفوراً شديداً ، وحاول أن ينفر الناس من أضرارها ، لكن هذا لا يمنع من أن تستغل الدنيا فى المصلحة الخاصة والعامة ، لأن الغرض الأساسى لـ « عبد الله الأنصارى » من مذمة الدنيا هو أن لا تكون

(c) ketabton.com: The Digital Library

الدنيا عند الناس الهدف الأسمى ، حتى لايختل نظام الكون ، ولا أن تجعل من وسائل فساد القيم الروحية حتى لا تضطرب الحياة ، وتضر بالاطمئنان والسلام الإنسانى .

٥ — حاصل موعظة « عبد الله الأنصارى » التى تتعلق بمعرفة الأخلاق والفضائل المحمودة :

« أيها العزيز » : كل من واظب على عشر صفات فقد أصلح أمره فى الدنيا والآخرة وهى :

(ا) أن يكون مع الحق بالصدق .
(ب) ومع النفس بالقهر .
(ج) ومع الخلق بالإنصاف .
(د) ومع الأكابر بالخدمة .
(هـ) ومع الصغار بالشفقة .
(و) ومع الفقراء بالسخاوة .
(ز) ومع الأصدقاء بالنصيحة :
(ح) ومع الأعداء بالحلم .
(ط) ومع الجهلاء بالسكوت .
(ى) ومع العلماء بالتواضع .

ثم قال « شيخ الإسلام » : « يصل المؤمن إلى الله ـ تعالى ـ بثلاثة أمور : بالأدب ، وبالكرم ، وبأن لا يضر المخلوق » .

وقال « شيخ الإسلام » : « أصل الإيمان عبارة عن أربعة أمور : « خوف ، ورجاء ، وحب ، ويقين ؛ إذ لو لم يكن الخوف لكان

(c) ketabton.com: The Digital Library

الأمن ، والأمن من الله ـ تعالى ـ كفر ، ولو لم يكن الرجاء لكان اليأس ، واليأس من رحمة الله ـ تعالى ـ كفر ، ولو لم يكن الحب لكان البغض ، والعداوة مع الله ـ تعالى ـ كفر ، ولو لم يكن اليقين لكان الشك ، والشك فى الله ـ تعالى ـ كفر .

ثم قال «شيخ الإسلام» : «من خلص من ثلاثة أمور فقد خلص من جميع المصائب : من غم الحسد ، ومن عذاب الحرص ، وخوف الفقر» .

قال «عبد الله الأنصارى» : «يلزم كل مؤمن ستة أمور : اثنان على القلب . واثنان على اللسان ، واثنان على سائر الأعضاء ، أما اللذان على القلب فهما : أن تكبر أمر الله — تعالى — ، وتشفق على الخلق ، وأما اللذان على اللسان فهما : ذكر الله — تعالى — ، وحسن الكلام ، وأما اللذان على سائر الأعضاء فهما : طاعة الله — تعالى — ، ورفع المحنة عن الخلق ، وقال أيضا : «أربعة أمور علامة الشقاوة : كفران النعمة ، وعدم الرضاء على القسمة ، والكسالة فى الخدمة ، وعدم الاحترام فى الصحبة ، وقال : «لا تعتمد على ثلاثة أشياء : على القلب ، وعلى الحياة ، وعلى الوقت ؛ لأن القلب يتلون ، والحياة فى النقصان ، والوقت فى التغير» .

قال «شيخ الإسلام» : قد أعطى الله — تعالى — للعبد ثلاثة أمور : هى لسان ، وقلب ، وسائر الأعضاء ؛ لكى تذكروه باللسان ، وتحبوه بالقلب ، وتخدموه بسائر الاعضاء ، لكن (على العكس) أنت تقول باللسان العبث ، وبالقلب تنسى ، وبالجوارح لم تكن تعمل الخير ، فلو أنت مؤمن فاستغفر باللسان ، واعتبر بالقلب ، وكن مفتقراً (إلى الله — تعالى —) ، قل باللسان الحكمة ، واعمل بالقلب الندامة ، واحفظ

(c) ketabton.com: The Digital Library

بالأعضاء الامانة ، كن باللسان ذاكراً ، وبالقلب شاكراً وبالنفس صابراً . كن باللسان ناطقاً ، وبالقلب صادقاً ، وبالأعضاء سابقاً (إلى رضاء الله — تعالى —) . كن باللسان لطيفاً ، وبالقلب خفيفا ، وبالأعضاء عفيفاً ، كن باللسان حامداً ، وبالقلب خاطراً ، وبالأعضاء عابراً . واعمل باللسان الحمد والصفة ، وبالقب الخوف والرجاء ، ودافع بالأعضاء عن البلاء ، كن باللسان قارىء القرآن ، وبالقلب مؤمناً ، وبالأعضاء مطيعاً .

قال « شيخ الإسلام » يلزم السالك أربعة أمور ؛ ليكون لائقا لسلوك هذا الطريق : الأول العلم ، والثانى : الورع ، والثالث : التفكر فى الله — تعالى — ، والرابع : الوجد ؛ لأن من لم يكن عالما يكن الجهل سما له ، ومن لم يكن ورعا يكن فى عاقبة أمره العقاب ، ومن لم يفكر فى الله — تعالى — يكن كافراً فى القلب ، ومن لم يكن بالوجد يكن قلبه مردوداً ، وقال رضاء الحق فى ثلاث أمور : —

١ — فى مخالفة الهوى .

٢ — فى ترك الدنيا .

٣ — فى فقد النفس فى طريق الله ـ تعالى ـ .

وقال أيضا : « اعط الدنيا لمن يساعدك أو للكلب لئلا يعض رجلك و (اعلم) لو كان الطريق نظيفاً لاخوف من العدو ، ولا ينجس البحر بلسان الكلب ، ولا يطهر الكلب بسبعة أبحار .

علامة الزهد ثلاثةأمور :قصر الأمل ، وعدم الاعتمادعلى عمله ، واليقين بأن الأجل قريب ، ثم قال : « لا تجعل عقيدتك بأن الله كريم موجبة للغفلة ، ولاصبره موجبا للجرأة على المعاصى . قم الليل (لذكر الله ـ تعالى ـ)

(c) ketabton.com: The Digital Library

لكى يساعدك يوم القيامة . فلو كنت غافلا بالأمس كن مستيقظا فى هذا الليل جدا ، وخذ معك الزاد ؛ لأن السفر قريب جدا ، أوقد المصباح بالندم لأن الطريق مظلم جدا . لا تآمن ؛ لئلا تهلك ، والأمن إنما يحصل عندما تستريح فى القبر مع الإيمان ، كن مستيقظا ؛ لأن وقت الطاعة ينقضى ، فكن فى أولاك عاقلا لئلا تهلك فى أخراك » .

٦ — حاصل موعظة « عبد الله الأنصارى » فى الأمر بالأوصاف الجميلة والنهى عن الأوصاف السيئة :

« أيها العزيز : « اعلم أن أحسن الأعمال معرفة الحق — تعالى جل جلاله — ، فيلزم أولا معرفة الله تعالى — ؛ لأنه أول الأول وهو يعطى وإن لم يعط أحد ، ولو أعطى شيئاً لا يستطيع أحد أن يأخذه منك ، وإن لم يعط لا يستطيع أحد أن يعطى ، لاحظه ؛ ليحفظك ، واصرف حياتك فى عبادته ؛ فلعله يطلب حساب صرف حياتك ، واعلم أن دليل الطريق هو العلم ، وصاحب الطريق هو الله — سبحانه — ، واحسب أن العقل بصير ، واعلم أن الرسل أحياء ، وآمن بأن القرآن إمام ، وأد الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، كن مجاهداً ولا تنس الله - تعالى - كن صبوراً لتصل إلى المطلوب ، واطلب الاستعانة فى كل الأمور من الله - تعالى - ، واعرف أن رأس مال الحياة هو التوحيد ، واعلم أن أساس التقوى هو التوحيد ، واعلم بأن الاعتقاد الحسن ككنز لا زوال له ، واحمل المنة ولا تحملها على أحد . لا تأكل طعام كل الناس ولا تمنع طعامك من أحد . نظف قلبك ولباسك . لا تعتمد على النساء العجائز ، ولا تدخل المخنث فى بيتك ، واطلب الوفاء ممن له الأصل ؛ لأن الأصيل لا يخطىء ، واعلم أن توفيق الهداية يحصل من الله - تعالى -

(c) ketabton.com: The Digital Library

لا تجلس مع الأراذل ، وافرح أقاربك الفقراء ، واعلم أن أقبح العيوب كثرة الكلام . لا تنه حياتك بالجهالة . قل قليلا وكل القليل ، كن قليل النوم ، واصبر فى المشكلات . لا تغتم بما فات وبما كسر وبما سقط . لا تغتر بما فى يدك ولا تغتم بما زال عن يدك ، واعرف أن الحياة (الحقيقية هى) فى عاقبة الأمر ، واغتنم فرصة صحتك ، واعلم بأن الذكاء كله هو معرفة عاقبة الأمور . لا تخف من الموت ، ولا تعتمد على الحياة ، لا تبع الدين بالدرهم والدينار . خف إذا كنت فى أمن . افتخر بالفقر . أصلح باطنك أكثر من الظاهر ، وخذ لصداقتك الشخص المجرب . لا تكلم بالشدة ، واختر السكوت[1] ، ولا توعد أحداً بالحرب والعداوة ، واحذر من قبول أوامر نفسك ، واجعل مالك فداء لنفسك ، وعاقب على قدر المعصية ، واعمل مع الصديق بالتواضع . لا تعتقد بزهد الجاهل ، واطلب فى الكلام الصواب ، لا تصف أحداً بالإفراط ، ولا تحترز من الصدق وإن أضرك ، لا تذهب إلى الضيافة من غير الدعوة ، ولا تبع إذا لم تجد المشترى ، واعف لتعفى ، لا تأخذ ما لم تكن وضعته . لا تنسب لأعمالك ما لم تكن عملته . لا تتعرض للامتحان (أى لا تقدم نفسك من غير الضرورة إلى الامتحان) ، ولا تكن عبداً حريصاً ، ولا تكن نائماً وغافلا ، لا تفتخر بالمعاصى ، ولا تخف من الفقر . يجب أن تكون أخلاقك فى السفر أحسن عما كنت فى الحضر . إذا لم تنجح فى الصلح يلزم أن تكون مهيئاً للحرب ، لأن العمل الذى لم يتم بالصلح يلزم

---

(١) إلا عند الضرورة إذ قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « أكثر أهل النار حصائد ألسنتهم » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

أن يتم بالجنون ، (١) ، عدوك وإن كان حقيراً لا تأمن منه ، خف كثيراً من العدو الذى فى بيتك ، لا تسافر مع الذى لم تكن تعرفه ، كن قانعاً بقلبك ، واحفظ الأمانة ، لا تكن فى مهام الأمور ضعيف الرأى والهمة ، لاحظ عهدك فى حالة سخطك وغيظك ، إذا وصلت إلى المال والجاه لا تمنعه من أقربائك ، اعلم أن صداقة القلوب تحصل من السكوت وقلة الضرر . لا تعمل العمل الذى لا يليق . لاتقل شيئاً تعتذر عنه . واعلم أن غنيمة الدارين هى السكوت . واعتقد بأن الاحترام أولى من المال . فكر أولا ، ثم قل . إدفع البلاء بالصدقة . ولو تستطيع تشاور مع العقلاء كلما استطعت . احترم المشايخ المجربين . لا تقذف الناس بالجرم والبهتان ؛ لئلا يرجع إليك عكس عملك . لا تقل للناس الشيء الذى لا تستطيع أن تسمعه ، اعلم أن الرضاء بالفساد أساس العصيان . اعلم أن من يجرأ وليس عنده السلاح فهو أحمق . لا تنظر إلى الناس بالحقارة . لاتعبد الدنيا ؛ لأن عبادة الدنيا (هى فى الحقيقة) عبادة عدو الله . واجعل من التقوى زاداً للآخرة . كن حريصاً على الطاعة ولا تعتمد عليها . لا تغرق نفسك فى بحر الآمال . لا تظهر احتياجك إلى الناس (لو تستطيع إخفاءه) لاتعود لسانك الشتم . لاتفرح بمصائب الناس . إهرب ممن لايخاف من اللوم . لاتقل سرك للنساء . واطلع أصدقاءك على عيوبهم . جرب الناس أولا بالمعاملة ، ثم وطد الصداقة معهم ، فليتقو الملك بالوزير الصالح .

---

(١) هذا فى مهام الأمور الدينية وللمدافعة عن منفعة عامة بحيث لم يبق طريق آخر غير الحرب فإذن لم يكن الحرب جنونا . لكن سمى جنونا باعتبار أنه يصد الجنون .

(c) ketabton.com: The Digital Library

اعلم أن الشريعة مثل الجسد ، والطريقة مثل القلب ، والحقيقة مثل الروح . كن بصيراً لعيوبك . لا تشاور عدوك وإن فعلته فلتحذر ،ولا تسمع كل ما قال (عدوك) . هيء نفسك للاعتماد ؛ لكي يعتمد عليك الجميع . زر الأحياء ، والأموات . اطلب الراحة من المشقة . اعتقد بأن الرزق من الله - جل جلاله - حتى لا تكفر . صاحب العقلاء . لاتخرج رجلك من فرشك . لا تغتر بظاهر الناس . اعمل الأخوة مع الصالحين . اهرب من العصيان . لو كانت عندك (من المواجيد) فلا تبعها ، ولو لم تكن عندك كن ساكتا ، إذا جلست عند الأكابر (من العقلاء) كن سمعاً كلك . وإذا كلموك كن ساكتا ، واغتنم الحياة ، واطلب نجاة النفس فى العبادة ، واطلب المعاونة فى كل الأمور من الله - تعالى - . لاتحسب الجاهل حيا . واحذر من العدو المنافق ، واجتنب من الجاهل المغرور . لا تقل ما لم تكن سمعت أو رأيت . كن بصيراً إلى عيوبك ، ولا تقل عيب الناس . لا ترجع عن قول الصدق ، ولا تستعجل فى الجواب . لا تغتم من غير الفائدة ، واعلم أن سعادة الدنيا والآخرة فى صحبة العاقل . لا تفتخر بالثراء ، واحذر من التعصب . لا تساعد الناس على المعاصى كن نظيفاً وبشوشاً ؛ لكي يحبك الناس . من يعف عنك فى وقت الغضب يليق للصداقة . حاول رعاية القلوب ، واستر العيوب . اعلم أن أفضل الحياة حسن الذكر ؛ فحاول أن تشتريه بكل قدرتك . جرب القريب فى وقت الغضب وجرب الصديق فى وقت عدم القدرة .

اعلم بأن الله - تعالى - حاضر أينما كنت ، فقم بوفاء العهد واغتنم الوقت . كن دائماً على العبادة ؛ لأن كمال الإنسان فى عبودية الله - تعالى - والعزة فى التواضع والإنكسار (إلى الله - تعالى -)(١) .

(١) من كتاب « مناجات ومقالات » ل ، عبد الله الأنصاري بالفارسيه (ص ٥١-٩٢)

(c) ketabton.com: The Digital Library

حل مشكلة اختلافات الصوفية عند شيخ الإسلام عبدالله الأنصارى

قد ثبت عند « شيخ الإسلام أن » الإنحرافات الكثيرة التى دخلت فى مسلك الصوفية الإسلامية الأصلية كانت أكثرها من الأسباب الآتية : ـ

(ا) الاتصال بآراء المسيحيين .

(ب) الاتصال بآراء البوذيين وآراء الزردشتية .

(ج) الاختلاط بآراء الفلاسفة فى الميتافزيقا .

(د) ترويج الخرافات من الذين اشتهروا بأهل الله ـ تعالى ـ .

(ه) الدسائس والمؤامرات الاستغلالية باسم الدين .

(و) الضعف ، والكسل ، والميل إلى الراحة .

(ز) الأتباع للتقاليد والحكايات والروايات الغير الموثوق بها ، وعدم الاهتمام بما جاء فى الكتاب والسنة :

فصمم « شيخ الإسلام » على أن يؤيد الحركات التى بدأ بها ، « الجنيد » و « أبو نصر السراج » صاحب كتاب « اللمع » وتلميذه « السلمى » وغيرهم من الصوفيين الكرام العظماء ضد الخرافات التى اشتهرت باسم التصوف ، فجدد مسلك الصوفية الإسلامية من المنابع الأصيلة ، ورتب مقاماته ومنازله وأذواقه ومواجيده على أحسن نهج ، وعلم الناس أن مسلك التصوف إسلامى يؤيد الحق والمبادىء الأخلاقية السامية الروحية والإجتماعية ، وأثبت أن الناس يحتاجون فى نيل السعادة الأبدية إلى التصوف الإسلامى الخالص الأصيل .وليس كما فهمه بعض من لا خبرة له ، وتأثر بالماديات تأثيراً سيئاً ، فوصفه بأنه مسلك الجمود والخمود والعطالة ، فالتصوف الإسلامى عند « شيخ الإسلام عبد الله

(c) ketabton.com: The Digital Library

الأنصارى، أساسه الشريعة ، ويصل السالك منها ببركة الطريقة إلى الحقيقة ، فحاول أن يوجه الناس إلى الشريعة الحقة ، ولقنهم الطريقة المنتجة ، وصمم على الوصول إلى الحقائق الثابتة .

فإذن تصوف «شيخ الإسلام عبدالله الأنصارى» ليس إلا ما جاء فى الكتاب والسنة الممزوج بالتجارب لأهل الله - تعالى - فى السلوك ، وبتجاربه الشخصية التى حصلت عنده فى تطبيق الشريعة ، وفى العمل بالطريقة ، وفى الوصول إلى الحقيقة .

(c) ketabton.com: The Digital Library

(c) ketabton.com: The Digital Library

أثر كفاح

« شيخ الإسلام عبدالله الأنصارى » فى المجتمع

لاشك أن من يقرأ ما كتبناه سابقا بدقة يظهر له مدى تأثير كفاحه فى المجتمع ، لكنى مع هذا أذكر نبذة من التراجم التى كتبت عنه ؛ لكى يتضح تأثير كفاحه فى المجتمع .

ذكر الإمام أبو الحسين عبد الغافر بن إسماعيل الفارسى « خطيب نيسابور » فى تاريخ « نيسابور » اسمه ونسبه ، وقال : « أبو اسماعيل الإمام شيخ الإسلام بـ « هراة » صاحب القبول فى عصره ، والمشهور بالفضل وحسن الوعظ والتذكير فى دهره .

لم ير أحد من الأئمة فى فنه حلما ما رآه عيانا من الحشمة الوافرة القاهرة ، والرونق الدائم ، والاستيلاء على الخاص والعام فى تلك الناحية ، واتساق أمور المريدين والأتباع والمغالين فى حقه ، والتئام المدارس والأصحاب والخانقاه ونواب المجالس إلى غير ذلك مما هو أشهر من أن يحتاج إلى الشرح .

وكان على حظ تام من العربية ومعرفة الأحاديث والأنساب والتواريخ إماما كاملا فى التفسير والتذكير وحسن السيرة والطريقة فى التصوف ومعاشرة الأصحاب الصوفية ، مظهر السنة داعيا إليها محرضا عليها ، غير مشتغل بكسب الأسباب والضياع والعقار والتوغل فى الدنيا ، مكتفيا بما يبسط به المريدون والاتباع من أهل مجلسه فى السنة مرة أو مرتين (من الهدايا) حاكما عليها حكما نافذاً بما كان يحتاج إليه هو وأصحابه من السنة إلى السنة على رأس الملأ ، فيحصل على ألوف من الدنانير وإعداد جمة من الثياب والحلى وغير ذلك ، ويفرقها على الخباز والبقال

(c) ketabton.com: The Digital Library

والقصاب ، وينفق منها ، ولا يأخذ من السلاطين والظلمة وأركان الدولة شيئا ، وقلما يراعيهم ، ولا يدخل عليهم ، ولا يبالى بهم ، فبقى عزيزاً مقبولا قبولا أتم من الملك على الحقيقية مطاع الأمر قريبا من ستين سنة من غير مزاحمة ولا فتور فى الحال (١) .

وذكر «أبو النصر عبد الرحمن بن عبد الجبار الفامى» فى تاريخ «هراة» أحوال شيخ الإسلام ، فقال : «كان بكر الزمان ، وزناد الفلك ، وواسطة عقد المعانى والمعالى ، وصورة الإقبال فى فنون الفضائل وأنواع المحاسن » .

منها : نصرة الدين والسنة ، والصلابة فى قهر أعداء الملة والمتحابين بالبدعة - حى على ذاك عمره من غير مداهنة ومراقبة لسلطان ولا وزير ، ولا ملاينة مع كبير ولا صغير . وقد قاسى بذلك السبب قصد الحساد فى كل وقت وزمان ، ومنى بكيد الأعداء فى كل حين وأوان ، وسعوا فى روحه مراراً ، وعمدوا إلى هلاكه أطوار ، مقدرين بذلك الخلاص من يده ولسانه ، وإظهار ما أضمروا فى زمانه ، فوقاه الله شرهم ، وأحاط بهم مكرهم ، وجعل قصدهم لارتفاع أمره وعلو شأنه أقوى سبب ، وليس ذلك من فضل الله - تعالى - ببدع ولا عجيب (« ٤٧ : ٧ » إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

وأما قبوله عند الخاص والعام ، واستحسان كلامه ، وانتشاره فى جميع بلاد الإسلام ، فأظهر من أن يقام عليه حجة وبرهان ، أو يختلف فى سبقه وتقدمه فيها من الأئمة اثنان . ولقد هذب أحوال هذه الناحية

---

(١) من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة « المجلد الأول » ص (٦٤) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

عن البدع بأسرها ، ونقح أمورهم عما اعتادوه منها فى أمرها ، وحملهم على الاعتقاد الذى لامطعن لمسلم بشىء عليه ولا سبيل لمبتدع إلى القدح إليه .

ومنها : تصانيفه التى حاز فيها قصب السبق بين الأضراب ، وذكرها فى باب المصنفين من الكتاب »[1] (أى فوق درجة المؤلفين) .

وجدير بالذكر أن أقول يثبت من جميع التراجم التى كتبت فى التعرف لـ « عبد الله الأنصارى » أنه وصل فى حياته إلى أقصى درجة فى قبول العام والخاص ، وأن أفكاره ، وآراءه ، وأخلاقه ، وآدابه ، وجذباته ، ومناجاته ، ونصائحه ، وكفاحه ، وصراحته ، ومتانته ، وتعبده ، واستقامته ، وشريعته ، وطريقته ، وحقيقته قد أثرت فى المجتمع تأثيراً مغناطيسيا عميقا ، حتى أقر المسلمون فى جميع البلاد الإسلامية بأنه « شيخ الإسلام » ، وشيخ الشيوخ والحكماء » فى عصره .

(١) من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة المجلد الأول ص (٦٣) .

(c) ketabton.com: The Digital Library

من المخاوف والمخاطر والمهالك هى تزكية النفوس من الأوهام والانحرفات وتقويتها باتباع ما جاء فى القرآن الكريم وما جاء فى أحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ولما وصلت درجة كفاحه إلى الذروة أهدى له — كما ذكرنا — خليفة المسلمين « القائم بأمر الله » فى سنة (٤٦٢ هـ) الخلعة الرائعة ، ثم لقبه خليفة المسلمين « المقتدى » رسميا فى سنة (٤٧٤ هـ) بـ « شيخ الإسلام وشيخ الشيوخ والحكماء ، وأهدى له ولابنه « عبد الهادى » الخلعتين الموقرتين .

الحق : أنه كان لائقا بكل هذا الإجلال ؛ لأنه لا يغره اتجاه الناس إليه ، ولا إعطاء الألقاب والنياشين له ، بل مع ذلك كان ليلا ونهاراً يفكر ، ويعبد ، ويلقن ، ويحب الله ـ تعالى ـ ، ويخدم خلائقه ، ويحب الصراط القويم ، ويحاول أن يتم رسالة حياته على أكمل وجه .

قد ثبت أن الصوفيين الذين جاءوا بعد « عبد الله الأنصارى » قد استفادوا كثيراً فى تصوفهم من تصوفه ، وأخذوا نبذا كثيرة من آرائه وتلقيناته ، كما ألف كثير من المؤلفين العظماء مثل : العارف بالله « محمود ابن شيخ شيوخ العارفين حسن ابن محمد الفركاوى القادرى » ، والشيخ الإمام « سديد الدين أبي محمد عبد المعطى ابن أبي الثناء محمود بن عبد المعطى اللخمى الاسكندرى » ، و « ابن قيم الجوزية » ، وغيرهم شروحا على تأليفاته ، ونشرت صور مخطوطات آثاره فى كثير من المكتبات ، وطبعت ونشرت كتبه ورسائله فى كل الأقطار الإسلامية ، كما توجد مخطوطات آثاره ومطبوعات كتبه ورسائله فى أكثر البلاد خصوصا فى « أفغانستان » ، و « باكستان » و « إيران » ، و « الهند » ، و « روسيا » ، و « مصر » ،

(c) ketabton.com: The Digital Library

و « دمشق » ، و « بغداد » ، و « تركيا » و « لندن » ، و « فرنسا » ، وفى بعض مكتبات « أمريكا » ، و « ألمانيا » .

وجدير بالذكر أنه يذكر اسم « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » الآن أيضاً فى بلاد « أفغانستان » ، و « إيران » ، و « باكستان » ، و « الهند » بكمال الاحترام عند عامة الناس ، ويفتخر المثقفون ويتلذذ الصالحون بذكر مناجاته ونصائحه وتلقيناته فى المجالس العامة والخاصة .

هذا هو « شيخ الإسلام » ، والحبر الإمام ، شيخ الشيوخ والحكماء « أبو اسماعيل عبد الله الأنصارى الهروى » رحمه الله - تعالى - رحمة واسعة ، وأدخله فى جنات النعيم مع أصدقائه ومحبيه ، ويهدينا الله - القوى - لما يحبه ويرضى ، وينجحنا نجاحا فائقاً فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه .

آمين يارب العالمين .

(c) ketabton.com: The Digital Library

(c) ketabton.com: The Digital Library

المراجع

١ - « تفسير الهروى » بالفارسية المشهور بـ « كشف الأسرار » لـ (عبد الله الأنصارى) طبع فى « طهران » باهتمام « جناب على أصغر حكمت » .

٢ - من مشتتات رسالة « مناقب الإمام أحمد بن حنبل » لـ عبد الله الأنصارى » .

٣ - رسالة « الأربعين فى دلائل التوحيد لـ « عبد الله الأنصارى » . من صورة شريط رقم (٤٣) بجامعة الدول العربية .

٤ - كتاب « طبقات الصوفية » بالفارسية لـ « عبد الله الأنصارى » . المطبوع فى كابل سنة (١٣٤١ هـ ش) .

٥ - كتاب « مناجاة ومقالات » بالفارسية لـ « عبد الله الأنصارى المطبوع فى « طهران » .

٦ - كتاب « كشف الظنون لـ « حاجى خليفة »

٧ - كتاب « ذم الكلام وأهله » لـ « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » من الشريط رقم (٩٧) فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

٨ - كتاب « صون المنطق والكلام لـ « سيوطى » .

٩ - كتاب « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » للأستاذ « مصطفى عبد الرازق باشا » .

١٠ - كتاب « نفحات الأنس » بالفارسية لـ « عبد الرحمن جامى » .

١١ - رسالة « علل المقامات لـ « عبد الله الأنصارى .

(c) ketabton.com: The Digital Library

١٢ ـ رسالة « المختصر فى آداب الصوفية والسالكين لطريق الحق بالفارسية لـ « عبد الله الأنصارى .
١٣ ـ كتاب « صدميدان « بالفارسية لـ « عبد الله الأنصارى » .
١٤ ـ كتاب « منازل السائرين إلى الحق المبين لـ « عبد الله الأنصارى .
١٥ ـ كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة لـ « ابن رجب » .
١٦ ـ من مقدمة كتاب « طبقات الصوفية » لـ « عبد الحى حبيبى » .
١٧ ـ كتاب « نهصدمين سال وفات خواجه عبد الله الأنصارى » بالفارسية المطبوع فى كابل سنة (١٣٤٢ هـ ش) .
١٨ ـ كتاب « كنج نامه خواجه عبد الله الأنصارى « بالفارسية قرأت هذا الكتاب وأشرت إلى ضعفه فى الرسالة .
١٩ ـ كتاب « شرح منازل السائرين » للشيخ الإمام « سديد الدين » .
٢٠ ـ كتاب « مدارج السالكين لـ « ابن قيم الجوزية » .
٢١ ـ كتاب « كازركاه لـ « فكرى سلجوقى » .
٢٢ ـ كتاب « شرح منازل السائرين لـ « العارف بالله ـ تعالى ـ محمد بن حسن بن محمد الفركاوى » .
٢٣ ـ كتاب « زندكى خواجه عبد الله الأنصارى هروى « بالفارسية » . ترجمة « روان فرمادى »
٢٤ ـ كتاب « المنجد » فى الأدب والعلوم .
٢٥ ـ كتاب « مقامات شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى هروى بالفارسية بتحقيق « فكرى سلجوقى » المطبوع فى كابل سنة (١٣٤٣ هـ ش) .
٢٦ ـ كتاب « تذكرة الأولياء لـ « شيخ فريد الدين عطار » .
٢٧ ـ كتاب « تاريخ » لـ « ابن الأثير » .
٢٨ ـ كتاب « سير الأعلام النبلاء » لـ « ذهبى » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٢٩ ـ كتاب « المنقذ من الضلال » طبع مكتبة : « الأنجلو » .
٣٠ ـ كتاب « تهافت الفلاسفة » للـ « غزالى » طبع : دار المعارف بمصر بتحقيق الدكتور « سليمان دنيا » .
٣١ ـ كتاب « اللمع لـ « أبى نصر السراج الطوسى » بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود .
٣٢ ـ كتاب « شرح » « نصير الدين الطوسى » على « الإشارات والتنبيهات » لـ « أبى على بن سينا » .
٣٣ ـ كتاب « الملل والنحل » للإمام الشهرستانى تخريج « محمد بن فتح الله بدران » .
٣٤ ـ كتاب « شرح العقائد النسفية » لـ « سعد الدين التفتازانى » .
٣٥ ـ كتاب مقالات الإسلاميين لـ « أبى الحسن على بن اسماعيل الأشعرى » .
٣٦ ـ كتاب « اللمعة فى تحقيق مباحث الوجود والحدوث والقدر وأفعال العباد » لـ « الشيخ ابراهيم » .
٣٧ ـ كتاب « تاريخ المذاهب الإسلامية لـ « محمد أبى زهرة » .
٣٨ ـ كتاب « الفرق بين الفرق » لصدر الإسلام « عبد القادر بن طاهر ابن محمد البغدادى الاسفرائينى » .
٣٩ ـ كتاب « التبين » لـ « ابن العساكر » .
٤٠ ـ كتاب « طبقات الشافعية لـ « السبكى » .
٤١ ـ كتاب مقدمة « كشف الأسرار لـ « أبى الفضل رشيد الدين الميبذى » . على تفسير « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » .
٤٢ ـ كتاب « أسماء المصنفين لـ « اسماعيل باشا » .
٤٣ ـ كتاب « نابغة الشرق السيد جمال الدين الأفغانى » .

(c) ketabton.com: The Digital Library

٤٤ ـ كتاب « قوت القلوب لـ « أبي طالب المكي » .
٤٥ ـ كتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف لـ « أبي بكر محمد الكلاباذي » .
٤٦ ـ كتاب « حلية الأولياء لـ « أبي نعيم الأصفهاني » .
٤٧ ـ الرسالة « القشيرية » للإمام « عبد الكريم القشيري » .
٤٨ ـ كتاب « خواجه عبد الله الأنصاري متصوف وحنبلي » .
٤٩ ـ كتاب « رياض الصالحين » للإمام المحدث الحافظ محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي » .
٥٠ ـ كتاب « طبقات الصوفية لـ « السلمي » .
٥١ ـ القرآن الكريم .

(c) ketabton.com: The Digital Library

منهج الرسالة

١ — العصر الذى ولد ونشأ فيه الصوفى الكبير « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى الهروى » .

٢ — حياته من أولها إلى نهايتها بالتفصيل . وهذا لأنى ما رأيت إلى الآن باللغة العربية كتاباً يشرح حياته الخصبة لخدمة الإسلام شرحاً وافياً .

٣ — مؤلفاته : ما ألفه وأملاه على تلاميذه أو اشتهر باسمه . وهذا لأن مؤلفاته الكثيرة وما نسب إليه من الآثار تتطلب التحقيق .

٤ — مقارنة آرائه التى تتعلق بالعقيدة والكلام بآراء الذين خالفهم فى عصره من الشيعة والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم مع التعليقات عليها .

وهذا لأن آراءه هذه تتطلب المقارنة بالآراء التى كانت فى عصره ، وتقتضى التحقيق .

٥ — تصوفه وحياته الروحية . وهذا لأن فى تصوفه وحياته الروحية يوجد كثير من المطالب والقيم الهامة :

(ا) الآداب الظاهرية والباطنية للتصوف عنده .

(ب) نبذة من مناجاته ونداءاته مع التعليق عليها .

(ح) نبذة من مواعظه ونصائحه مع التعليق عليها .

٦ — تأثيره فى المجتمع ، والنتيجة الأخيرة .

ملاحظة :

سنذكر تحليل بعض ما جاء فى تصوفه من القيم الروحية فى مواضعها .

(c) ketabton.com: The Digital Library

(c) ketabton.com: The Digital Library

فهرس

صفحة	الموضـوع
٣	تقدير . . . .
٧	المقدمة . . . .
١١	منهج الرسالة . . . .
١٣	العصر الذى ولد ونشأ فيه الصوفى الكبير شيخ الإسلام «عبد الله الأنصارى» . . . .
١٥	مدينة «هراة» التى ولد ونشأ فيها «عبد الله الأنصارى» . .
١٧	مجمل المذاهب والاتجاهات الموجودة فى مدينة «هراة» فى عصر «عبد الله الأنصارى» . . . .
١٨	أحوال والد «عبد الله الأنصارى» وأمه . . . . . .
٢٣	حياة «عبد الله الأنصارى» . . . .
٢٤	عصر طفولة «عبد الله الأنصارى» . . . .
٢٦	كيف بدأت دراسات «عبد الله الأنصارى» . . . . .
٣٣	أوائل شباب «عبد الله الأنصارى» . . . .
٣٥	قائمة بأسماء أكثر أساتذة «عبد الله الأنصارى» فى هذه المرحلة إلى سنة (٤١٧ هـ) . . . .
٣٧	سفر «عبد الله الأنصارى» إلى مدينة «نيسابور» سنة (٤١٧ هـ - ١٠٢٦ م) وما حدث له هناك . . . .
٤١	حياة «عبد الله الأنصارى» بين سنة (٤١٨ هـ) وبين سنة (٤٢٨ هـ)
٤٢	أساتذة «عبد الله الأنصارى» فى هذا العصر . . . .
	أول سفر «عبد الله الأنصارى» بقصد الحج ووصوله إلى مدينة

(c) ketabton.com: The Digital Library

الموضوع | صفحة

« بغـداد » ، ورجعته منها إلى مدينة « هراة » وما حدث له بين سنة
(٤٢٣ هـ) وبين سنة (٤٢٤ هـ) ٤٤
السفر الثانى لـ « عبد الله الأنصارى » بقصد الحج وملاقاته مع الصوفى
الشهير « خرخانى » فى سنة (٤٢٤ هـ - ١٠٣٢ م) وعودته إلى مدينة
« هراة » فى هذه السنة نفسها ٤٧
حياة « عبد الله الأنصارى » فى أيام « نباذان » فى فصل الشتاء من
سنة (٤٢٥ هـ) ٥٤
حياة « عبد الله الأنصارى » بين سنة (٤٢٥ هـ) وبين سنة (٤٣٦ هـ)
وأهم ما حدث له فى هذه المدة ٥٥
حياة « عبد الله الأنصارى) بين سنة (٤٣٧ هـ) وبين سنة (٤٤٥ هـ)
وما حدث له فيها من المحن ٥٩
حياة « عبد الله الأنصارى » بين سنة (٤٤٥ هـ) وبين سنة (٤٥٦ هـ)
ونجاحه ٦٣
حياة « عبد الله الأنصارى » بين سنة (٤٥٦ هـ) وبين سنة (٤٦٢ هـ)
وخلافه مع أهل البدعة ٦٩
حياة « عبد الله الأنصارى » بين سنة (٤٦٣ هـ) وبين سنة (٤٧٣ هـ)
وعلو شأنه ٧٣
بعض أصدقاء « عبد الله الأنصارى » وتلاميذه فى هذه المدة . . ٨٠
معاملة « عبد الله الأنصارى » مع أهل الحكمة والفلسفة فى هـذه
المدة ٨٣
أهم ما حدث فى حياة « عبد الله الأنصارى » بين سنة (٤٧٣ هـ) حتى
توفى فى سنة (٤٨١ هـ) ٨٥

(c) ketabton.com: The Digital Library

الموضوع	صفحة
بناء مقبرة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى »	٩٣
أهل بيت « عبد الله الأنصارى » وأولاده	٩٤
مذهب « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى »	٩٦
مؤلفات « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى » ، وآثاره . .	٩٩
(أ) آثاره التى ثبت أنه ألفها	١٠٠
(ب) آثاره التى كتب تلاميذه ومريدوه عنه	١٠٦
(ج) الآثار التى تنسب إليه ولكن فى إثبات انتسابها إليه اشتباه .	١١٢
آثاره التى توجد فى اتحاد الجمهوريات الروسية	١١٨
التعليق على الآثار المنسوبة إلى « عبد الله الأنصارى »	١٢٠
المقارنة بين آراء « عبد الله الأنصارى » التى تتعلق بالمسائل الكلامية	
وبين آراء الذين خالفوهم فى عصره	١٢١
العقيدة الإسلامية	١٢١
أركان الدين التى اتفق عليها جمهور أهل السنة والجماعة . . .	١٢٢
أسباب الاختلاف عموماً	١٢٣
أسباب الاختلاف بين المسلمين	١٢٤
اختلاف المسلمين حول المسائل الاعتقادية والسياسية والفقهية .	١٢٤
مجمل الآراء والاختلافات التى دارت حول القضاء والقدر	
ورأى « عبد الله الأنصارى » فى البحث عنهما	١٢٧
الشيعة و « عبد الله الأنصارى »	١٣١
المعتزلة و « عبد الله الأنصارى »	١٣٤
(أ) مذهب المعتزلة	١٣٥
(ب) أهم ما حدث من المعتزلة	١٣٩

(c) ketabton.com: The Digital Library

الموضـوع	صفحة
المسائل التى خالف فيها « عبد الله الأنصارى » المعتزلة	١٤١
الأشاعرة و « عبد الله الأنصارى »	١٤٦
أسباب الخلاف بين الأشاعرة و « عبد الله الأنصارى »	١٤٧
الماتريدية و « عبد الله الأنصارى »	١٤٩
(أ) منهاج « الماتريدى »	١٥٠
(ب) المسائل الاختلافية بين « الماتريدية » ، و « المعتزلة » .	
و « الأشاعرة	١٥٠
الإمام « أحمد بن محمد بن حنبل » ، و « عبد الله الأنصارى » . .	١٦٠
(أ) حياة الإمام « أحمد بن حنبل »	١٦١
(ب) آراء أهل السنة وآراء الإمام « أحمد بن حنبل »	١٦٣
(ج) آراء الإمام « أحمد بن حنبل » التى تمسك بها « عبد الله	
الأنصارى »	١٦٩
آراء « عبد الله الأنصارى » التى تتعلق بالعقيدة والكلام . .	١٧٣
عقيدة « عبد الله الأنصارى » بالله وصفاته	١٧٤
رأى « عبد الله الأنصارى » فيما يصح أن ينسب إلى الله — تعالى —	
ويطلق عليه	١٧٦
الأحاديث التى جاءت فى رسالته المسماة بـ « الأربعين » فى دلائل	
التوحيد فى حق ما يصح أن ينسب إلى الله تعالى	١٧٧
أهم مطالب كتاب « ذم الكلام وأهله »	١٨٥
التعليق الخاص على الاختلافات والمناقشات التى تتعلق بالعقائد	
الإسلامية وعلم الكلام	٢١٥
حل مشكلة البحث فى الآراء الكلامية عندى	٢٢٣

(c) ketabton.com: The Digital Library

الموضـوع	صفحة
تصوف « عبد الله الأنصارى » وحياته الروحية	٢٣٣
منهج تصوفه	٢٣٥
الآداب الظاهرية للتصوف عند « عبد الله الأنصارى »	٢٣٦
الآداب الباطنية للتصوف عند « عبد الله الأنصارى »	٢٤٧
أهم المطالب التى جاءت فى كتاب « منازل السائرين »	٢٤٩
نصوص رسالة « علل المقامات » لـ « عبد الله الأنصارى » . .	
التعليق الخاص على الآداب الظاهرية والباطنية لـ « عبد الله الأنصارى »	٢٩١
النظرة الإجمالية على كتاب « طبقات الصوفية » لـ « عبد الله الأنصارى »	٣٠٣
نبذة من مناجاة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى »	٣٠٦
التعليق على مناجاة « عبد الله الأنصارى »	٣١٩
نبذة من المواعظ والنصائح التى نسبت إلى « عبد الله الأنصارى » .	٣٢٠
(١) حاصل موعظة « عبد الله الأنصارى » التى تتعلق بالعبادة والمعرفة والنظر فى العواقب	٣٢٠
(٢) حاصل موعظة « عبد الله الأنصارى » فى الوصول إلى السعادة	٣٢٢
(٣) حاصل موعظة « عبد الله الأنصارى » التى تتعلق بالاجتناب عن تضييع الأوقات	٣٢٤
(٤) حاصل موعظة « عبد الله الأنصارى » التى تتعلق بالترهيب والترغيب	٣٢٥
(٥) حاصل موعظة « عبد الله الأنصارى » التى تتعلق بمعرفة الأخلاق والفضائل المحمودة	٣٢٧

(c) ketabton.com: The Digital Library

الموضــوع	صفحة
(٦) حاصل موعظة « عبد الله الأنصاري » في الأمر بالأوصاف الحميدة	٣٣٠
التعليق الخاص على المواعظ والنصائح لـ « عبد الله الأنصاري » .	٣٣٤
حل مشكلة اختلافات الصوفية عند « شيخ الإسلام »	
أثر كفاح « شيخ الإسلام « عبد الله الأنصاري » في المجتمع . .	٣٣٩
النتيجة الأخيرة عن كل ما كتبته في حق « شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري »	٣٤٣
المراجع	٣٤٧
شكر وتقدير	٣٥١

(c) ketabton.com: The Digital Library

تصويبات

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	بالمتن والحاشية
١	٦	مبادئه	حياته	بالمتن
١٣	٢	هندوكن	هندوكش	بالحاشية
٢١	٦	ظل هكذا	ظل الحال هكذا	بالمتن
٢٣	١٤	عبد الأنصارى	عبد الله الأنصارى	»
٢٦	٤	× ×	زنى	»
٣٦	١٥	الجاوردى	الجارودى	»
٤٤	١٥	بأنه	بأن	»
٨٠	١٦	إجماعاتهم	اجتماعاتهم	»
٨٢	١	عبد الرحمن بن	عبد الرحمن بن منده	بالحاشية
٩١	١٥	سنة ٤٨٣ ﻫ	سنة ٤٧٣ ﻫ	»
١٠١	١٢	الأخير	الأخيرة	»
١١٣	١٢	لحصول	الحصول	»
١٣٠	٤	الهدايا	الهداية	بالمتن
١٥٢	٣	التقبح	القبح	»
١٥٦	٢	قرل	قول	بالحاشية
١٥٦	٣	الضفات	الصفات	بالمتن
١٧٢	١٤	نمار	ثمار	»
١٨٦	١٧	غضا	غضبا	»
١٨٩	١١	الكلاه	الكلام	»

(c) ketabton.com: The Digital Library

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	باتن والحاشية
١٩٥	١٥	جناحية	جناحيه	»
٢٠١	١	يجي	يحي	»
٢٠٢	٥	الخريبي	الخريجي	»
٢٠٦	١٥	الـكراءيس	الـكرابيس	»
٢٢٦	١٦	المعول	المعلول	»
٢٢٦	١٦	المعلوفة	المعرفة	»
٢٦٠	٣	مسنـكة	مسكة	»
٢٧٦	٦	نفاسة	نفاسة	»
٢٨٨	٨	التليو	التلو	حاشية

Get more e-books from www.ketabton.com
Ketabton.com: The Digital Library